تاريخ
مصر الاسلامية

وجوانب من حضارتها

منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي
(٢٠-٥٦٧هـ / ٦٤٠ – ١١٧١م)

الدكتور
إبراهيم علي السيد القلا
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية الآداب جامعة جنوب الوادي

دار العلم والايمان للنشر والتوزيع

٩٥٣
أ.ع

إبراهيم على السيد القلا .
تاريخ مصر الإسلامية وجانب من حضارتها : منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمى (٢٠ – ٥٦٧هـ = ٦٤٠ – ١١٧١م)
٣٣١ص ؛ ٢٤سم .
١. مصر الإسلامية أ. العنوان .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع
دسوق - ميدان المحطة - شارع الشركات
☎ : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ ✆ : ٠١٢٣٢٣٦٣٣٥
فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١

رقم الإيداع : ١١٠٧٧
الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977-308-088-9

٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١).

صدق الله العظيم

(١) سورة البقرة : الآية ٣٢ .

فهرس

مقدمة

يبدأ تاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح الإسلامي سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م وحتى نهاية الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، وهي فترة تقترب من خمسة قرون ونصف وهي من أهم فترات تاريخ مصر ، حيث ساهمت مصر بنصيب وافر في الأحداث السياسية في العالم الإسلامي ، وأثرت في الحضارة الإسلامية خلال تلك الفترة .

فقد شهدت هذه الفترة أحداث الفتح الإسلامية لمصر ، واستقرار العديد من القبائل العربية بمعظم المدن والقرى بها ، كما شهدت اختلاط هذه القبائل بالسكان الأصليين للبلاد وما تبعه من تزاوج بين الطرفين ، وانتشار الإسلام وكذلك اللغة العربية ، وكانت هناك عوامل ساعدت على هذا الإدماج يأتي في مقدمتها إسقاط العرب من ديوان الجند ، وكذلك نظام المضايفة التي فرضها عمرو بن العاص على القبط ، وأيضا نظام الارتباع الذي كان أحد الوسائل للاختلاط بين العنصرين ، ونتج عن ذلك في النهاية ظهور الشعب المصري الإسلامي .

وتناولت دور مصر في الأحداث التي ألمت بالدولة الإسلامية مثل دورها في الفتنة الكبرى ، ودورها في الفتنة الكبرى ، ودورها في النزاع بين معاوية ، وموقفها من حركة عبد الله بن الزبير ، وأيضا موقف العلويين والأمويين في مصر من الخلافة العباسية ، كما تحدثت عن الدولة الطولونية وقوة مصر سياسيا وحضاريا في عصر تلك الأمة ، ثم تناولت الدولة الإخشيدية وعلاقتها الخارجية ومحاولات الفاطميين للاستيلاء على مصر .

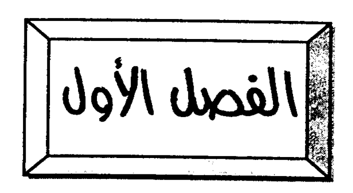
كما تناولت عصر الدولة الفاطمية في مصر ، وكيف صارت مقرا للخلافة الإسلامية ومدى ازدهار مصر سياسيا خلال العصر الفاطمي ، كما تحدثت عن نهاية الفاطمية .

وتناولت بالدراسة مظاهر الحضارة في مصر خلال تلك الفترة ، حيث تحدثت عن نظام الحكم والإدارة والنظم الحربية والحياة الثقافية ، وكذلك الحياة المعمارية وما حوته من بناء مدن عديدة بجانب المساجد والجوامع وغيرها ، ثم تحدثت عن مظاهر الحية الاقتصادية والنظم الحربية ، وكذلك النظام المالي ومظاهر الحياة الاجتماعية والمساوئ والمجاعات والأوبئة .

وبين يدي القارئ والطالب معلومات طيبة نسأل الله أن أكون قد وفقت في إعطاء صورة صحيحة عن تاريخ مصر الإسلامية وحضارتها ، وعسى أن يكون هذا العمل إسهاما متواضعا في تاريخ مصرنا الحبيبة خلال فترة تنوعت فيه الحكومات الإسلامية ما بين الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والدولة الطولونية والدولة الإخشيدية واختتمت بالخلافة الفاطمية .

والله المستعان وهو خير معين

د/ إبراهيم القلا



حالة مصر قبيل الفتح الإسلامي

تمهيد

حالة مصر قبيل الفتح الإسلامي

كانت مصر قبيل الفتح الإسلامي ولاية بيزنطية ، وقد ساءت أحوالها كثيرا في ظل هذا الحكم ، حيث أن الأباطرة البيزنطيين لم يدخروا وسعا للحصول على أكبر قدر ممكن من الضرائب التي كان عبؤها يقع على كاهل المصريين دون غيرهم ، واضطربت أمورها الدينية بسبب تطرف أباطرة بيزنطة في اضطهاد المصريين لإقبالهم الشديد على اعتناق المسيحية ، كما أن الشعب المصري لم يكن له حق الاشتراك في حكم بلاده أو الجيش ، ولم تكن اللغة المصرية هي اللغة الرسمية ، وإنما كانت اللغة اليونانية هي لغة الحكومة منذ عصر البطالمة حتى الفتح الإسلامي .

ولذا كانت مصر أكثر الولايات البيزنطية استعدادا للدخول في حوزة المسلمين واعتناق الإسلام ، وذلك لأسباب عديدة منها الآتي :

الأسباب الدينية :

اعتنق المصريون المسيحية وتحمسوا لهذا الدين الجديد لبعث شعورهم القومي وإبراز كيانهم ، ولذا كان من الطبيعي أن تلقي هذه الديانة الجديدة العداء من أباطرة بيزنطة الوثنيين اعتبار من حكم الإمبراطور سفيروس (١٩٣ - ٢١١م) الذي شن حملة اضطهاد واسعة النطاق ضد معتنقي المسيحية سنة ٢٠٢م [١]، وظلت المسيحية تلقي اضطهادا كثيرا حتى ولي العرش البيزنطي الإمبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤- ٣٠٥م الذي بلغ الاضطهاد أقصاه خلال فترة حكمه ، ويدل على ذلك أن الكنيسة القبطية بدأت تقويمها المعروف بتقويم الشهداء بالسنة الأولى من حكمه أي سنة ٢٨٤م [٢]، وذلك إشارة إلى ما عاناه الأقباط في تلك السنة من أذى .

١- رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، القاهرة ١٩٨٢، جـ٢ ص ٣٤.
٢- سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ، تاريخ المصريين ، ص ١٤ ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨، ص١٣ ، ١٤ .

ويذكر المؤرخون لهذه الفترة أنه في سنة ٣٠٠م كانت مصر بلدا وثنيا في جوهرها ، بينما أصبحت في سنة ٣٣٠م بلدا يدين معظم أهله بالمسيحية ، ولعل ذلك راجع لتحقيق المسيحية بعض الانتصارات كما أن بعض الأباطرة أوقف الاضطهادات ، وعلى الرغم من ذلك نشأت الخلافات المذهبية حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام وعقدت المجامع واحتدم النقاش فيها ، وبلغ النزاع بين كنيستي الإسكندرية والقسطنطينية أقصاه ، وعقد مجمع خلقدونية Chalcedon بآسيا الصغرى سنة ٤٥١م، وأقر ما ذهبت إليه كنسية القسطنطينية بأن للمسيح طبيعتين وقرر بأن مذهب الكنيسة المصرية القائل بأن للمسيح طبيعة واحدة كفر وخروج على الدين الصحيح .

كما قرر المجمع أيضا حرمان ديسقورس بطريرك الإسكندرية من الكنيسة مما أمضى إلى اتخاذ الخلاف الديني في مصر شكلا قوميا ، ورفض ديسقورس وشعب مصر ما أقرؤه مجمع خلقدونية ، وأطلقوا على أنفسهم أسم الأرثوذكس أي أتباع الديانة الصحيحة.

وعرفوا أيضا باسم اليعاقبة نسبة إلى يعقوب البرادعي أسقف مدينة الرها في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ، أما أتباع الكنيسة البيزنطية فقد عرفوا بعد الفتح الإسلامي باسم الملكانيين لاعتناقهم المذهب الملكي أو الإمبراطوري الذي ينادي بالطبيعتين .

ومن هنا اتسمت العلاقات بين الجانبين بكثير من العنف والاضطهاد ، وساءت أحوال البلاد ، واضطربت الأمور الدينية فيها ، وتفجر الصراع المذهبي بينها وبين السلطة الحاكمة [1] .

١- وهيب عطا الله جرجس : تعاليم كنيسة الإسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح ، القاهرة ، ١٩٦١، ص ١٥
اسحق عبيد : الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، مع دراسة في مدينة الله ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ٨٨.

وقد قابل المصريون الاضطهاد الديني بالمقاومة الايجابية أحيانا ، ولكن الغالبية العظمى من الشعب المصري لجأت إلى المقاومة السلبية ، وذلك بالفرار من المعابد والأديرة وهجر قراهم ومزارعهم ، مما أدى إلى انتشار الفوضى في البلاد واضطراب مرافقها الاقتصادية [1] كما سيتضح .

الأحوال الاقتصادية :

إن أول ما يلفت نظر القارئ في حالة مصر الاقتصادية خلال القرن السابع الميلادي هو ظهور الضياع الكبيرة التي تملكها الأسر النبيلة ، ويتضح ذلك من خلال أوراق البردي التي تعطينا معلومات وفيرة عن بعض الأسر التي امتلكت جهاز إداريا خاصا بها مثل الكتبة والمحاسبين ومحصلي الضرائب ، بل كان لها جيش خاص لحماية أملاكها ، وبعض المراكب النيلية ، وكانت هذه الأسر في البهنسا والأشمونيين والإسكندرية .

وبصفة عامة ساءت حالة مصر الزراعية وساءت حالة الفلاحين ، فقد صاروا العبيد البؤساء .... والملاك الصغار والسكان المساكين ، وصارت القرية تعسة ، وأصبح الفلاح يلتمس رفع المظالم عنه ، وأنهكت أنواع الضرائب كواهل المصريين في الوقت الذي أعفى فيه كبار الملاك مما أثار شكوى الفلاحين وتذمرهم مما اضطر الكثير منهم لوضع أنفسهم تحت حماية أمير الأمراء وهو ما عرف بـ (نظام الحماية) [2] ، واضطر فريق أخر إلى هجر قراهم ومزارعهم .

ومن أمثلة الضرائب التي فرضها البيزنطيون واستعملوا القسوة في تحصيلها الآتي :

١- سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ، ص ٩.
٢- محمد حمدي المناوي:مصر في ظل الإسلام من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، القاهرة،١٩٧٠م، جـ١ص٢.

- ضريبة الرءوس وكانت تفرض على كل سكان مصر من الذكور الذين يتراوح عمرهم بين أربع عشرة وستين عاما ، ما عدا فئات ممتازة معفاة من هذه الضريبة ، وهم الروم المقيمون في مصر ، وأبناء الجند الإغريق ، وعدد من القسس ، ومواطني الإسكندرية ، واليهود .
- ضريبة سنوية كانت تفرض على جميع الحيوانات .
- ضريبة شهرية كانت تجبي من التجار .
- كان صيد السمك والطيور لا يتم إلا برخصة .
- كانت الحكومة تجبي ضريبة على البضائع المصنعة في كل مصنع قبل خروجها .
- ضريبة على من لا يقم بأعمال السخرة في حفر الترع وتطهيرها .
- ضريبة على أثاث المنازل .
- ضريبة على الحمامات العامة .
- ضريبة التاج ، وتدفع عند توليه إمبراطورية جديد .
- ضريبة تدفع عند إقامة تمثال أو بناء معبد الإمبراطورية .
- ضريبة على التجار المارة في النيل .
- ضريبة على الأسواق .

هذه أنواع متعددة من الضرائب التي كانت تفرضها الحكومة البيزنطية على البلاد ، وكانت تقع على كاهل صغار الملاك والفرحين ، مم جعل طبقة صغار الملاك تختفي تدريجيا.

والأسوأ من ذلك أن الأموال المحصلة من هذه الضرائب كانت لا تصرف في تحسين مرافق الدولة ، بل أخذت طريقها إلى خزينة الدولة البيزنطية تلك الدولة التي اعتبرت مصر حقلا ومخزنا للغلال يزودونها باحتياجاتهم .

كما اعتبرت مصر مصدرا لجباية الضرائب والحصول على حاجات الإمبراطورية من الأموال ، مما أدى إلى إهمال شئون الزراعة وتأخر الصناعة وانحطاط التجارة وفساد أحوال مصر الاقتصادية بوجه عام .

الأحوال الإدارية والعسكرية :

عمل التقسيم الإداري لمصر خلال تلك الفترة على إضعاف سلطة الدولة بها فقد كانت مصر مقسمة إلى خمسة أقسام إدارية كبرى هي :

- ***الإسكندرية*** : كانت أهم هذه الأقسام، باعتبارها عاصمة مصر في العصر البيزنطي، ومقر لحاكم البيزنطي العام .
- ***شرق الدلتا*** : وتشمل المنطقة الواقعة شرق فرع دمياط حتى حدود مصر مع الشام .
- ***غرب الدلتا*** : وكانت تسمى بليبيا .
- ***مصر الوسطى*** : ومنها إقليم الفيوم .
- ***مصر العليا*** : وكانت تمتد حتى أخر حدد مصر الجنوبية [1] .

ولم تكن هناك وحدة إدارية تربط بين كل هذه الأقسام ، إذ كانت سلطة الحاكم البيزنطي بالإسكندرية ضعيفة .

وكان يحكم كل إقليم أمير يعرف في المصطلح البيزنطي باسم الدوقي [2] ، بل ترتب على هذا التقسيم الإداري لمصر تحت حكم الدولة البيزنطية أن أصبح لكل من هذه الأقسام حاكم يتولى إدارة شئون الإقليم ، ويكاد يكون مستقلا بشئون إدارته وأصبح لكل إقليم جيشه الخاص ، وهذا يعني أن جيش مصر كانت جيشا إقليميا اقتصرت مهمته على

١- سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ص ١٧ .
٢- بل : مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ترجمة عبد اللطيف أحمد على ، محمد عواد ، القاهرة ١٩٤٥م ص ٢٣٩ .

الدفاع عن الجهات التي يرابط فيها ، وكان بعضهم من المصريين المجندين بعد أن قامت الدولة البيزنطية بتغيير سياستها التي اتبعتها في أول الأمر وهي عدم تجنيد المصريين في الجيش [1] .

ولم يكن لهذا الجيش من الصفات العسكرية إلا حظ ضئيل وكانت مهمة أفراد الجيش الرئيسية هي مساعدة الموظفين في أعمالهم والقضاء على قطاع الطرق ، والاشتراك في جباية الضرائب ، وإخماد الثورات الدينية [2] ، ولذا ضعفت الناحية الحربية بسبب عدم الوحدة والانسجام حيث كان يخضع لخمسة قواد في مصر كلهم على قدم المساواة .

ولذلك عندما جاء العرب فاتحين لمصر لم يقاتلوا جيشا موحدا بل كان لكل إقليم جيش ينتظر ظهور العرب في إقليمهم ليدافعوا عنه [3] .

الأحوال الاجتماعية :

أصاب الخلل أيضا البناء ، حيث أعتبر المصريون الطبقة السفلى من طبقات المجتمع ، وترتب على ذلك قيامهم بأشد الالتزامات قسوة وإجحافا ، وحرمانهم من حقوقهم الاجتماعية ، بجانب معاملتهم معاملة سيئة للغاية .

هكذا كان حال المصريين الضعفاء ، بينما كان الحال على النقيض تماما بالنسبة للجاليات الأخرى مثل الروم واليونانيين واليهود وخاصة الذين كانوا يقطنون مدينة الإسكندرية ، حيث كانت بمثابة مدينة يونانية ، وكان سكان البلاد من المصريين يعدون التوجه إليها بمثابة رحيلا عن مصر وخروجا منها . إذ اشتهرت الإسكندرية بالبذخ والثراء خلال تلك الفترة [4] .

١- أحمد عبد الرازق تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٣، ص ١٧.
٢- سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ، ص١٨.
٣- محمد حمدي المناوي:مصر في ظل الإسلام ، ص٤.
4 -Devonshire L'Egypte musulmane et les fondaters des ses Mony ments le Caire. 1982.P18..

وكانت على العكس من بقية أجزاء مصر التي كانت بمثابة أقاليم الزراعية تتقاسم فيها أسر قوية ، على حين أصبح الفلاح عبد تحت حماية الملاك الأقوياء الذين ابتزوا أموال البلاد ، دون رعاية شئونها أو إصلاح أمورها ، ولذا انقطعت علاقة العطف على الشعب (1) .

وهكذا صار المصريون غرباء في بلادهم يقدمون ثرواتها للمستعمرين ، وتعاونت هذه الأسباب جميعها على إضعاف مصر ، وبدت مصر متهالكة وضعيفة بعد أن اختلت أحوالها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وهيأت هذه الأسباب البلاد لتقبل العربي الإسلامي لمصر وانتقال السلطة من أيدي البيزنطيين إلى أيدي العرب .

دوافع الفتح الإسلامي لمصر :

نجحت الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق ﷺ في إنزال ضربات متوالية للإمبراطوريتين الفارسية والرومانية ، حيث انتصر المسلمون على الروم في موقعة أجنادين سنة ١٣هـ / ٦٣٤م (2) ، ثم أذعنت لهم دمشق وحمص سنة ١٥هـ / ٦٣٦م بعد أن تولى الخلافة عمر بن الخطاب ﷺ (3) ، وتعرض جيش بيزنطية لهزيمة ساحقة في موقعة اليرموك سنة ١٥هـ / ٦٣٦م (4) ، وأزال العرب ملك الأكاسرة في فارس عقب انتصارهم في موقعة القادسية أواخر سنة ١٦هـ / ٦٣٧م ، واستولوا على عاصمتهم المدائن ، وتمكن المسلمون من الاستيلاء على عكا وصيدا وبيروت وصور واللاذقية ١٧هـ/ ٦٣٨م(5) ، وخضعت

١- ابن عبد الحكيم : فتوح مصر ، ص٥٣ ، الكندي : كتاب الولاة ، ص ٦، ٧ .
٢- اليعقوبي : تاريخه ، ص ١٣٤ .
٣- اليعقوبي : تاريخه ، ص ١٤١ .
٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٣٨.
٥- اليعقوبي : تاريخه ، ص ١٤٧، أبو زيد شلبي : الخلفاء الراشدون ، ص ١٤١.

إنطاكية وبيت المقدس سنة ١٨هـ / ٦٣٨م ثم ماردين وميافارقين سنة ٢٠هـ / ٦٤٠[١]، وبذلك لم يبق لبيزنطة سوى أملاكها في مصر وشمال إفريقية وجاء دور مصر بعد ذلك .

وعند فتح بيت المقدس سنة ١٧هـ / ٦٣٨م فوتح الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في موضوع فتح مصر أثناء وجوده في الجابية ، وكان عمرو ابن العاص أكثر القادة تحمسا وأشدهم حرصا لتنفيذ هذا الموضوع لما كان يعرفه عن رخاء مصر وكثرة ثرواتها ، كما أنه أدرك ضعف مصر في ذلك الوقت ، وضرورة فتحها لتأمين سلامة العرب في بلاد الشام وحرمان البيزنطيين من اتخاذها قاعدة ومركزا للهجوم من جديد على بلادهم الشام [٢] .

بجانب أن العرب كانوا على تام بثراء مصر وخصبها حيث أتى إليها الكثير منهم للاتجار في أيام الجاهلية مثل عمرو بن العاص، وعثمان بن عفان [٣] والمغيرة بن شعبة ، هذا بجانب المثير من الأعراب الذين كانوا يفدون إلى الصعيد عن طريق البحر الأحمر ووديان الصحراء الشرقية ، بدليل أن بعض المؤرخين ذكر أن مدينة فقط تعتبر نصف عربية[٤] .

فكر الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ كثير في مشروع فتح مصر وتريث في إجابة عمرو بن العاص ، وربما كان لضخامة هذا المشروع ، ويذكر أن عمرو بن العاص سار لفتح مصر وكان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ لا يزال مترددا ، واتفق معه أنه سوف يرسل له كتابا وقال له :" فإن أدركك كتابي وأمرتك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها ، فانصرف ، وإن كنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابي ، فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره " ، ولم يتسلم عمرو بن العاص الكتاب من رسول الخليفة إلا بعد أن دخل أرض مصر ليمض قدما في مشروعه حتى ولو كان الخليفة قد أمره بالانصراف عنها [٥] .

١- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٤٥.
٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٥٣، الكندي : كتاب الولاة ، ص ٦، ٧ .
٣- السيوطي : حسن جـ١ ص ٩٢
٤- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ص ٢٢.
٥- الكندي : ولاة مصر ، ص ٣١.

خطة فتح مصر :

خرج عمرو بن العاص من قيسارية بفلسطين على رأس جيش صغير يتراوح بين ثلاثة آلاف مقاتل وخمسمائة إلى أربعة آلاف مقاتل [1] ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م متخذا الطريق الذي سلكه معظم غزاة مصر ، وهو طريق الصحراء الشرقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط متجنبا في نفس الوقت فروع النيل ، حتى وصل العريش التي استولى عليها في ذي الحجة سنة ١٨هـ / ديسمبر ٦٣٩م وبها احتفل الأضحى [2] ، ومنها سار متجها نحو الفرما التي استطاع الاستيلاء عليها بعد حصار لم يستمر أكثر من شهر واحد ، ثم قرر بعد ذلك هدم أسوارهم وحصونها حتى لا يضطر لترك حامية فيها مع قلة عدد الجند وصغر جيشه ، وكان ذلك أوائل سنة ١٩هـ / ٦٤٠م.

ثم واصل سيره حتى وصل المدينة بليس في النصف الأول من محرم سنة ١٩ هـ / يناير ٦٤٠م ، فحاصرها نحو شهر أخر حتى تمكن من هزيمة حاميتها من الروم والاستيلاء عليها بعد قتال شديد خسر فيه العرب عدد من جنودهم ، كما خسر البيزنطيون ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير [3] .

وبذلك تقدم عمرو على رأس جيشه بخطى ثابتة نحو نهر النيل بعد أن انفتح الطريق أمامه على مصراعيه إلى رأس الدلتا حتى وصل أم دنين - وهي قرية كانت تقع على النيل شمال حصن بابليون [4] ، وهناك نشب قتال شديد بين العرب والروم أرغمهم عمرو على التحصن بحصن بابليون - وحصن بابليون الذي بناه الإمبراطور تراجان (٩٨- ١٧٧م) ، فهو يعرف في المصادر العربية باسم حصن الشمع لأنه كان يوقد عليه الشمع في بداية كل شهر ، كما عرف بحصن باب اليون [5]، وأدرك القائد الروماني تيودور وكذلك المقوقس

١- ابن الحكم : فتوح ، ص٥١ ، البلاذي : فتوح البلدان ، ص٢١٢.
٢- محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ص ١٠.
٣- بتلر: فتح العرب لمصر ، ص ١٥٩.
٤- المقريزي : الخطط ، جـ١، ص ٢٨٩.
5 -WietL'Egypte Musulmane P.109

خطورة الموقف ، حيث سارع المقوقس بحفر خندق حول هذا الحصن وعمل على تعبئة الجيوش البيزنطية به لمواجه العرب ، حيث أن بابليون من أعظم مراكز مصر ، وذلك لموقعها على رأس الدلتا وكونها على الطريق الموصل إلى مدينة الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت ، وأحس عمرو بدوره بعظم المقاومة في هذه البقعة فأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستنجد به ، ثم اتجه نحو الفيوم انتظارا لوصول المدد [1] ، حيث قضى في غزوه بضعة أسابيع قدم خلالها المدد الذي بلغت عدته أربعة آلاف رجل [2] ، على رأسهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد .

ويذكر البعض خارجة بنت حذاقة بدلا من مسلمة بن مخلد ، وقد وصفهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بأن الواحد منهم يعادل ألفا [3] .

وبعد وصول الإمدادات ارتفعت الروح المعنوية للعرب وقويت عزائمهم وبدأ عمرو يعد العدة للمعركة الفاصلة مع الروم في مصر.

تأكد عمرو أن أمر الروم سيطول خلف أسوار الحصن ، ولذا عمل على جذبهم خارج الحصن ليقاتلوه على أرض مفتوحة ، ولما خرجت القوات البيزنطية سار عمرو مع معظم جيشه للقائهم بعد أن قسم جيشه إلة مجموعة من الفرق ونصب الكمائن خلف تلال رملية، حيث جعل كل فرقة تهاجم الحصن وتتظاهر بالانهزام فيتتبعها الروم ، وهنا تبرز الفرق الأخرى من مكمنها فتهاجم الروم وتنقض عليهم ، فتحصن الكثير منهم بالحصن مرة أخرى [4] ، وهامت جموع كثيرة منهم في مصر السفلي ، وهكذا لحقت الهزيمة بالروم فيما عرف بموقعة عين شمس وهي التي حدثت في رجب ١٩هـ / يوليو ٦٤٠م [5] ، وهذا ما جعل العرب يضربون الحصار حول الحصن ، واستمر هدا الحصار بضعة أشهر ضعفت خلالها

١- بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٦٢.
٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٥٦ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٨٩.
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٥٦.
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٨٩
٥- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٣.

خطة فتح مصر :

خرج عمرو بن العاص من قيسارية بفلسطين على رأس جيش صغير يتراوح بين ثلاثة آلاف مقاتل وخمسمائة إلى أربعة آلاف مقاتل [١] ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٨هـ/ ٦٣٩م متخذا الطريق الذي سلكه معظم غزاة مصر ، وهو طريق الصحراء الشرقية على ساحل البحر الأبيض المتوسط متجنبا في نفس الوقت فروع النيل ، حتى وصل العريش التي استولى عليها في ذي الحجة سنة ١٨هـ / ديسمبر ٦٣٩م وبها احتفل الأضحى [٢] ، ومنها سار متجها نحو الفرما التي استطاع الاستيلاء عليها بعد حصار لم يستمر أكثر من شهر واحد ، ثم قرر بعد ذلك هدم أسوارهم وحصونها حتى لا يضطر لترك حامية فيها مع قلة عدد الجند وصغر جيشه ، وكان ذلك أوائل سنة ١٩هـ / ٦٤٠م.

ثم واصل سيره حتى وصل المدينة بليس في النصف الأول من محرم سنة ١٩ هـ / يناير ٦٤٠م ، فحاصرها نحو شهر أخر حتى تمكن من هزيمة حاميتها من الروم والاستيلاء عليها بعد قتال شديد خسر فيه العرب عدد من جنودهم ، كما خسر البيزنطيون ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير [٣] .

وبذلك تقدم عمرو على رأس جيشه بخطى ثابتة نحو نهر النيل بعد أن انفتح الطريق أمامه على مصراعيه إلى رأس الدلتا حتى وصل أم دنين - وهي قرية كانت تقع على النيل شمال حصن بابليون [٤] ، وهناك نشب قتال شديد بين العرب والروم أرغمهم عمرو على التحصن بحصن بابليون - وحصن بابليون الذي بناه الإمبراطور تراجان (٩٨- ١٧٧م) ، فهو يعرف في المصادر العربية باسم حصن الشمع لأنه كان يوقد عليه الشمع في بداية كل شهر ، كما عرف بحصن باب اليون [٥]، وأدرك القائد الروماني تيودور وكذلك المقوقس

١- ابن الحكم : فتوح ، ص٥١ ، البلاذي : فتوح البلدان ، ص٢١٢.
٢- محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ص ١٠.
٣- بتلر: فتح العرب لمصر ، ص ١٥٩.
٤- المقريزي : الخطط ، جـ١، ص ٢٨٩.
5 -WietL'Egypte Musulmane P.109

خطورة الموقف ، حيث سارع المقوقس بحفر خندق حول هذا الحصن وعمل على تعبئة الجيوش البيزنطية به لمواجه العرب ، حيث أن بابليون من أعظم مراكز مصر ، وذلك لموقعها على رأس الدلتا وكونها على الطريق الموصل إلى مدينة الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت ، وأحس عمرو بدوره بعظم المقاومة في هذه البقعة فأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستنجد به ، ثم اتجه نحو الفيوم انتظارا لوصول المدد [١] ، حيث قضى في غزوه بضعة أسابيع قدم خلالها المدد الذي بلغت عدته أربعة آلاف رجل [٢] ، على رأسهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد .

ويذكر البعض خارجة بنت حذاقة بدلا من مسلمة بن مخلد ، وقد وصفهم الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بأن الواحد منهم يعادل ألفا [٣] .

وبعد وصول الإمدادات ارتفعت الروح المعنوية للعرب وقويت عزائمهم وبدأ عمرو يعد العدة للمعركة الفاصلة مع الروم في مصر.

تأكد عمرو أن أمر الروم سيطول خلف أسوار الحصن ، ولذا عمل على جذبهم خارج الحصن ليقاتلوه على أرض مفتوحة ، ولما خرجت القوات البيزنطية سار عمرو مع معظم جيشه للقائهم بعد أن قسم جيشه إلة مجموعة من الفرق ونصب الكمائن خلف تلال رملية، حيث جعل كل فرقة تهاجم الحصن وتتظاهر بالانهزام فيتتبعها الروم ، وهنا تبرز الفرق الأخرى من مكمنها فتهاجم الروم وتنقض عليهم ، فتحصن الكثير منهم بالحصن مرة أخرى [٤] ، وهامت جموع كثيرة منهم في مصر السفلي ، وهكذا لحقت الهزيمة بالروم فيما عرف بموقعة عين شمس وهي التي حدثت في رجب ١٩هـ / يوليو ٦٤٠م [٥] ، وهذا ما جعل العرب يضربون الحصار حول الحصن ، واستمر هذا الحصار بضعة أشهر ضعفت خلالها

١- بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ١٦٢.
٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص٥٦ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٨٩.
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٥٦.
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٢٨٩.
٥- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٣.

الروح المعنوية لقوات الروم ولم يعد أمامهم سوى مقاومة العرب على فك الحصار وانتهز المقوقس (قيرس) ارتفاع النيل وصعوبة اقتحام المسلمين للحصن وانتقل إلى جزيرة الروضة ودخل في مفاوضات سرية مع عمرو مستهدفا إنقاذ موقف البيزنطيين المتدهور، وعقد صلحا مع العرب مقابل أن يبذل لهم مبلغا من المال [١]. ولكن عمرو رفض هذا العرض وخيرهم بين أشياء ثلاثة - الدخول في الإسلام - أو دفع الجزية - أو القتال ، وبالرغم من هذا عاد قيرس للمفاوضة مرة أخرى مما جعل عمرو يرسل إليه وفدا على رأسه عبادة بن الصامت ، وفي صدى المفاوضة عرض قيرس أن يبذل لكل فرد من القوات العربية دينارين ولعمرو ثلاث مائة ، ويرسل إلى خليفتهم بألف دينار مقابل انسحاب العرب وعودتهم لبلاهم [٢] ، ورفض الوفد العربي هذا العرض بشدة كما رفض كبار الروم داخل الحصن الإذعان لمطالب المسلمين واستؤنف القتال من جديد بين الفريقين حتى سلم الروم في النهاية [٣] ، ويقال أن العرب فتحوا الحصن عنوة دون أن تحدث مفاوضات وذلك بفضل بسالة الزبير بن العوام [٤] ، الذي تسور الحصن على سلم واعتلى سوره وكبر فكبر المسلمون وصعدوا خلفه السور لينقصوا على من فيه ، وخيل للبيزنطيين داخل الحصن أنم المسلمين اقتحموا الحصن عليهم ودخلوه ، ومن خاف قائد الحامية بالحصن على أرواحهم وطلب من عمرو الصلح ، وعقدت بين الطرفين معاهدة عرفت باسم معاهدة بابليون الأولى سنة ١٩هـ / ٦٤٠م [٥]. وأهم شروط المعاهدة الآتي :

١. أن يخرج رجال الحامية من الحصن في ثلاثة أيام .
٢. أن يرحلوا عن طريق النهر ويحملوا معهم ما يلزمهم من المؤن ما يكفيهم لبضعة أيام وكانت وجهتهم نحو الإسكندرية .

١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٦١.
٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٦١.
٣- المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص ٢٩٠.
٤- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢١٣.
٥- سيدة كاشف : مصر في الإسلام ، ص ١٢.

٣. أن يسلموا الحصن وما فيه من أسحلة وآلات الحرب للعرب .

٤. أن يدفع أهل مدينة مصر المجاورة للحصن الجزية [١] .

وهكذا سقط حصن نابليون في يد العرب وكانت بابليون من أهم المراكز المصرية إن لم تكن أهمها جميعا نظرا لموقعها على رأس الدلتا ، ولكونها على الطريق الموصل إلى الإسكندرية عاصمة البلاد في ذلك الوقت .

والحصن منيع كما يقع على النيل ، وكان سمك جدرانه ثمانية عشر قدما ويتخلل أسواره عدة أبواب ، وأمامه جزيرة الروضة ذات الحصون القوية التي تعد مركز إمدادات للحصن ، والحصن بوجه عام كان غاية في القوة والمنعة .

إتمام الفتح العربي الإسلامي لمصر :

بعد إتمام عمرو بن العاص السيطرة على حصن بابليون والمناطق المجاورة له كان شديد الرغبة في السير بجنوده نحو الإسكندرية ، حيث كان فتحها مهما لدى المسلمين كفتح بيت المقدس [٢] ، وذلك لأن إتمام الفتح العربي الإسلامي لمصر كان منوطا بفتح الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت .

ويؤكد ذلك الكندي بقوله : " لما حاز المسلمون الحصن بما فيه أجمع عمرو على السير إلى الإسكندرية ، فسار إليها في ربيع أول سنة ٢٠هـ / ٦٤١م [٣] .

وكان عمرو قد كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه في الزحف إليها ، فأذن له بذلك [٤] ، وخرج مع عمرو جماعة من القبط يقدمون له العون من خلال إرشاده إلى الطرق المؤدية إلى المدن والقرى ، وتقديم المؤن لهم والأعراف لخيولهم [٥] .

١- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص ٩٥.

٢- الكندي : ولاة مصر ص٣٣، عبد الرحمن الرافعي : مصر في العصور الوسطى منذ الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م ، ص ٢٧.

٣- الكندي : ولاة مصر ص٣٣.

٤- البلاذري : فتوح البلدان ، جـ١ ، ص ٢٦٠، سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ٥١

٥- ابن عبد الحكيم : فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي القاهرة، ص ٧٣، النويري: نهاية الأرب، جـ ١٩، ص ٣٢.

وبدأ العرب سيرهم على الضفة الغربية لفرع رشيد من ناحية الصحراء الغربية ، حيث يعد هذا الطريق مجالا أوسع لخليهم ومناسبا لتقدمهم نحو الإسكندرية (١) .

وكانت قرية نقيوس (٢) . هي أولى القرى التي قصدها عمرو أثناء سيرة للإسكندرية ، فهاجمها وتمكن من الاستيلاء على حصونها بعد أن فر منها العديد من جند الروم مع قائدهم " دومنتيانوس " الذي كان متوليا شئون الدفاع عنه (٣) .

وواصل عمرو سيره عبر غرب الدلتا متوجها صوب الإسكندرية ، فلم يلق أحدا من جند الروم حتى بلغ " ترنوط " (٤) ، فلقي بها حامية رومانية جرت بينهم وبينه مناوشات كانت الغلبة بهدها للمسلمين (٥) ، وبعد سيطرة العرب على ترنوط أرسل عمرو كتيبة من جنوده يقودها شريك بن سمي المرادي لتتبع أثر الروم الفارين من نقيوس وترنوط ولحق بهم عمد كوم شريك(٦)، وهناك دارت بينهما معركة ضارية انتهت بهزيمة الروم وفرارهم(٧).

وأثناء مواصلة عمرو سيره نحو الإسكندرية متتبعا الطريق إلى الشمال الغربي من ناحية الصحراء الغربية حتى الدلنجات ، قدم إليه أهالي رشيد وحلة والخضوع لحكم العرب دون قتال (٨) .

ثم واجه عمرو جموعا من الروم الفارين من المناطق التي استولى عليها العرب فاعترضوا سبيله مرة ثانية عند مدينة سلطيس (٩)، حيث نشبت بها معركة انتهت بهزيمة الروم (١٠)، بعد أن تركوا المدينة فارين نحو الشمال ، حيث استقروا عند مدينة الكريون(١١)،

١- بتلر : فتح العرب لمصر ، ٢٤٩.
٢- نقيوس : هي قرية بين الإسكندرية ورشيد ، تقع على شاطئ الشرقي لفرع رشيد .
٣- بتلر : فتح العرب لمصر ، ٢٤٩.
٤- ترنوط : هي قرية من أعمال محافظة البحيرة الحالية تقع على الجانب الغربي لفرع رشيد .
٥- النويري : نهاية الأرب ، جـ ١٩، ص٣٠٢ ، المقريزي : الخطط ، جـ١، ص ١٦٣.
٦- كوم شريك : هي قرية ما زالت موجودة حتى اليوم بمركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة على بعد ستة عشر ميلا .
٧- المقريزي : الخطط ، جـ١، ص ١٦٣.
٨- الواقدي : فتوح الشام الطبعة الثانية / المطبعة الأزهرية بالقاهرة ١٩٣٤، جـ٢ ص ٥٤ .
٩- هي مدينة تابعة لمركز دمنهور حاليا ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان .
١٠- بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٧٤، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ص ٢١٨ .
١١- الكربون : هي مدينة كبيرة ، من أعمال محافظة لبحيرة الحالية تقع على خليج الإسكندرية .

وكان بها القائد الروماني " تيودور " الذي ازدادت قوته ، وقويت شوكته بعد أن أتته الجموع الهاربة من المدن والقرى المجاورة بعد استيلاء العرب عليها مثل نقيوس ، وبلهيب ، والخيس ، وترنوط ، وسلطيس ، وغيرها [١] .

وبالكريون عول الروم على الوقوف أمام العرب وقفتهم الأخيرة قبل أن يتقهقروا إلى الإسكندرية ، وكان على مقدمة الجيش العربي عبد الله بن عمرو بن العاص ، وحامل لوائه وردان مولى عمرو ، وبعد معركة عنيفة تكبد فيها الجانبان خسائر جسيمة تمكن العرب من السيطرة على الكريون والاستيلاء على حصنها المنيع [٢]، وفر العديد من الروم إلى الإسكندرية وبقي العرب بالمدينة عدة أيام للاستراحة من عناء الحروب المتتالية ، ثم تقدم عمرو بالجيش العربي صوب الإسكندرية التي أشرف على أسوارها بعد أيام قلائل [٣]، وحمل على أسوارها ولكنه ارتد عقب أول هجوم ، حيث أدرك استحالة السيطرة عليها لمناعتها وقوة حاميتها من الروم وغيرها ، والتي كان عددها يصل للآلاف [٤].

واضطر العرب للوقوف على مشارف المدينة لقطع الاتصال بينها وبين المدن والقرى المحيطة بها ومنع الإمدادات من الوصول إليها ، وعسكروا في موضع ما بين الحلوة وقصر فارس - وهو موقع بشرق الإسكندرية ، وكان معهم بعض القبط يمدونهم بما يحتاجون إليه من المؤن والأعلاف ، واستمروا بهذا الموضع فترة كان القتال فيها عبارة عن تراشق بالسهام من بعيد أو مبارزة فردية بالسيف كانت غالبا ما تنتهي بانهزام الروم [٥] .

وبالإضافة لمحاولات عمرو فتح الإسكندرية فإنه وجه بعض سرايا لإخضاع مدن وقرى مصر السفلي ، وبعد السيطرة على العديد منها عاد ثانية وشدد الحصار على الإسكندرية ، واستمر في ذلك عدة أشهر [٦]، وبعدها تم له فتحها بعد معركة عنيفة [٧].

١- البلاذري : **فتوح البلدان** ، ص ٢٦ النويري : نهاية الأرب ، جـ ١٩، ص ٢٠٣ .
٢- الكندي : **ولاة مصر** ص٣٣ .
٣- بتلر : **فتح العرب لمصر** ، ص ٢٧٥، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، ٢١٩ .
٤- سالم : **تاريخ الإسكندرية** ، ص ٥١ ، أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ٢٦ .
٥- ابن عبد الحكم : **فتوح مصر** ص ٧٥- ٧٧ ، النويرى : نهاية الأرب ، جـ١٩ ، ص ٢٠٣ .
٦- البلاذي : **فتوح البلدان** ، ص ٢٥٩ ، الكندي : ولاة مصر ، ص٣٣ .
٧- حسين مؤنس : **تاريخ الإسلام** ،ص ١٣٣.

واستخلف عليها عبد الله بن حذافة وترك معه حامية من المسلمين بلغ عددهم ألف رجل[1]، ثم مضى ومن بقى معه من جند العرب في طلب من هرب من الروم في البر، حيث كان البعض منهم قد فر إلى البحر البعض قد فر إلى البر، وذلك أثناء استيلائه على الإسكندرية، فعاد من كان فر منهم في البحر إلى الإسكندرية ثانية وقتلوا من كان فيها من العرب ولم ينج إلا من هرب، فلما علم بذلك عمر عاد مسرعا إلى الإسكندرية وحمل عليها ففتحها ثانية [2]، ودخلها العرب فيما بين عامي ٢٠-٢١هـ/٦٤٢م[3].

وأرسل عمرو ببشارته بالفتح للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مع أحد رجال القبائل العربية في غرب البلاد وهو معاوية بن حديج الكندي [4]، وقد اختلفت الآراء حول أسلوب فتح العرب للإسكندرية بنفسه .هناك من المؤرخين من يرى أنها فتحت صلحا [5]، وهناك فريق أخر يرى أنها فتحت عنوة [6].

إلا أن الرأي السائد أنها فتحت صلحا، حيث شاءت الأقدار أن يموت هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية سنة ٢٠هـ / ٦٤١م بعد أن عزم على الخروج لمباشرة الحرب في الإسكندرية بنفسه، مما أضعف في شوكة الروم، لذا اضطرت الإمبراطورة مارين الوصية على العرش للصلح مع العرب المسلمين [7]، وطلب قيرس الصلح من عمرو ابن العاص، ولم يكن أمام عمرو سوى الترحيب بهذا العض، وعقدت معاهدة معاهدة بابليون الثانية [8] تمييزا لها عن معاهدة بابليون الأولى، وسميت أيضا بمعاهدة الإسكندرية لأنها كانت خاصة بأهل الإسكندرية. وكان عقد هذه المعاهدة يعني سقوط الإسكندرية تمييزا لها عن معاهدة الإسكندرية لأنها كانت خاصة بأهل الإسكندرية، وكان عقد هذه المعاهدة يعني

١- البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٣٣ .
٢- الواقدي : فتوح الشام الطبعة الثانية، المطبعة الأزهرية بالقاهرة ١٩٣٤، جـ٢، ص٥٤.
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ٨٠، المقريزي : الخطط، جـ١، ص ١٦٥
٤- البلاذري : فتوح اللبلدان ث ٢٥٩، أبو المحسن : النجوم، جـ١ ص ٧٥.
٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ٧٢، الطبري : الخطط، جـ٤، ص ١٠٥ .
٦- الكندي : ولاة مصر ص ٣٣، ابن خلدون : تاريخه، جـ٢، ص١١٥، أبو المحسن : النجوم، جـ١ ص ٧٥.
٧- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ١٣
٨- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ٢٧.

سقوط الإسكندرية والتسليم بنفوذ العرب في مصر ، فعقب سقوط الإسكندرية امتد نفوذ العرب تدريجيا إلى سائر الأقاليم في مصر [1] ، وقد أمدنا يوحنا النقيوسي بشروط هذا الصلح الثمانية وهي :

١. أن تعقد هدنة بين الطرفين مدتها أحد عشر شهرا .
٢. أن يبقى العرب في مواضعهم ولا يسعوا لقتال الإسكندرية،وأن يكف الروم عن القتال
٣. أن يتم جلاء حامية الروم من الإسكندرية بأموالهم ومتاعهم عن طريق البحر أما الذي يرحل عن طريق البر فعليه أن يدفع كل شهر جزءا معلوما ما بقى في أرض مصر .
٤. ألا يسعى الروم إلى العودة إلى مصر ومحاولة استردادها .
٥. أن يدفع الجزية كل من دخل في هذا العقد .
٦. ألا يستولي المسلمون على كنائس المسيحين أو يتدخلوا في أمورهم الدينية .
٧. أن يسمح لليهود بالإقامة في الإسكندرية .
٨. أن يقدم اليهود للعرب ١٥٠ جنديا ، و٥٠ مدنيا كرهائن لتنفيذ شروط هذا الصلح [٢] .

وبفتح الإسكندرية أتم العرب السيطرة على منطقة غرب الدلتا ، وكذلك إتمام الفتح العربي الإسلامي لمصر ، حيث استقر عمرو بن العاص بعد ذلك بمقره الدائم بمدينة الفسطاط التي اختطها العرب واتخذوها عاصمة لمصر يدير منها الوالي عمرو بن العاص حكم البلاد .

١- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص١٤.
٢- يوحنا النقيوسي : تاريخ مصر ، ص ٢١١ ، ٢١٢.
Stanly : History of Egypte in the Middle Ages, London, 1936,P.11.

واستخلف عليها عبد الله بن حذافة وترك معه حامية من المسلمين بلغ عددهم ألف رجل[1]، ثم مضى ومن بقى معه من جند العرب في طلب من هرب من الروم في البر، حيث كان البعض منهم قد فر إلى البحر البعض قد فر إلى البر، وذلك أثناء استيلائه على الإسكندرية ، فعاد من كان فر منهم في البحر إلى الإسكندرية ثانية وقتلوا من كان فيها من العرب ولم ينج إلا من هرب ، فلما علم بذلك عمر عاد مسرعا إلى الإسكندرية وحمل عليها ففتحها ثانية [2]، ودخلها العرب فيما بين عامي ٢٠-٢١هـ/٦٤٢م[3].

وأرسل عمرو بشارته بالفتح للخليفة عمرو بن الخطاب ﷺ مع أحد رجال القبائل العربية في غرب الدلتا وهو معاوية بن حديج الكندي [4] ، وقد اختلفت الآراء حول أسلوب فتح العرب للإسكندرية بنفسه ،هناك من المؤرخين من يرى أنها فتحت صلحا [5] ، وهناك فريق أخر يرى أنها فتحت عنوة [6] .

إلا أن الرأي السائد أنها فتحت صلحا ، حيث شاءت الأقدار أن يموت هرقل إمبراطور الدولة البيزنطية سنة ٢٠هـ /٦٤١م بعد أن عزم على الخروج لمباشرة الحرب في الإسكندرية بنفسه ، مما أضعف في شوكة الروم ، لذا اضطرت الإمبراطورة مارين الوصية على العرش للصلح مع العرب المسلمين [7] ، وطلب قيرس الصلح من عمرو ابن العاص ، ولم يكن أمام عمرو سوى الترحيب بهذا العض ، وعقدت معاهدة معاهدة بابليون الثانية [8] تمييزا لها عن معاهدة بابليون الأولى ، وسميت أيضا بمعاهدة الإسكندرية لأنها كانت خاصة بأهل الإسكندرية ، وكان عقد هذه المعاهدة يعني سقوط الإسكندرية تمييزا لها عن معاهدة الإسكندرية لأنها كانت خاصة بأهل الإسكندرية ، وكان عقد هذه المعاهدة يعني

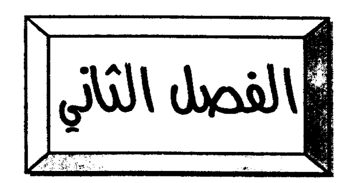
١- البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٣٣ .
٢- الواقدي : فتوح الشام الطبعة الثانية ، المطبعة الأزهرية بالقاهرة ١٩٣٤، جـ٢ ، ص٥٤.
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٨٠ ، المقيزي : الخطط ، جـ١ ، ص ١٦٥
٤- البلاذري : فتوح اللبلدان ث ٢٥٩ ، أبو المحسن : النجوم ، جـ١ ص ٧٥.
٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٧٢ ، الطبري : الخطط ، جـ٤ ، ص ١٠٥ .
٦- الكندي : ولاة مصر ص ٣٣ ، ابن خلدون : تاريخه ، جـ٢ ، ص١١٥ ، أبو المحسن : النجوم ، جـ١ ص ٧٥.
٧- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ١٣
٨- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ٢٧.

سقوط الإسكندرية والتسليم بنفوذ العرب في مصر ، فعقب سقوط الإسكندرية امتد نفوذ العرب تدريجيا إلى سائر الأقاليم في مصر [1] ، وقد أمدنا يوحنا النقيوسي بشروط هذا الصلح الثمانية وهي :

١. أن تعقد هدنة بين الطرفين مدتها أحد عشر شهرا .
٢. أن يبقى العرب في مواضعهم ولا يسعوا لقتال الإسكندرية،وأن يكف الروم عن القتال
٣. أن يتم جلاء حامية الروم من الإسكندرية بأموالهم ومتاعهم عن طريق البحر أما الذي يرحل عن طريق البر فعليه أن يدفع كل شهر جزءا معلوما ما بقى في أرض مصر .
٤. ألا يسعى الروم إلى العودة إلى مصر ومحاولة استردادها .
٥. أن يدفع الجزية كل من دخل في هذا العقد .
٦. ألا يستولي المسلمون على كنائس المسيحيين أو يتدخلوا في أمورهم الدينية .
٧. أن يسمح لليهود بالإقامة في الإسكندرية .
٨. أن يقدم اليهود للعرب ١٥٠ جنديا ، و٥٠ مدنيا كرهائن لتنفيذ شروط هذا الصلح [2] .

وبفتح الإسكندرية أتم العرب السيطرة على منطقة غرب الدلتا ، وكذلك إتمام الفتح العربي الإسلامي لمصر ، حيث استقر عمرو بن العاص بعد ذلك بمقره الدائم بمدينة الفسطاط التي اختطها العرب واتخذوها عاصمة لمصر يدير منها الوالي عمرو بن العاص حكم البلاد .

١- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص١٤.
٢- يوحنا النقيوسي : تاريخ مصر ، ص ٢١١ ، ٢١٢.
Stanly : History of Egypte in the Middle Ages, London, 1936,P.11.



انتشار الإسلام وحركة التعريب في مصر

الفصل الثاني

انتشار الإسلام وحركة التعريب في مصر

أولا : انتشار الإسلام :

دخل الإسلام مصر بدخول الجيش الإسلامي ، وقد أسلم عدد كبير من المصريين أثناء الفتح وساعدوا القوات الإسلامية في مهامها [١].

كان العرب يخيرون أهالي البلاد المفتوحة بين ثلاثة أمور هي الإسلام أو الجزية أو الحرب [٢] ، وكان الدافع لمن أسلموا هو رغبة بعضهم في اعتناق دين الطبقة الحاكمة ، كما أسلم البعض الآخر عن إيمان واعتقاد .

أخذ العرب بعد فتحهم لمصر يتحببون إلى الأقباط أملا في ضمان ولائهم وإخلاصهم ، فكان المسلمون يشتركون في عصر الولاة مع الأقباط في الصلاة من أجل النيل إذا كان الفيضان منخفضا ، كم أن الفتح ساعد على إحياء اللغة القبطية على حساب اللغة اليونانية .

وترك العرب مقاليد الأمور في يد أهل مصر من الأقباط محل الروم الذين غادروا مصر والذين كانوا يشغلون كثيرا من الوظائف ، وأصبح لهم نصيب كبير في إدارة البلاد [٣] .

تمتع الأقباط بحريتهم الدينية في ظل الحكم الإسلامي، حيث قاموا ببناء وتجديد العديد من الكنائس ، مثل كنيسة القديس مرقص التي تم بناؤها بالإسكندرية

١- يوحنا النقيوسي : تاريخ مصر رؤية الفتح الإسلامي ، ترجمة ودراسة تاريخية ولغوية ، عمر صابر أحمد خليل ، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

2 -Devonshire, L' Egypte m.p.14.

٣- سيدة كاشف : عصر الولاة ص ١١٦.

أثناء ولاية عمرو بن العاص الثانية [١] ،وشيدت أول كنيسة في الفسطاط أثناء ولاية مسلمة بن مخلد [٢].

وأثناء ولاية عبد العزيز بن مروان لمصر تم تشييد كنيستا مارجرجس وأبو قير داخل قصر الشمع وكنسية حلوان [٣] ، وشهد العصر الأموي بناء العديد من الكنائس وخاصة أثناء خلافة هشام بن عبد الملك [٤] ، كم تم تجديد كنيسة الروم زمن الخليفة المأمون العباسي .

وكان للمضايقات الاجتماعية والأدبية التي تعرض لها الأقباط أثرها في حمل بعضهم على ترك دينهم هربا منها ، وحتى يصبحوا على قدم المساواة مع المسلمين أو فرارا من الضرائب المتزايدة عليهم ، أو رغبة في الإبقاء على مناصبهم [٥].

وهذه المضايقات التي كان يتعرض لها أهل الذكمة لم تكن دائمة ، وإنما حدثت في فترات متقطعة ، كما أنها لم تكن على قدر كبير من الشدة إذا قورنت باضطهاد المسيحيين خلال عهد الإمبراطور الوثن دقلديانوس (٢٨٤/ ٣٠٥م) ، أو عهد الإمبراطور هرقل ، واضطهاد المسيحيين لإخوانهم المسيحيين المخالفين لهم في المذهب .

وهنا نتساءل إلى أي مدى تم تطبيق هذه الشروط والتعليمات التي فرضت على أهل الذمة ، فنجد أن معظم الكتابات التاريخية تذكر أن هذه الشروط كانت تحترم حين صدورها فقط ، ثم سرعان ما تتبدد ، ويؤكد ذلك كثرة المراسم والفتاوى التي كان يصدرها الخلفاء وولاة مصر الإسلامية ، فعلي سبيل المثال نجد أنه في عهد أيوب بن شراحبيل (٩٩-١٠١هـ) عطلت حانات الخمر بأمر الخليفة عمر بن عبد العزين، كما تم عزل مناصبهم، وتميزهم عن المسلمين في ملبسهم وركوبهم [٦] .

١- المقريزي : الخطط جـ ٤، ص ٤٩٢ .
٢- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ١٧٢.
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص١٣٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة جـ ١، ص٦٨.
٤- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ١٧٢.
٥- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، جـ ١ ، ص٤٧.
٦- ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة ، جـ٥ ، ص ٢٤، ٢٥، ٧١.

وفي سنة ١٠٤هـ أصدر الخليفة يزيد بن عبد الملك قرارا بكسر الصلبان ومحو الصور والتماثيل في الكنائس [1]. وأثناء ولاية على بن سليمان العباس (١٦٩هـ - ١٧١هـ) أثناء خلافة الهادي والرشيد تم منع الملاهي والخمور، وهدم الكنائس المحدثة في مصر [2]، وهذا يدل دلالة واضحة على أن هذه الأوامر كانت تنفذ حين صدورها بمنتهى الدقة، وكان التمسك التي اتسموا بها إزاء أهل الذمة.

وما يهمنا من دراسة هذه المضايقات أنها كانت أحد العوامل التي دفعت بعض الأقباط إلى اعتناق الدين الإسلامي بعد أن اقتنعوا به ووجدوا فيه حياة تقوم على الحرية التي لا لم ينعموا بها من قبل، فليس من المعقول أن هذه المضايقات البسيطة التي لا تقارن بالاضطهاد تكون سببا رئيسيا في ترك القبط دينهم، ويؤكد ذلك أنهم تحملوا الكثير من ألوان التعذيب والاضطهاد على عهد البيزنطيين، وفضل الكثير منهم الهرب إلى الصحراء أو الاستشهاد متمسكا بعقيدته ودينه.

إلى جانب المضايقات الاجتماعية والمعنوية التي تعرض لها أقباط مصر في ظل الحكم الإسلامي، وجدت بعض المضايقات المادية التي يرى البعض أنها كانت سببا في دخول كثير من المصريين الإسلام للتخلص من الجزية التي فرضت عليهم وكان مقدار هذه الجزية دينارين على كل شخص قادر على القتال دون الأطفال والشيوخ والنساء والمرضى، أي أنها بمثابة ضريبة دفاع مقابل حماية الأرواح والممتلكات، وبدلا نقديا مقابل الإعفاء من الخدمة العسكرية.

وقد اهتم العرب بجمع الجزية حتى قيل أن الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ /٧١٤-٧١٧م) كتب إلى أسامة بن زيد التنوخي متولي خراج مصر ما نصه " أحب الدر حتى ينقطع، واحلب الدم حتى ينعدم " [3]، وقيل أيضا أن عمر بن عبد العزيز

١- الكندي : ولاة مصر ، ص ٦١.
٢- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ١٨٧.
٣- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ص ٣٣١ .

أمر حيان بن سريح عامل خراج مصر بأن يجعل جزية موتى الأقباط على أحيائهم ، مما كان سببا في إسلام كثير من أقباط مصر الذين أرادوا التخلص من هذه الجزية ، وقد تزايد عددهم بصورة كبيرة زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز مما أدى إلى تناقص الخراج ، حيث كان خراج مصر زمن عثمان بن عفان ﷺ (٢٣-٣٥هـ / ٦٤٣-٦٥٥م) أثنى عشر مليون دينار ، وأخذ هذا المبلغ يتناقص إلى أقل من النصف على عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ) ، فبلغ خمسة ملايين دينار ، وبلغ أقل من ذلك خلال عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧١٩م) ، مما جعل والي مصر في ذلك الوقت أيوب ابن شرحبيل يرسل إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يقترح عليه استمرار تحصيل الجزية ممن أسلم ، فإذا بالخليفة يعنفه ويقول له : " قبح الله رأيك ، فإن الله إنما بعث محمدا ﷺ هاديا ولم يبعثه جابيا .. "[١].

وظل تحول الأقباط نحو الإسلام يتقدم بمعدل ثابت حتى أصبح معظم أهل مصر مسلمين في أوائل القرن الثالث ، بدليل اختفاء ثورات الأقباط في مصر اعتبارا من سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م ، فضلا عن استمرار تناقص الأسماء القبطية في أوراق البردي ، وزيادة الأسماء الإسلامية حتى انتهى الأمر بغلبة أسماء المسلمين على أسماء المسيحيين ، مما يؤكد ازدياد انتشار الإسلام بين أهل مصر وتحول الأقباط تباعا إلى الدين الجديد [٢].

وهكذا يتبين أن المسلمين حملوا معهم إلى مصر أثناء الفتح دينهم ولغته٩م وسموهم الروحي والخلقي ، وحملوا معهم ثقافة عربية هي مزيج من جهودهم وخبرتهم في ميادين السياسة والاقتصاد ، ومن إنتاجهم الأدبي في الشعر والخطابة والحكم والأمثال ، ولغة فياضة مرنة تجلي غناها وبلاغتها في القرآن الكريم [٣] ، ومن ثم عملوا على نشر الدين الإسلامي في مصر ، وأقبل عليه الأقباط لأنه كفل لهم الحرية ، ودخلوا فيه عن اقتناع وإيمان

١- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٧٨.
٢- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٢٩.
٣- سيدة كاشف : مصر الإسلامية وأهل الذمة ص ٢٦.

بعد شهدوا سياسة التسامح التي اتبعها المسلمون منذ البداية ، وكانت المضايقات الاجتماعية والأدبية سببا في دخول بعض الأقباط في الإسلام ، كما كانت الجزية سببا آخر في إسلام بعضهم ، حيث اعتنق الإسلام الكثير منهم هربا من دفع الجزية ، ورغبة منهم في الحصول على نفس الحقوق والواجبات التي تمتع بها المسلمون بدخولهم في الإسلام .

انتشر الإسلام بطبيعة الحال أولا في المدن المصرية الكبرى ، حيث اقتصر وجود العرب بها في بادئ الأمر ، ثم أخذ في الانتشار في الريف بعد أن نزل العرب الريف وأقاموا به واختلطوا بأهالي البلاد .

ثانيا : انتشار اللغة العربية :

١- هجرة القبائل العربية .
٢- حركة الارتباع .
٣- تعريب الدواوين .
٤- إسقاط العرب من الديوان .

لم تكن اللغة العربية مجهولة في العالم قبل الفتح الإسلامي لمصر ، حيث نجد أن الرسائل التي بعث بها الرسول ﷺ إلى أشهر زعماء العالم في ذلك الوقت يدعوهم فيها للإسلام كانت اللغة العربية ، كما أن الرسالة التي رد بها المقوقس الحاكم الإداري لمصر في ذلك الوقت كانت بالعربية [١] ، وهذا يدل دلالة واضحة على وجود بعض من يعرفون العربية في مصر قبيل الفتح الإسلامي .

ومثلما حدث من انتشار الإسلام حدث اللغة العربية ، حيث بدأ العرب بعد الفتح الإسلامي لمصر في تعريبها، لغة رسمية، والسبب في ذلك هو عدم معرفتهم باللغة القبطية[٢]، هذا بجانب أن اللغة ضرورية لكل من اعتنق الإسلام ، وذلك لحاجته إلى حفظ فاتحة الكتاب وبعض آياته وسوره ، هذا بالإضافة إلى حاجة الأهالي حتى من لم يسلم منهم إلى الإلمام بلغة الحكام الجدد حتى يستطيعوا مخاطبتهم ، وتقديم شكاياته إليهم ، والتقرب إليهم ونيل الحظوة عندهم .

١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٦٧.

2 -Wiet : Le Egypte, P.125.

ساعدت هجرة القبائل العربية إلى مصر واستقرارها في مناطقها المختلفة على زيادة أعداد العرب والمسلمين بمصر، حيث أتت جموع ساعدت وفيرة من العرب إلى مصر منها، أن كل وال عربي كان يتولى أمر مصر، هذا بالإضافة إلى سياسة الخلفاء التي كانت تهدف إلى إرسال أعداد كبير لتعزيز الجندي العربي في مصر، هذا كله ساعد على زيادة أعداد العرب في مصر، وبالتالي ساعد ذلك على انتشار اللغة العربية بين المصريين.

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية أيضا سياسة الأرتباع التي فرضها عمرو بن العاص على جنوده، لكي ينتشروا في أقاليم مصر ليسمنوا خيولهم، وساعدت هذه السياسة على الاختلاط بأهالي البلاد مما ساعد على التعرف على لغتهم، ومشاركة العرب في نشر اللغة العربية بين القبط.

وكان على المصريين ترك دراسة اللغتين اليونانية والقبطية،وأن يسرعوا في تعلم اللغة العربية لتفتح أمامهم فرص العمل، أو ليحتفظوا بما في أيديهم من وظائف، ولم حركة التعريب إلى أي تذمر أو احتجاج من الأقباط إذا كان التعريب انتقالا من لغة أجنبية هي اليونانية إلى لغة أجنبية هي العربية، وكما تعلم الأقباط اليونانية واستعملوها في الدواوين بدلا منها، ولا سيما وهي لغة المنتصرين ولغة سوف تفتح أمامهم أبواب الرزق(1).

وتعريب الدواوين يعد عملية ترجمة واسعة النطاق ومنظمة أدت إلى نقل كثير من المصطلحات الفارسية واليونانية والقبطية إلى اللغة العربية (2).

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار العربية إسقاط العرب من ديوان الجند حيث ظلت القبائل العربية تمثل أرستقراطية عربية فترة من الزمن، واختصت بشرف الخدمة الحربية والدفاع عن البلاد، وتمتعت أيضا بالحصول على العطاء من بيت المال، واحتكرت المناصب الرئيسية في الولاية، كما تمتعت بالإعفاء من دفع الخراج في حالة

١- أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية ، ص ٣٨ .
٢- أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ص٢٥٨، سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ، ص ١٢٣ .

الملكية الزراعية ، ولكن بمرور الوقت انتشرت هذه القبائل في ريف مصر وقرها مصر ، وانخرطوا في مجتمعها ، وأقبلوا على الاشتغال بالزراعة إلى جانب الرعي واحتكار الجندية.

ولقد ظلت الأوضاع على هذا الحال حتى عهد الخليفة المعتصم بالله العباسي (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤١م) ، الذي أرسل إلى واليه على مصر في تلك الفترة (كيدر نصر بن عبد الله) يأمره بإسقاط العرب من ديوان مصر وقطع اعطياتهم ، ففعل ذلك [١] ، إلى ريف مصر وقراها يلتمسون سبل العيش ، وأصبحوا يكسبون أرزاقهم من الأعمال مثل الزراعة والصناعة والتجارة ، وانتهت الأرستقراطية العربية ليحل محلها الاختلاط بالأهالي ، وتذوب الحواجز بين الجانبين وتتم أكبر عملية امتزاج بينهما ساهمت بنصيب وافر في تعريب مصر وصبغها العربية الإسلامية ، وذاب العرب في بوتقة الشعب المصري ، وتكون شعب مصري جديد أصبح معظمه يدين بالإسلام ويتحدث اللغة العربية [٢] .

ويمكن القول أن انتشار اللغة العربية بمصر كان أبطأ من انتشار الدين الإسلامي ، إذ تشير الوثائق البردية إلى أن الحكومة كانت تستخدم اللغتين العربية واليونانية حتى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، في الوقت الذي كانت فيه السلطات المحلية في الريف تكتب باللغة القبطية [٣] .

ويدل على تأخر انتشار اللغة العربية بين الشعب المصري أن الخليفة المأمون العباسي أثناء زيارته لمصر سنة ٢١٧هـ / ٨٣٢م كان لا يمشي إلا والتراجمة بين يديه من كل جنس [٤] .

وهكذا نجد أن العامل الأساسي لانتشار الإسلام واللغة العربية بين المصريين يرجع إلى الدين الإسلامي نفسه ، بجانب العوامل الأخرى التي أوضحناها سواء كانت مادية

١- الكندي : الولاة والقضاة ص ١٩٣ ، المقريزي : الخطط جـ١ ص ٩٤ .
٢- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٢٩.
٣- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٣٠ ، أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ٨٥ ، متنز الحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص ٨٩.
٤- المقريزي : الخطط جـ ١ ، ص ٨١.

أو اجتماعية ، وذلك بسبب أن الدين الإسلامي يعد مجموعة من القوانين تنظم المجتمع حيث يحدد العلاقة بين الفرد وربه وأسرته ، وبين الأسرة والمجتمع ، وبين المجتمعات بعضها ببعض ، بل أنه يعد نظاما دينيا واجتماعيا واقتصاديا وعسكريا وسياسيا (١) .

هذا وقد وجد القبطي أن إله الدين الجديد إله واحد ، وليس فيه مشاكل المناقشة حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام ، كما أنه وجد الدين ينظر إلى الناس على أساس من العدل والمساواة بينهم جميعا على اختلاف دينهم وجنسياتهم من خلق الله والفرق الوحيد بينهم هو التقوى ، ويؤكد ذلك قوله تعالى :

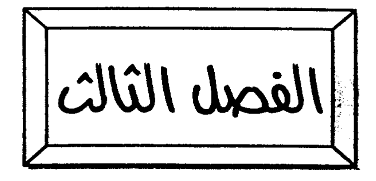
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ (٢) .

وكذلك قول الرسول ﷺ في حديثه الشريف : " اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد حبشي كأن رأسه زبيبة " .

وهكذا تضافرت العوامل السابقة من اعتناق الدين الإسلامي ، وتعريب الدواوين سنة ٨٧هـ/٧٠٥م ، فضلا عن هجرة القبائل العربية واستقرارها بمصر ونزولها بالريف واختلاطها بالأهالي ، تضافرت جميعها في نشأة مصر العربية الإسلامية من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية ، وعلى جعل اللغة العربية لغة التخاطب بين أهل البلاد .

وهكذا نرى أن دعائم وأسس التعريب وانتشار الإسلام قد غرست في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ثم عمت وانتشرت خلال القرن الثالث والرابع الهجريين ، حيث ظهرت الشخصية المصرية الإسلامية بعد اختلاط العرب بالمصريين .

١- أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر ، ص ٥٩ .
٢- سورة الحجرات : الآية ١٣.



موقف مصر من أحداث الدولة الإسلامية

الفصل الثالث

موقف مصر من أحداث الدولة الإسلامية

أولا : موقف مصر من الثورة التي قامت ضد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ :

لم تكد تمضي سنوات قليلة على فتح مصر حتى حدثت الفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، وسار عثمان ﷺ على نهج سلفه في أعمال الفتوحات الإسلامية . ولم تكن تمضي سنوات قليلة على خلافته حتى حدثت الفتنة التي انتهت بمقتله على أثر تضافر عوامل مختلفة أدت إلة وقوع هذه الفتنة كان من أهمها :-

وجدت حالة من التذمر في الدولة الإسلامية مجالا فسيحا في خلافة عثمان وذلك بعد أن بدأت تتوقف الفتوحات الكبرى ، بجانب لين الخليفة وتسامحه ، وبدأت حركة التذمر تسري في الولايات الإسلامية المختلفة ضد الخليفة ، ولم تمض ست سنوات على حكمه حتى ترأس هذه الحركة رجل يهودي من أهل صنعاء أسلم زمن عثمان بن عفان ﷺ ، وهو عبد الله بن سبأ ، وكان يعرف بابن السوداء ، ويبدو أن ابن سبأ كان من الذين أسلموا ليضلوا الناس عن الإسلام ويكيدوا لهذا الدين .

بدأ ابن السوداء دعوته بالحجاز ، ثم البصرة والكوفة والشام ، ولكنه لم ينجح في الحجاز أو الشام ، كما أنه طرد من لبصرة والكوفة ، فجاء إلى مصر ووجد بها مجالا لنشر تعاليمه ودعايته ، وإعلان الثورة ضد الخليفة [1] .

وخرج ابن السوداء للناس بنغمة جديدة غير التي جاءهم بها في الشام ، فألف حزبا بها واتخذه شيعة له ، وكان مما يخاطب به أهل مصر الآتي :

١- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٧٢.

١. قال العجيب : من يصدق أن عيسى يرجع ويكذب أن محمد لا يرجع ، فوضع لهم الرجعة ، وقبلها بعض الناس من ضعاف الإيمان .
٢. روج بين شيعته نظرية الحق الإلهي التي أخذها عن الفرس ، واستند إلى أن عليا ﷺ هو الخليفة بعد الرسول ﷺ وأنه يستمد الحكم من الله .
٣. قال إن لكل نبي وصيا ، وعلى ﷺ وصى محمد ﷺ ، ونادى بأحقية على ﷺ بالخلافة بعد الرسول ﷺ ، وأن عثمان ﷺ قد اغتصب الخلافة من وصى الرسول ﷺ .

ولا بد أن ابن سبأ كان شخصية قوية جذابة جعلته يؤثر على العامة ، بل استطاع أن يجذب إليه كبار الصحابة مثل عمار بن ياسر ، الذي كان عثمان ﷺ قد أوفده إلى مصر ليقف على حقيقة الثورة بها ، فبقى عمار بمصر ولم يعد للمدينة (١) ، وقد ساعد ابن السوداء في رواج أفكاره عدة أمور منها :

١. تبرم أهل مصر على عثمان ﷺ وعامله عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وانضمام كل من محمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن أبي بكر الصديق إليه ، فنجحت سياسته .
٢. أن المصريين كانوا أنصارا لعلى بن أبي طالب ﷺ .
٣. انشغال عبد الله بن أبي سرح في حروبه الخارجية في إفريقية والنوبة وضد الروم في معركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ / ٦٥٤م (٢) .

وعندما رجع والي مصر عبد الله بن سعد في حروبه رجع إلى الخليفة ، لأن الخليفة قد دعا الولاة جميعا أن يحضروا مؤتمرا بالمدينة ، وترك ابن أبي سرح نائبا عنه في مصر هو

١- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٧٣.
٢- الكندي : ولاة مصر ٣٦ ، ٣٧ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٧٣ .

عقبة بن عامر الجهني ، وفي ظل هذه الظروف أندلعت الثورة في مصر ، واغتصب حكم مصر محمد بن أبي حذيفة ، وأعلن الثورة والعصيان على الخليفة عثمان ﷺ ، وطرد عقبة بن عامر الجهني نائب الوالي في مصر ، ولم يستطع عبد الله بن سعد دخول مصر[1] .

وخرجت جماعة من المنحرفين على عثمان ﷺ على أن يصلح من أمره أو يعتزل ، وكانوا قد وجهوا إليه اللهو في عد أمور منها الآتي :

١. كان الخليفة عثمان بن عفان ﷺ شديد الحب لقرابته ، فاستغل ذلك البعض وتمكنت العصبية القبلية من السيطرة على المواقع السياسية والمناصب الكبيرة كالآتي :
   - ✓ أصبحت الشام خالصة لمعاوية بن أبي سفيان .
   - ✓ في مصر ولي عثمان ﷺ أخاه في الرضاع عبد الله بن سعد بن أبي سرح .
   - ✓ في الكوفة جعل أحد أفراد أسرته وهو الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان له ماض بغيض فنفر منه أهلها .
   - ✓ في البصرة ولى عليها ابن خاله عبد الله بن عامر ، وكان حسن السيرة فهدأت أحوال البصرة .
   - ✓ في المدينة كان الخليفة قد أسند أموره إلى وزير من أهله هو ابن عمه مروان بن الحكم .

٢. اتباع عثمان ﷺ في حياته الخاصة منهجا مغايرا لسلفيه واستمر على حياة اللين، والتمتع بالطيبات .

٣. اتجه إلى التوسعة على أقاربه ، فثار عليه المعارضون مدعين أنه اتخذها لنفسه وأقربائه ، فأوضح لهم أنه اتخذها لأبل المسلمين التابعة لبيت المال .

١ـ القلقشندي : صبح ، جـ٤ ص ٣٨٦ .

٤. اتخذ عثمان المراعي ﷺ فثار عليه المعارضون مدعين أنه اتخذها لنفسه وأقربائه ، فأوضح لهم أنه اتخذها لأبل المسلمين التابعة لبيت المال .

٥. أمر بتوحيد القراءات ، فحصل الناس على مصحف واحد وأحرق ما دون ذلك من مصاحف ، فعارضه البعض بأن الرسول ﷺ أجاز عدة قراءات للقرآن .

٦. نفيه لأبي ذر الغفاري إلى الربذة ، وإن لم يفعل عثمان ﷺ ذلك ، فقد كان أبو ذر زاهدا ، وكان يجمع عمال عثمان ويقرأ عليهم :

﴿ ... وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[1] .

واستند عثمان ﷺ على قول ابن عمر : " أن ما أديت زكاته ليس بكنز " ، وكان أبو ذر يحملهم على الزهد والتقشف ، وكان لا يتحمل ذلك إلا بعض الناس ، فكتب عثمان إلى أبي ذر أن يأتي المدينة ، فلما قدم اجتمع إليه الناس ، فقال لعثمان ﷺ : " أريد الربذة " ، فقال : " أفعل ". فاعتزل ، ولم يكن يصلح له إلا ذلك لطريقته .

٧. امتناعه عن قتل عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي قتل الهرمزان وحفيده بسبب اتهامهما بقتل أبيه عمر ﷺ، فطالب المسلمون بالقصاص منه ، فقال عثمان ﷺ: " يقتل عمر بالأمس ويقتل ابنه اليوم " ، فدفع دية المقتولين من ماله ، فغضب بعض المسلمين ، ورأوا أن في ذلك تعطيلا لحد من حدود الله [2] .

وهناك العديد من الأمور التي وجه فيه المعارضون اللوم على الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، الذي أخذ يرضي معارضيه بعزل عماله على الكوفة ومصر والبصرة أكثر من

١- سورة التوبة : من الآية ٣٤.
٢- أبو بكر بن العربي : العواصم من القواصم ، ص ١١٨.

مرة[1] ، وبدلا من أن يظهر الخليفة قوة وحزما أمام عرب الأمصار ضعف ولجأ إلى مفاوضتهم ووعدهم بإصلاح الأخطاء ، واعترف بأنه زل [2] ، مما جعل أغلبهم يعود إلى الأمصار ، ولكن بعد رحيلهم عن المدينة افتعل مروان بن الحكم كتابا على لسان الخليفة وختمه بخاتمه ، وبعث به إلى عامل مصر يأمره بحبس رجال ممن خرجوا من مصر وجلد المتمردين [3] .

ووقع هذا الكتاب في يد عرب مصر ، فأسرعوا بالعودة إلى المدينة ليواجهوا الخليفة بالكتاب ، ولكنه لم يكن على علم به ، فأنكر ذلك مما أخذ صدورهم وجعلهم يحاصرون بيته ويمنعوه من حرية الرواح والغدو والصلاة بالناس [4] ، ولما عرفوا أن الخط لمروان سألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده في الدار ، فغضبوا وحاصروه ومنعوا عنه الماء ، حتى أرسل إليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بثلاث قرب من المياه .

وبلغ عليا ﷺ أن عثمان ﷺ يراد قتله ، فقال للحسن والحسين " اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان ، فلا تدعا أحد يصل إليه " ، وبعث عدد من الصحابة أبناءهم للدفاع عن الخليفة عثمان ﷺ [5] ، وطلب الثوار بأن الخليفة كتب إلى معاوية وعماله في الأمصار يستنجدهم اقتحموا بين الخليفة وقتلوه ، وأثناء قتله كان جالسا في محرابه يقرأ القرآن ، فسال دمه على المصحف في حجره [6] ، فقامت زوجته نائلة لتتلقى عنه الضرب بيدها ، فأصاب السيف يدها فقطع إصبعين من أصابعها ، وأرسلت إلى معاوية بقميصه المخضب بالدم وأصابعها لتحريضه على الأخذ بثأر الخليفة المقتول ، فكان معاوية

١- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٣ ص ٤٩ .
٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ص ٨٢ .
٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ص ٨٥ ، أبو زيد شلبي : الخلفاء الراشدون ، ص ١٨٩ .
٤- اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢ ص ١٧٦ .
٥- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ١٤٣ .
٦- ابن طباطبا : الفخري ، ص ٩٨ .

يعلقهما على منبر الشام ليرق للناس بذلك ودفن الخليفة عثمان رحمة الله قريبا من البقيع، وكان ذلك سنة ٣٥هـ / ٦٥٥م [١] .

وهكذا كان للمعارضين في مصر دور بارز ومؤثر في الفتنة التي وجدت في عهد الخليفة عثمان ﷺ ، حيث تمكن عبد الله بن سبأ من نشر أفكاره بين بعض الأهالي من مصر ولاقت دعوته قبولا ، حتى خرجوا واشتركوا مع الوفود المعارضة من الأمصار الإسلامية وانتهى الأمر بمقتل الخليفة عثمان ﷺ ويذكر لأن الذي قتله رجل من مصر يقال له حمار[٢].

دور مصر في النزاع بين علي ومعاوية بن أبي سفيان :

بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بويع علي بن أبي طالب ﷺ بالخلافة سنة ٣٥هـ / ٦٥٥م ، ولم يكن علي ﷺ يرغب في الخلافة ، فقد قدم عليه أصحاب الرسول ﷺ وطلبوا منه أن يقبلها ، ولكنه كان زاهدا فيها ، ويدل على ذلك قوله : " لا حاجة لي في أمركم ، فمن اخترتم رضيت به " [٣]. ولكن ألحوا عليه حتى قبلها .

بويع على بن أبي طالب ﷺ بالخلافة بإجماع المسلمين ،إلا فئة قليلة كانت ترى ضرورة المطالبة بدم عثمان ﷺ ثم الاتفاق على الخليفة ، وترأس هذا الفريق معاوية بن أبي سفيان والي الشام وابن عم الخليفة عثمان بن عفان ﷺ [٤] ، وعلى الرغم من أن عليا لم يشترك في المؤامرة التي أدت إلى مصرع الخليفة عثمان ﷺ إلا أنه كان مدينا إلى حد كبير في تسليمه زمام الخلافة إلى الثوار الذين هجموا عثمان ﷺ في المدينة [٥] .

١- ابن طباطبا : الفخري ، ص٩٨، ٩٩ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٧٥.
٢- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٤٤.
٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ، ص ١٩٠ ، ١٩١.
٤- عبد المنعم ماجد : تاريخ الدولة العربية ، ص ٣٦٥.
٥- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٧٦.

وبجانب ذلك أضاف علي ﷺ إلى أعدائه أعداء جدد بسبب عزله ولاة عثمان ﷺ من الولايات . وأرسل ولاة جدد إلى الأقاليم ، وبايع جميع أهالي الأمصار وولاتها ، ما عدا الشام وعلى رأسها معاوية بن أبي سفيان .

وترجع الخصومة بين علي ومعاوية لأسباب منها :

- ✓ أن معاوية كان يتهم عليا ﷺ بشيء من دم عثمان ﷺ ، ويرى نفسه ولي دم عثمان .
- ✓ أن عليا آوى قتلة عثمان ﷺ في جيشه بدلا من أن يقيم عليهم الحد .
- ✓ أن عليا تسرع في عزله عن الشام ، وهذا أمر شديد على معاوية الذي اعتاد الحكم والرياسة زمنا طويلا [1] ، هذا بجانب أن عليا بدأ بأمرين ترجع إليهما الحروب التي وقعت في عهده وهما :

١. أنه لم ينتظر حتى يبايعه أهل الأمصار ظنا منه أن مبايعة أهل المدينة والثوار كافية في جعل أهل الأمصار يعترفون بخلافته .
٢. قام باسترداد الإقطاعات التي كان عثمان ﷺ قد منحها لبعض أقاربه . إلى بيت المال ، مما زاد حنق أولئك الذين كانوا قد استفادوا في عهد عثمان ﷺ عليه .

لم ينته الأمر عند معارضة البعض لخلافته بل امتد إلى القتال بينه وبين خصومه في موقعة الجمل سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م التي انتهت بانتصاره على معارضيه إلا أن المشاكل لم تنته بذلك حيث امتدت المعارضة وبلغت ذروتها حينما رفض معاوية أمير الشام بقوة

١- أبو زيد شلبي : الخلفاء الراشدون ، ص ١٩٧.

وبإصرار الرضوخ لأمر الخليفة بعزله عن ولاية الشام ، بجانب إصراره على المطالبة بمحاكمة قتلة عثمان ﷺ [1] .

ولذا كان لا مفر من اشتباك الفريقين ليحقق كل منهما مطالبه ، وبالفعل تقاتل الفريقان في موقعة صفين سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م [2] .

وكاد النصر أن يتم لعلى ﷺ لولا مطالبة أتباع بتحكيم كتاب الله ، حيث رفعوا المصاحف على أسنة الرماح ، وكان الذي أشار بذلك عمرو بن العاص الذي تمكن معاوية أن يستميله إليه ، وكان عمرو قد اشترط على معاوية أن تكون له ولاية مصر نظير مساعدته له ضد على ﷺ ، فقبل معاوية [3] .

وكان عمرو على علم بطبيعة تكوين جيش على ونفسيته وحاله ، حيث كان يتكون من الحفاظ وبقية السلف الصالح من المؤمنين ، فكان معه من أهل بدر سبعون رجلا ، وممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل ، وكل هؤلاء كانوا يتقبلون مبدأ التحكيم [4] .

وقد اتفق الطرفان على اختيار حكم لكل فريق كما اشترطا على القائدين المتنازعين أن يقبلا نتيجة التحكيم ، ووقع اختيار أهل الشام أتباع معاوية على عمرو بنت العاص ، ووقع اختيار أهل العراق على أبو موسى الأشعري ، واجتمع الحكمان بين العراق والشام في دومة الجندل سنة ٣٨ هـ / ٦٥٨م [5] ، واتفق الحكمان على خلع علي ومعاوية وترك الأمر شورى للمسلمين يختاروا ما يشاءون ، فتقدم أبا موسى الأشعري وخلع عليا ، ثم صعد عمرو

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ص ٢٠٣ ، عبد العزيز الدوري : مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، بيروت ١٩٦٠، ص٦٠ .
٢- اليعقوبي: تاريخه، جـ ٢ص ١٨٨، المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ٢٥٦، السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ١٥٥.
٣- اليعقوبي: تاريخه، جـ ٢ص ١٨٨.
٤- اليعقوبي: تاريخه، جـ ٢ص ١٨٨.
٥- اليعقوبي: تاريخه، جـ ٢ص ١٩٠.

وثبت معاوية ، ورضيت جماعة بقرار التحكيم ، ورفضته جماعة على ﷺ الذي أصبح في نظر أهل الشام والخوارج خليفة غير شرعي ، فاكتسب معاوية بهذا القرار قوة إلى قوته ، وازداد على ﷺ ضعف على ضعفه باستفحال أمر الخلاف داخل أتباعه [١] .

بدأ أهل الشام حركة مبايعة معاوية بالخلافة ، ولكن معاوية لم يتعجل ذلك حتى لا يظهر أمام العامة وأمام المخدوعين من أتباع على ﷺ بمظهر من كان يسعى إلى الخلافة ، فنذر رفض طاعة الخليفة على ﷺ .

عاد الحال على ما كان عليه قبل صفين وضعف مركز علي ﷺ ، وحقق معاوية مكاسب عديدة حيث أنه كان أميرا على إحدى ولايات الدولة الإسلامية ، وعمل معاوية على إضعاف مركز علي ﷺ بضم مصر إليه ، وإثارة الاضطرابات ضد علي ﷺ في كل أرجاء الخلافة .

أعلن محمد بن حذيفة ولاءه لعلى بن أبي طالب ﷺ وبدأ يحارب معارضى الخليفة حيث أعلنت القبائل العربية في مصر التابعة لعثمان بن عفان ﷺ الأخذ بالثأر من قتلته وكان زعيمها معاوية بن حديج ، ودارت معركتان بين محمد بن حذيفة، وشيعة عثمان ﷺ في الإسكندرية وخربتا انهزم فيها محمد بن حذيفة [٢] .

وقد شجع انتصار شيعة عثمان ﷺ على والى مصر محمد بن حذيفة - معاوية على ضم مصر لجانبه ، فأرسل عمرو بن العاص ، فقاد عمرو جيشا سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م ، ودخل مصر ووصل بالقرب من الفسطاط في منطقة عين شمس فتصدى له محمد بن حذيفة ، ودارت المفاوضات بينهما وانتهى الأمر بحصول عمرو على رهائن من محمد بن حذيفة ضمن هذه الرهائن وقتل مع الرهائن في ذي الحجة سنة ٣٦هـ / ٦٥٦م [٣] .

١- ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ٤ ، ص ٧٨، البلاذرى : فتوح البلدان، ص٥ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٣ ص ١٦٧.
٢- الكندي : ولاة مصر ، ص٤٢، أبو المحاسن : النجوم ، جـ١ ص ٩٤- ٩٨.
٣- الكندي : ولاة مصر ، ص٤٣ .

بعد مقتل محمد بن أبي حذيفة أرسل الخليفة على ﷺ قيس بن سعد بن عبادة واليا على مصر سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م ، إلا أن معاوية أخذ يدس له الدسائس حيث تمكن قيس من كسب ود معارضي الخليفة على ﷺ وأكرمهم وأحسن إليهم ، وترتب على ذلك تحول موقف المعارضين بالانصياع لأوامر قيس ، فأحس معاوية بالخطر فبدأ يكيد لقيس عند الخليفة على ﷺ .

ويذكر الكندي حديث معاوية عن كيده قيسا والقضاء عليه ، فقال : أن معاوية قال لأهل الشام : " لا تسبوا قيسا ، ولا تدعوا إلى غزوة - أي محاربته - فإن قيسا لنا شيعة ، تأتينا كتبه ونصيحته ، ألا ترون ماذا يفعل بإخوانكم بخربتا ؟! يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم " [١] ، فسمع بذلك عيون على ﷺ بالعراق والشام ، فاتهم على قيسا ، وبعث يأمره بقتلا شيعة عثمان بخربتا ، فرفض قيس ، فعزله على وهكذا تخلص معاوية من قيس بالدهاء والمكايدة [٢] .

بعد عزل قيس أرسل على ﷺ الأشتر النخعي واليا على مصر فسار إليها حتى نزل القلزم ، وهناك لم ينج من كيد معاوية حيث معاوية حيث دس له سما أثناء نزوله منزل أحد رجال مدينة القلزم ، فمات مسموما ودفن بها [٣] .

وفي رمضان سنة ٣٧هـ/٦٥٧م أرسل على ﷺ محمد بن أبي بكر واليا على مصر ، فبدأ محمد ولايته بمعاداة شيعه عثمان ﷺ ، إذ اضطهدهم وخرب ديارهم ثم سمح لهم بالنزوخ من مصر واللحاق بمعاوية في بلاد الشام ، مما أشعل نار الحرب بينه وبينهم ، وكان على رأسهم معاوية بن حديج ، وسانده في تلك الفترة عمرو بن العاص من قبل معاوية ،

١- الكندي : ولاة مصر ، ١٩ .
٢- اليعقوبي : تاريخه ، جـ ٢ ، ١٩٤، الكندي : ولاة مصر ، ص ١٦ .
٣- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٤٧، ١٤٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ اتلدولة العربية ، جـ٢ ص ٣٢٢.

والتقى الطرفان في منطقة المسناه بالقرب من الفسطاط [1] في شهر صفر سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م، وانتهت المعركة بهزيمة محمد بن أبي بكر ومقتله [2].

وبمقتل محمد بن أبي بكر تمكن معاوية من القضاء على أتباع الخليفة على أتباع الخليفة علي ﷺ بمصر، ومنذ ذلك الحين أصبحت مصر ولاية تابعة لمعاوية، إذ ولي عليها عمرو بن العاص مكافأة له على وقوفه بجانبه في صراعه ضد الخليفة علي ﷺ [3].

وهكذا كان لمصر دور بارز في الصراع الذي نشب بين الخليفة على بن أبي طالب ﷺ والأمير معاوية بن أبي سفيان، إذ تجلى في موقف شيعة عثمان ﷺ المعارضين لسياسة ولاة علي ﷺ سوى قيس بن سعد بن عبادة، الذي نجح في كسب ودهم، ولكنه لم ينج من مكيدة معاوية التي انتهت بعزله.

وكانت مطالب العثمانية كشوكة في جانب ولاة علي ﷺ، حيث حاربوا محمد بن أبي بكر الذي أساء معاملتهم، وكان مقتله على أيديهم، وقد رجح هذا الموقف كفة الأمير معاوية في صراعه مع الخليفة علي ﷺ، إذا صارت مصر ولاية أموية.

دور مصر في ثورة عبد الله بن الزبير:

كان لمصر دور في الثورة التي أعلنها عبد الله بن الزبير إبان خلافة يزيد ابن معاوية، فقد ثار عبد الله في الحجاز ودعا لنفسه بالخلافة سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م وبايعه أهل الحجاز بعد مقتل الحسين بن على ووفاة معاوية بن أبي سفيان، كما بايعه بعض أهالي الأمصار الإسلامية وجماعة من أهل مصر، وأرسلوا إليه وفدا يسأله أن يبعث إليهم بأمير،

١- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة، جـ٢ ص ٣٢٢.
٢- الكندي : الولاة، ص ٥٢، أبو المحاسن : النجوم، جـ٢ ص ١٠٩.
٣- اليعقوبي : تاريخه، جـ٢ ص ٢٢، سالم : تاريخ الدولة العربية، جـ ٢ص ٣٢٢.

فاستجاب لهم عبد الله بن الزبير وبعث إليهم عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم القهري لينوب عنه في حكمها سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م .

ونجح عبد الرحمن في استخلاص مصر من عامل الأمويين ، وحاول يزيد القضاء عليه ولكنه فشل سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، ثم ولي الخلافة معاوية الثاني بن يزيد سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م ، ولم تطل مدة خلافته فقيل أنه حكم أربعين يوما ، وقيل ثلاثة أشهر [١] ، وبعد وفاته حدثت فترة اضطرابات ونزاع حول منصب الخلافة ، وفي تلك الأثناء اتسع نطاق دعوة ابن الزبير الذي بايعه أهل الشام كلهم إلا الأردن ، كما غلب على أهل العراق واليمن وخراسان ، وجدد عمارة الكعبة [٢] .

آلت الخلافة بعد ذلك إلى مروان بن الحكم ٦٤هـ/ ٦٨٣م ، الذي لم يرض بضياع مصر من حوزة الخلافة الأموية ، فبعث بجيش يقوده ابنه عبد العزيز بن مروان ، وعلى الرغم من استعداد المصريين للدفاع وصد جيش عبد العزيز بن مروان ، حيث حفر عبد الرحمن بن عتبة خندقا حول الفسطاط ، إلا أن الجيش الأموي تتمكن من هزيمته عند عين شمس ، وتم الصلح بين مروان المصريين وأمن مروان المصريين ، ثم دخل الفسطاط في جمادي الأولى سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م وهكذا انتهى حكم بن الزبير في مصر بعد أن دام نحو تسعة أشهر . وهي المدة التي ولى فيها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهري لينوب عنه في حكمها سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م [٣] .

١- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٧.
٢- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٧، سيد كاشف : عصر الولاة ، ص ٨٤.
٣- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٧.

وأقام مروان بن احكم بمصر شهرين وبنى الدار البيضاء لتكون مقرا له ثم غادرها في أول رجب سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م وبعد أن وطد أمورها وأعادها مرة ثانية للحكم الأموي ، وولي عليها ابنه عبد العزيز وزوده بالنصائح الهامة (١) .

وقد أسهم عبد العزيز في القضاء على حركة ابن الزبير في الحجاز فأرسل حملة بحرية إلى مكة لقتال ابن الزبير ، وكانت عدة هذه الحملة ثلاثة آلاف رجل ، وكان بها رجل أسمه عبد الرحمن بن بحيش – أحد موالى قبيلة تجيب – يقال أنه هو الذي قتل ابن الزبير في جمادي الآخر سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م (٢) .

وهكذا نرى أن مصر ساهمت بدور فعال وكان لدورها أثر لا ينكر ، حيث رفعت خلافة ابن الزبير من شأن الخوارج فيها لفترة يسيرة انتهت بعد تغلب مروان بن الحكم على مصر ، ولكنهم عادوا إلى الظهور مرة أخرى في ولاية قرة بن شريك على مصر سنة ٩٠ – ٩٦هـ /٧٠٨- ٧١٤م زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي تمكن من القضاء عليهم .

موقف مصر من زوال الخلافة الأموية :

ثار الموالي من سياسة بني أمية القائمة على تفضيل العرب عليهم ، والتي لم تساوي بينهم وبين العرب في الحقوق والواجبات وفقا للشريعة الإسلامية ، هذا بجانب عوامل الانقسام داخل البيت الأموي نفسه منذ عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك حيث كانت الولاية الأموية توشك أن تتداعى بعد أن نخرت في جسدها عوامل الضعف ، وأسهمت حركات الخوارج في زلزلة قواعدها (٣) .

١- الكندي : ولاة مصر ، ص ٦٩، ٧٠.
٢- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٨.
٣- ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ١٤٣.

انتهز بنو العباس هذه الفرصة وأخوا في الدعوة لأنفسهم ، وظهرت دعوتهم في خراسان على يد أبي مسلم الخراساني .

وفي سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م استولى العباسيون على خراسان والعراق ، وتمت مبايعة أبي العباس السفاح في الكوفة سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م [١] ، ثم طارد الجيش العباسي الجيش الأموي الذي كان يقوده مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، وانتهى الأمر بانتصار العباسيين في موقعة الزاب الأصغر بالعراق ، وفر مروان على أثر الهزائم فتوجه نحو مصر وعبر الناحية الغربية للنيل ، وأمر بحرق السفن الموجودة بالنيل ، وحرق جميع المدن الواقعة شرق النيل بما فيها الفسطاط حتى لا يفيد منها العباسيون الذي كانوا في أثره ، كل هذه الأمور لم تفد مروان من لأنه عامل أهل مصر معاملة سيئة فناصبوه العداء ، وطردوا الوالي حنظلة بن صفوان ، وأظهروا عدم الطاعة لبني أمية .

وكانت الدعوة العباسية قد لاقت القبول من أهلها ، فدخلها القائد العباسي صالح بن علي – على رأس جيش كبير وتتبع مروان ، وتمكن الجيش العباسي من العبور نحو الضفة الغربية لنيل وطاردوا مروان بن محمد ، الذي اتجه نحو [٢] .صعيد حتى وصل بلدة بوصير – مركز الوسطى بمحافظة بني سويف – والتقى صالح بن علي ومروان بن محمد في معركة فاصلة في دي الحجة سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م ، وانتهى الأمر بانتصار الجيش العباسي وقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين لتشهد مصر بذلك مصرع آخر الخلفاء بني أمية، وبذلك انتهت دولة الأمويين وقامت الدولة العباسية ، وأصبحت مصر منذ ذلك الوقت ولاية عباسية [٣] .

١- ابن طباطبا : الفخري في الأداب السلطانية ، ص ١٥١.
٢- ابن طباطبا : الفخري في الأداب السلطانية ، ص ١٤٣.
٣- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٨، ابن طباطبا : الفخري ، ص ١٤٨.

دور مصر في النزاع بين الأمين والمأمون :

قام النزاع بين الخليفة الأمين وأخيه المأمون بسبب ولاية العهد ، فقد كان الخليفة هارون الرشيد قد أخذ البيعة من بعده لابنه الأمين ثم المأمون ، على أن يلي الأمين العراق والشام إلى المغرب ، ويلي المأمون حكم بلاد المشرق الإسلامي أي ما يلي بغداد من ناحية الشرق بما في ذلك خراسان ، على ألا يكون للأمين سلطان عليه ، وكان ذلك سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١ م (١) .

وكان هذا النزاع يمثل الصراع بين العنصرين العربي والفارسي ، وكان العنصر العربي ممثلا في الخليفة الأمين وأمه زبيدة زوجة هارون الرشيد العربية الهاشمية ومعهم الوزير العبي الفضل بن الربيع ، الذي حافظ على الجند ومكن بها الأمين ، وخاف الفضل بن الربيع من المأمون ، فحسن للأمين خلع المأمون والبيعة لابنه موسى (٢) ، فخلع الأمين أخيه المأمون من ولاية العهد وبايع لأبنه موسى ، ولقبه " الناطق بالحق " ، ولهذا قامت الحروب بين الأمين والمأمون (٣) .

وفي سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م أمر الأمين بالدعاء لابنه موسى على المنابر بعد ذكر المأمون ، فتنكر كل لصاحبه ، وظهر الفساد ، وكان هذا أول الشر بينهما منذ سنة ١٩٥هـ / ٨١٠م(٤) .

وفي سنة ١٩٧هـ / ٨١٢ م حوصر الأمين ببغداد ، ونازله طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين ، وظفر طاهر بالأمين فقتله، وطاف برأسه على رمح في بغداد (٥) ، ثم حملت رأسه إلى أخيه المأمون بخراسان ، فتأثر وبكى عندما شاهد رأس أخيه ، ولكن طاهر قال له " إنه

١- اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢ ص ٤٠٨، ٤٠٩، ٤٣٦ ، الطبري : تاريخه ، جـ٨ ، ص ٢٤٠، ابن كثير : الندبة ، جـ٥
٢- ابن طباطبا : الفخري في الأداب السلطانية، ص ٢١٣.
٣- اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢ ص ٣٦ ، أو المحاسن : النجوم ، ص ١٣٨.
٤- الطبري : تاريخه ، جـ٨ ص ٣٧٤ ، ابن كثير : البداية ، جـ٥ ص ٢٢٦ ، ابن العبري : تاريخ الزمان ، دار المشرق ، بيروت ١٩٨٦، ص ١٩.
٥- المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ص ٣٢٥ ، الذهبي : تاريخ دول الإسلام ، جـ١، ص ١٢٤.

كان يريد أن يراك مثلما تراه الآن " ، وكان ذلك في شهر المحرم سنة ١٩٨هـ/ ٨١٣م [١] ، وبذلك انتهت خلافة الأمين وآلت الخلافة لأخيه عبد الله بن المأمون ، ولم ينتقل المأمون بعد توليه الخلافة إلى بغداد ، بل ظل في مرور عاصمة خراسان [٢] .

وكانت خلافة الأمين التي دامت خمس سنوات (١٩٣-١٩٨هـ/ ٨٠٨-٨١٢م) عهد فوضى واضطراب في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ، ولم تنته الفوضى بنهاية النزاع بين الأمين والمأمون ، بل ظلت آثارها ممتدة عدة سنين وجددت ثورات مختلفة في أنحاء الدولة ومنها مصر ، حيث تحزب فريق للأمين وفريق للمأمون أثناء الصراع بينهما [٣]

وقد بدأ الاضطراب الجند في مصر عقب وفاة الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م، وظهر ذلك واضحا عندما علم أهل مصر بخلع الأمين لأخيه المأمو من ولاية العهد ، فتشار فريق من الجند في مصر في خلع الأمين غضبا للمأمون ، وأول من أظهر ذلك بمصر السري بن الحكم [٤] ، وهاشم بن عبد الله بن حديج ، وابنه هبيرة [٥] ، فبعث والي مصر جابر بن الأشعث سنة ١٩٩هـ/ ٨١٤م لينهاهم عما عزموا القيام به ، ويحذرهم عواقب تلك الفتنة ، ولكن السري بن الحكم لم يهتم بهذه التحزيرات ، وظل يدعوا الناس بخلع الأمين ، وشجعه على ذلك ما بلغه من انتصار ظهر بن لحسين على جيوش الأمين [٦] .

لم يغفل المأمون أمر مصر أثناء نزاعه مع أخيه الأمين ، فكتب إلى أشراف أهل مصر يدعوهم إلى القيام بدعوته فأجابوه ، واعتمد في ذلك على عباد بن محمد بن حيان مولى

١- المسعودي : مروج الذهب ، جـ٣ ص ٤١٥ ،/ الطبري : تاريخه ، جـ ٨ ، ص ٣٧٤ ، سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ١٤٢ ، ١٤٣.
٢- اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢ ص ٤٣٦ ، ابن طباطبا : الفخري ، ١٦٩ ، ١٧٠.
٣- سيد كاشف : مصر في عصر الولاة ، ص ٩٧.
٤- الكندي : ولاة مصر ، ١٧٤.
٥- سيد كاشف : مصر في عصر الولاة ، ص ٩٧.
٦- سيد كاشف : عصر الولاة ، ص ٩٧.

كنده ، وكان وكيلا على ضياع هرثمة بمصر [1] ،الذي جمع الجند بالمسجد الجامع ودعاهم إلى خلع الأمين ، فأجابه الكثير وذلك سنة ١٩٦هـ/ ٨١١م [2] ، وطرد عامله على البلاد جابر بن الأشعث وحل محله عباد محمد بن ممائل ، حيث كتب إلى زعيم القيسية وهو ربيعة بن قيس الحرشي بولايته على مصر [3] .

سار ربيعة لمحاربة عباد بن محمد ونشب قتال بين الفريقين حول الفسطاط وكان قائد عباد هو عبد العزيز بن الجروى ومعه قبيلة لخم وجذام الذي دعا لنفسه بولاية مصر السفلى ، وتنكر لوالى مصر عباد بن محمد ، وأخذ يجمع الخراج لنفسه من أسفل الأرض ، ولذلك عقد عباد للسرى بن الحكم لمحاربة أهل الحوف سنة ١٩٨هـ / ٨١٣م [4] ، ثم عزل المأمون عباد بن محمد ، وعين على مصر الوالي المطلب بن عبد الله الخزاعي ، فكانت ولاية ابن عباد سنة وسبعة أشهر [5] .

في تلك الأثناء انفرد عبد العزيز الجروى بالحوف ، وأعلن السرى بن الحكم أنه وال على مصر بانتخاب الجند له سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م ، بل أخرج الوالي المطلب بن عبد الله الخزاعي من مصر وطرده ، فكانت ولايته على مصر سبعة أشهر ونصف [6] ، واستولى الجروى على شرق الدلتا ، واستولى الجروى على شرق الدلتا ، واستولى السري بن الحكم على الصعيد بجانب الفسطاط ، وانفردت قبيلتا لخم وجذام بحكم غرب الدلتا [7] .

١- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٧٥.
٢- اليعقوبي : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٣٩ ، الكندي ، ولاة مصر ، ص ١٧٦.
٣- الذهبي : العبر ، جـ١ ص ٢٤٦.
٤- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٥٠ ، عصام عبد الرءوف الفقي : الدولة العباسية ، ص ٩٥.
٥- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٧٧.
٦- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٧٩.
٧- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٢ ص ١٥٧ ، سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ١٢٦.

وفي تلك الفترة كانت مراكب أهل الربض المطرودين من الأندلس قد ست عند الإسكندرية ، وتمكنت من السيطرة عليها وتأسيس جمهورية شبه مستقلة لهم بها (١) .

وإزاء هذه الفوضى في مصر اضطر المأمون إلى الخضوع للأمر الواقع ، فولى السري بن الحكم سنة ٢٠١هـ/٨١٦م ، وأرسل إلى السري يأمره بأخذ البيعة بالخلافة من بعده لأحد العلويين وهو علي الرضا بن موسى ، وكان الذي زين له فعل ذلك هو وزيره الفضل بن سهل لأنه فارسي الأصل ، وفي نفس الوقت يريد أن يسيطر على العلويين كما سيطر على العباسيين (٢) .

وحدث الانقسام بين العرب في مصر ، فمنهم من وافق على البيعة لعلي الرضا ومنهم من عارض ذلك ، وكان من المعارضين عبد العزيز الجروى ، وانتهت هذه الفتنة بموت علي الرضا سنة ٢٠٣هـ /٨١٨م (٣) .

وبلغ الجروى ما فعله الأندلسيون بالإسكندرية ، فسار إليها وحاصرها وكاد أن يخرج منها ، ولكن أطماع السري بن الحكم في السلطنة حالت دون تحقيق ذلك ، حيث خشى من ازدياد نفوذ الجروى ، فهدده في عقر داره مما جعل الجروى يترك حصار الإسكندرية بما فيها من أندلسيين ، ومن ثم تطورت المنافسة بين الجروى والسري إلى نزاع علني (٤) ، وحاصر الجروى الإسكندرية أكثر من مرة إلى أن مات أثناء الحصار سنة ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م ، وبوفاته انتهت حركته ، وتوفي السري بن الحكم هو الآخر في نفس العام (٥) .

بويع بولاية مصر بعد وفاة السرى بن الحكم ابنه أبو النصر بن السري ، ولم تنته المنازعات التي قامت حول الاستئثار بالسلطة في مصر إذ ورث أبناء السوى والجروي نزاع

١- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٥٧ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ١٧٢ ، الشيال : تاريخ الإسكندرية ص ٣٧.
٢- الطبري : تاريخه ، جـ ٨ ص ٥٤ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٥ ص ١٨٣.
٣- اليعقوبي : تاريخه ، جـ ٢ ص ٤٥٣.
٤- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٦٥، المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص ١٧٢.
٥- الكندي . ولاة مصر ، ص ١٩٦، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ١٩٧.

والديهما ، واقتتل الطرفان فترة ثم اصطلحا ، وتوفي أبو النصر سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م [١] ، وتولي بعده عبد الله بن السرى الذي نشب القتال بينه وبين على بن الجروى [٢] .

وإزاء هذه الفوضى في مصر صمم الخليفة المأمون على وضع حدا لهذه الاضطرابات الداخلية ، الداخلية ، فسير إليها جيشا تحت قيادته عبد الله بن طاهر بن الحسين فانظم إليه على بن الجروى ، وأرسل طاعة لأبي عبيد الله بن السرى يدعوه إلى الطاعة ، ولكن عبيدا أخذ يستعد لحربه ، واشتبك الفريقان ووقعت الحرب بينهما فانهزم عبد الله وقتل معظم أصحابه حتى أشرف على الهلاك ، فطلب الأمان ، فكتب طاهر إلى الخليفة المأمون كتابا يسأله فيه الأمان لعبيد الله بن السري ، فأجابه الخليفة إلى ذلك ، وكتب لعبيد الله بن السري كتاب الأمان وأمره بالخروج إلى المأمون [٣] .

وهكذا تولى عبيد الله بن طاهر مصر في ربيع الأول سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م وأخضع عبيد الله بن السري ، ثم فرغ بعد ذلك لأمر الإسكندرية فسار إليها وحاصرها ، فطلب الأندلسيون بها الأمان ، وصالحهم على أن ينقلهم من الإسكندرية حيث رغبوا ، فخرجوا إلى جزيرة اقريطش - كريت - وملكوها وعين على الأسكندرية إلياس بن سامان ، وعد ثانية إلى الفسطاط سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧ [٤] .

هكذا يتبين لنا أن مصر عادت ولاية خاضعة للخلافة العباسية بفضل مجهودات عبد الله بن طاهر بعد أن عمت الفوضى شتى نواحيها ، وكادت أن تخرج من حكم الخليفة وتستقل بأمورها ، حيث انتهز بعض الطامعين في السلطان فرصة النزاع الذي

١- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٩٧، سالم : تاريخ الإسكندرية ص ١٤٢.
٢- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٩٩، ٢٠٠ .
٣- الطبري : تاريخه ، جـ٨، ص ٦١٠، الكندي: ولاة مصر، ص ٢٠٥، ٢٠٦،سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٠٢
٤- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٩٦، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٥ ص ١٩٧.

نشب بين الأمين وأخيه المأمون للاستئثار بالسلطة في كثير من الأحيان ، وساعدهم على ذلك الاضطرابات التي ألمت بالخلافة العباسية أوائل خلافة المأمون (١) .

دور مصر في محنة القول بخلق القرآن :

أخذ فريق من علماء المسلمين يتعمق في بحث المسائل الدينية على غرار ما كان يفعله رجال الدين والفلاسفة القدماء ، واستطاع المسلمون أن يكونوا لأنفسهم فلسفة تتماشى مع أصول الدين الإسلامي وأحوال المسلمين الاجتماعية ، ولا يعنينا هنا أن نبحث في آراء المعتزلة الدينية ، وإنما يهمنا أن الدولة العباسية اتخذت الاعتزال في وقت ما مذهبا رسميا لها ، وحملن جميع رعاياها على اعتناقه مستخدمة في ذلك جميع وسائل القوة والعنف (٢) ، وكانت مصر ممن حمل على اتخاذ هذا المذاهب ، وكانت مسألة خلق القرآن من المسائل التي تركز فيها الاعتزال خلال الفترة ما بين سنتي (٢١٨-٢٣٤هـ / ٨٣٣-٨٤٨م) على الرغم من ظهور هذه المسألة خلال عهد الخليفة المهدي (١٥٨- ١٦٩هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥م) وأخذت هذه المناقشات طابع الهدوء خلال فترات الهادي ، وهارون الرشيد .

وفي سنة ٢١٢هـ ٨٢٧م أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافا إليه تفضيل على بن أبي طالب ﷺ على أبي بكر وعمر ﷺ ، فاشمأزت النفوس منه ، وكاد البلد يفتن ، ولم يتحقق له من ذلك ما أراد ، فكف عن ذلك حتى كانت سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م. فامتحن الناس بالقول بخلق القرآن الكريم ، وكتب إلى نائبه على بغداد اسحق بن إبراهيم الخزاعي أن يمتحن الناس بالعراق ، وأن يعاقب من لا يقر بخلق القرآن ، واهتمت جميع الأوساط بهذه المشكلة حتى امتدت إلى العامة (٣) .

١- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص١٠٢، ١٠٣ ، بدر عبد الرحمن : الدولة العباسية ، ص ٩٨ ، ٩٩.
٢- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص١٠٤ .
٣- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧١.

وكان المأمون قد اعتنق قول المعتزلة في أن القرآن الكرين مخلوق وبدأ يجبر ويضغط على أمراء وعلماء الخلافة بالقول بخلق القرآن ، واستعمل العنف مع الفقهاء والأئمة وغيرهم في إحياء رأيه والسير عليه ، وامتد النزاع في اختبار شخصيات المسلمين الكبرى ، ومنهم بشر بن الواليد الذي اختبره إسحاق والى بغداد وقال له:"ما تقول في خلق القرآن؟"، قال بشر : القرآن كلام الله " فقال له إسحاق : " لم أسألك عن هذا ، مخلوق هو ؟ " ، قال بشر : " ما أحسن غير ما قلت لك " ، ثم سأل أحمد ابن حنبل : " ما تقول " ، قال : " كلام الله " ، قال : " أمخلوق هو ؟ " ، قال : " هو كلام الله لا أزيد على هذه "، ومن هنا نرى أن الفقهاء تمارضوا وتوارو ولم يجيبوا ولم ينكروا [١] .

توفي المأمون وواصل المسيرة الخليفة المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ /٨٣٣- ٨٤١م) ، ثم الخليفة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ / ٨٤١-٨٤٦م) ، وعذب هؤلاء الخلفاء من لا يعترف بخلق القرآن ، وبقدر ما كان الخلفاء يتشددون في تلك المسألة كان العلماء والشعب يعارضون فيها ، وامتدت المحنة بالاختبار إلى معظم الولايات الإسلامية ، وأصبحت الدولة الإسلامية كلها موضوع محاكمه [٢] .

ويهمنا هنا أمر مصر وموقفها في هذه المحنة الأليمة ، ففي ولاية كيدر بن نصر على مصر (٢١٧-٢١٩هـ/ ٨٣٢-٨٣٤م) [٣] طلب منه المعتصم أن يمتحن الناس أجمعين ، وخاصة الفقهاء والعلماء ورجال الدين والقضاة وغيرهم ، ومن لا يعترف بخلق القرآن يعزل من وظيفته ، والظاهر أنه لم تقم في مصر أول الأمر معارضه شديدة للقول بخلق القرآن ، حيث وافق كثير من العلماء والفقهاء والقضاة في مصر علي مسألة خلق القرآن ، ولم

١- اليعقوبي : تاريخه ، جـ٢ ص٤٧٢ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٧٢.
٢- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص١٠٥ .
٣- الكندي : الولاة ، ص ٢١٧.

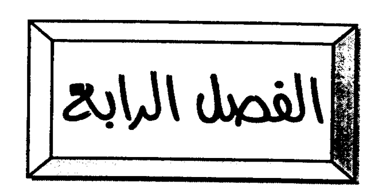
يعترض إلا القليل من المصريين ، ولم تتعرض مصر لم تعرض له العراق من قتل وتعذيب واضطهاد بسبب هذه المحنة وكان ذلك في خلافة المعتصم .

أما في خلافة الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤١-٨٤٦م) فقد ورد منه كتاب إلى قاضي مصر محمد بن أبي الليث يأمره بامتحان المصريين المسلمين جميعا في هذه المسألة ، وعندئذ عارض كثير من المصريين المحنة وثاروا ضدها ، فملئت السجون بهم ، وهرب الكثيرون [١] .

وأمر قاضي مصر محمد بن أبي الليث أن يكتب على المساجد (لا اله إلا الله رب القرآن المخلوق) ، وكان ممن هرب بسبب هذه المحنة أحد علماء مصر في تلك الفترة وهو ذو النون بن إبراهيم الأخميمي ، ولكن القاضي محمد بن أبي الليث قبض عليه فأقر بخلق القرآن [٢] ، وامتنع عن القول بخلق القرآن أبو يعقوب يوسف بن يحي البويطي المصري صاحب الإمام الشافعي [٣] ، حيث حمل إلى بغداد وظل متمسكا برأيه ، حتى توفي وهو في سجنه سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م .

ولما تولى الخليفة المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٦- ٨٦١م) وجد أن هذه المحنة قد طال أمدها ، فأرسل كتابا إلى جميع الأقاليم سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م يأمر ولاته بترك الجدل في القرآن الكريم ، وأبطل هذه المحنة وعم الفرح كافة بلاد المسلمين ، وعلا شأن الخليفة الكمتوكل واعتبروه المسلمون أعظم خلفاء المسلمين لأنه حقن الدماء ، وأنقذ المسلمين من الاضطهاد والتعذيب ، وأعاد الأمن والطمأنينة إلى قلوب الناس ، حتى قيل الخلفاء ثلاثة أبو بكر يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز يوم رد المظالم لبني أمية ، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التهجم .

١- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٢٩٢، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٠٦.
٢- الكندي : الولاة والقضاة ، ٤٥٣.
٣- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٢ ص ٢٧٥، السيوطي : تاريخ لخلفاء ، ص ٣٠١.



الدولة الطولونية

(٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨-٩٠٤م)

الفصل الرابع

الدولة الطولونية

٢٥٤ – ٢٩٢هـ / ٨٦٨ – ٩٠٤م

ساعد موقع مصر الجغرافي بعض ولاتها على الاستقلال بها في العصر العباسي الأول، وشجع أولئك الولاة على ذلك بعد المسافة بين العاصمة في مصر – الفسطاط – والعاصمة العباسية في بغداد ، وأول أولئك هو السري بن الحكم (٢٠١هـ/ ٨١٦م) الذي استطاع أن يجعل نفسه واليا مستقلا على مصر، وأن يجعل ولايتها في أبنائه من بعده مع بقائها تابعة اسميا للخلافة العباسية ، وكانت حركته قد بدأت في تنيس بشرق الدلتا [١].

وتميزت الفترة التي سبقت قيام الدولة الطولونية لاضطرابات داخل الدولة العباسية بسبب سياسة العباسيين التي قامت على كثرة تغيير الولاة لئلا يطمعوا في الاستقلال بالبلاد ، كما أصبح معظم الولاة منذ سنة ٢٤٢هـ / ٨٥٦م من الأتراك ، وذلك بعد صرف آخر والي عربي على مصر وهو عيسى بن إسحاق الذي أسندت إليه ولايتها سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م ، ولم يلبث أن عزل عنها سنة ٢٤٢هـ ٨٥٦م [٢].

وازداد نفوذ الترك في دار الخلافة ، وأخذ الخلفاء يقطعون الأمراء بعضض الأقاليم ، وكان هؤلاء الأمراء يفضلون البقاء ببغداد حتى يأمنوا الدسائس ضدهم ، كما أن الخليفة كان يفضل أيضا بقاءهم بجواره حتى لا يفكروا في الاستقلال عن الخلافة ، ولذا كان هؤلاء الأمراء يرسلون من ينوب عنهم لحكم هذه الأقاليم يدعون لهم بعد الخليفة في خطبة الجمعة، ويرسلون لهم الخراج ويدينون لهم بالطاعة والولاء [٣] ، وكان من اثر هذه السياسة

١- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٦٥- ١٦٧ ، بدر عبد الرحمن : الدولة العباسية ، ٩٣.
٢- المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٣١٢.
٣- محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، جـ١ ص ٥٢.

أن عمد بعض النواب إلى الاستقلال بمصر عن الخلافة العباسية بعد أن تطرق الضعف إليها [1].

في ظل هذه الظروف كان وجود أحمد بن طولون في مصر، حيث كان والده طولون الذي يعني اسمه البدر الكامل في اللغة التركية [2] مملوكا تركيا جلب إلى دار الخلافة العباسية، حيث كان من الرقيق الذين أرسلهم نوح بن أسد الساماني عامل بخاري للخليفة المأمون سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م [3].

خلال هذه الفترة أنجب طولون ابنه أحمد سنة ٢٢٠هـ/ ٨٥٣م [4]، وبعد وفاة والده سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م نال هو وأخوه موسى رعاية الجند الأتراك، وتزوجت والدتهما زعيما يدعي " بغا "، ثم تزوجت من باكباك الذي خلف " بغا " في وظيفة البلاط العباسي [5]، ثم تزوج أحمد بن طولون من حاتون ابنه أحد زعماء الترك ويدعي " يا رجوخ "، وهي التي أنجبت له ابنه الأكبر العباس.

جاء أحمد بن طولون مصر نائبا عن واليها الأصلي باكباك من قبل الخليفة المعتز سنة ٢٥٤هـ / ٨٦٨م، وتقلد الفسطاط وأسيوط وأسوان دون الأعمال الأخرى مثل الإسكندرية وغيرها، وبهذا شارك ابن طولون آخرون في الإدارة المصرية، منهم أحمد بن المدبر عامل الخراج الذي كان منافسا خطيرا له [6].

ولما توفي الوالي التركي باكباك تولي أمر مصر يارجوج الذي عمل على تثبيت صهره أحمد بن طولون في مصر نيابة عنه، بل أطلق يده فيها وقال له: " تسلم من نفسك لنفسك"[7]، ومن ثم أتيحت الفرصة لأحمد بن طولون للتخلص من أحمد بن المدبر عامل

١- حمل سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٩٦.
٢- سيدة كاشف : أحمد بن طولون / ص١٧.
٣- البلوي : سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٣، المقريزي : الخطط، جـ١ ص ٣١٣.
٤- البلوى : سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٣.
٥- أحمد عبد الرزاق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ٨٧، ٨٨، يوسف العش : عصر الخلافة العباسية، دار الفكر دمشق سورية ١٩٩٦، ص ١٤٥.
٦- المقريزي : الخطط، جـ ١، ص ٢١٤.
٧- البلوى : سيرة أحمد بن طولون، ص ٤٩.

الخراج ، فطلب ابن طولون نقله ، فنقل إلى وظيفة عامل الخراج في دمشق وفلسطين والأردن سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م ، كما تخلص أيضا من عامل البريد شفير الخادم ، وانفرد تماما بشئون الولاية ، ونجح في إظهار الكيان المصري وإبرازه ، كما منحها لأول مرة تجربه الاستقلال الذاتي [١] .

شرع أحمد بن طولون في الاستئثار بالسلطة في مصر وتثبيت أقدامه فيها وساعده على ذلك الآتي :

١. ما حدث من انشغال الخلافة العباسية في إخضاع الثورات المتأججة في المشرق ، وثورات الزنج ، والمنازعات الحادة بين الخليفة المعتمد والموفق وكذلك ثورات ابن الشيخ [٢] .
٢. قيام الجند الأتراك بالفتن والثورات .
٣. ما كان لأحمد بن طولون من علاقات طيبه مع كبار الموظفين في الحكومة المركزية في العاصمة .
٤. استفاد ابن طولون من تكوين جيش قوي بعد أن حصل من الخليفة على تفويض بشراء عدد من المماليك لإخضاع عيسى بن الشيخ والي فلسطين والأردن ، إذ عاد هذا الجيش بكامل قوته لما علم أن الخليفة أرسل إليه أماجور الذي هزمه سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م [٣] .
٥. صار هذا الجيش أداة في يد ابن طولون يقضي به على منافسيه والثائرين عليه .
٦. تولى أحمد بن طولون أمر الخراج والبريد مما ساعده على استكمال سيادته على البلاد .

١- البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٣٧.
٢- البلوى : سيرة أحمد بن طولو ، ص ٥٣ ، المقريزي: الخطط ، جـ١ ص ٣١٥، سيدة كاشف : الطولونيين والإخشيديين ص ١٩ .
٣- البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص٤٩ ، ٥١، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٣١٥.

أهم أعماله :

قام ابن طولون بإصلاحات اقتصادية كبيرة في مصر ، فنظم ديوان الخراج واهتم بالأمن الداخلي ، وأقام الجسور ، وحفر الترع ، وانتعشت الزراعة ، ونشطت الصناعات ، وراجت التجارة .

- نزل أحمد بن طولون أول الأمر بمدينة العسكر ، وأسس فيها بيمارستانه [1] .
- شرع في بناء مدينة القطائع سنة ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، وانشأ بها مسجدع المعروف [2] .
- تمكن من القضاء على الثورات الداخلية التي نشبت ضده مثل ثورة بغا الأصغر، الذي نزل مع أنصاره بين برمة والإسكندرية ، فأرسل ابن طولون جيشا ألحق الهزيمة به وقتله وحمل رأسه إلى الفسطاط سنة ٢٥٥هـ /٨٦٨م [3] .

كما شهد الوجه القبلي قرب مدينة اسنا ثورات لبعض العلويين مثل ابن الصوفي العلوي الذي أعلن الثورة وهزم فرقه أرسلها إليه ابن طولون ومثل بجثة قائدها ابن يزداد ، مما اضطر أحمد بن طولون إلى إرسال قائدين من قوادجه هما " بهم بن الحسين وابن عجيف " ، وتمكنا من هزيمة ابن الصوفي ، وهرب إلى الواحات [4] ، وظهر ثائر آخر يدعي العمري كان فقيها عالما يرجع نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، وقضى شطرا من حياته في القيروان بين بني الأغلب ، ثم انتقل إلى الصعيد الأقصى وبلاد النوبة ، وتمكن من جمع أنصاره من حوله وكون جيشا لا يستهان به وأعلن الثورة ضد ابن طولون ، وظلت المناوشات بين الطرفين حتى تمكن بعض غلمان العمري من قتله وبعثوا برأسه إلى أحمد بن طولون [5] ، وبذلك تخلص ابن طولون ممن رفعوا راية العصيان ضده بجنوب البلاد ، واستقامت له الجبهة الداخلية ، واعترف الناس بزعامته ، وعلا شأنه بحيث لا يجرؤ ثائر على الخروج عليه مرة أخرى .

١- ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ص ٩٩، محمود رزق : المجتمع المصري ، ص ٢٢١.
٢-المقريزي : الخطط جـ١ ص ٣١٣، حسن الباشا : مدينة القطائع ، القاهرة ، تاريخها ، وفنونها ، وأثارها ، ص ١٦.
٣-البلوى : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٢ .
٤- سيدة كاشف ، حسن أحمد محمود : الطولونيين والإخشيديين ، ص٢٤.
٥- البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٦٤- ٦٦ .

علاقة ابن طولون بالموفق :

جاء الخطر الحقيقي على أحمد بن الطولون من ناحية الموفق ولي عهد الخليفة المعتمد العباسي ، حيث نجح في الحصول على تفويض من أخيه بحكم الولايات الشرقية ، فأرسل الموفق يطلب من ابن طولون الأموال والهدايا التي اعتاد إرسالها إلى الخلافة في كل عام ليستعين بها على حرب الزنج . فأرسل إليه ابن طولون ألف ألف ومائتي ألف دينار (١.٢٠٠.٠٠٠)مليون ومائتي ألف دينار [١] ، ولم يرضى هذا المبلغ الموقف ، فأعد جيشا لإخراج ابن طولون من مصر وعلى رأسه موسى بن بغا ، وحين علم ابن طولون بتقدم جيش ابن بغا أخذ في تحصين مصر وشيد أسطولا حربيا ، وأقام حصنا قويا في جزيرة الروضة [٢].

وانتهز ابن طولون موت أماجور والي الشام سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧م ، وقاد جيشه إليها ، ودخل الرملة ودمشق وحماة وحمص وحلب وإنطاكية ، وفي سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م امتد نفوذه حتى الرقة ، وصار ملكه يشمل مصر والشام وبرقة ، وصار ملكه يشمل مصر والشام وبرقة ، وذكر اسمه في الخطبة بعد اسم الخليفة في هذه البلاد [٣] .

ولم تكن هذه الانتصارات اتي حققها ابن طولون نهاية الخصومة بينه وبين الموفق ، بل زادت الخلافات ، واستخدم كل طرف من السلاح والمكيدة والحرب الباردة والدبلوماسية مما يحقق هدفه ، فنصب ابن طولون مدافعا عن الخلافة بالسيف وبقوه السلاح ، وأرسل إلى الخليفة المعتمد سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١م يغريه بترك بغداد والالتجاء إلى أملاكه بمصر [٤] ، فرحب المعتمد بذلك ضجرا من أخيه ونكاية له ، وخرج بالفعل ومعه بعض خواصه بزعم أنه ذاهب للصيد حتى وصل إلى الرقة ، حيث كان في انتظاره ضابطان من رجال ابن طولون ، إلا أنه انكشف أمره ، فأرسل الموفق إلى عامل الموصل اسحق بن

١- البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٨٠، ٨١.
٢- سيدة كاشف ، حسن محمود : الطولونيين والإخشيديين ، ص ٣٥- ٤٠.
٣- الطبري : الرسل ، جـ١ ص ٣٢٣، البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٩١.
٤- ابن سعيد : المغرب ، ص١٢٦ان البلوى سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٨١ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٣٢٠.

كنداج يطلب منه رد المعتمد [١] ، واستطاع اسحق أن يقبض على الخليفة حاشيته وأعاده إلى أخيه الموفق [٢] .

وخلع الموفق على اسحق بن كنداج ولقبه بذي السيفين ، وعينه على مصر بدلا من أحمد بن طولون [٣] ، فأحضر ابن طولون قضاة أعماله واستفتاهم في خلع الموفق ، أصدر قرار بخلعه وإسقاط اسمه من الخطبة ، ومحو اسمه من الطراز وأمر بلعن الموفق على المنابر ، وذلك لمخالفته للمعتمد وحصره إياه ، ثم استخدم جيشه لإقرار سلطانه على الحجاز والسم ومنازلة فوات الموفق في مكة [٤] .

كان رد فعل الموفق أن استصدر أمرا بلعن ابن طولون على المنابر في جميع الولايات، وظل العداء بين الرجلين حتى رأى الموفق إن التمادي في ذلك لن يؤدي إلى خير ، فراسل إن معاتبا ، واعتذر له على ما كان من لعنة على منابر بغداد ، وظلت المفاوضات ، وخرج رسول الموفق حاملا كتاب الصلح ، فلما بلغ الرقة بلغة موت أحمد بن طولون ، فعاد راجعا إلى عاصمة الخلافة وكان ذلك سنة ٢٧١هـ / ٨٨٤م [٥] .

وهكذا نرى أن أحمد بن طولون استمات في الدفاع عن حقوق قد اكتسبها حتى وفاته بعد أن حكم مصر ما يقرب من ست عشرة سنة وترك دولة موطدة الأركان ، حيث اهتم اهتمام بالغ بشتى مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأخضع الثورات الداخلية، فعم الرخاء في عهده ، يشرف بنفسه على أمور الدولة ويستطلع أحوال الشعب .

وبعد وفاة ابن طولون اجتمع الجند وبايعوا ابنه خمارويه ، حيث كان أحمد ابن طولون قد زج بابنه البكر العباس في السجن بعد العصيان المسلح الذي قام به ضد أبيه .

١- البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٩٠.
٢- الطبري : تاريخه ، جـ٨ ص ١٠٧ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٢٠.
٤- البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٩٣.
٥- البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٢٩ ، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٣٢٠.

وظل هذا الابن في السجن بعد وفاة أبيه (1) ، وانتهى الأمر بأن قتل خمارويه أ.ناه العباس في ا' سجر حتى تصفوا له الإمارة كلها لأنه اعترض على مبايعته (2) .

وفي عهد خمارويه حاول الموفق الاستفادة من موتت أحمد بن طولون وفكر في القضاء على استقلال مصر ، وعلم بذلك خمارويه حيث كانت قوات الموفق تتقدم نحو مصر بقيادة اسحق بن كنداج أنطاكية وحلب وحمص ، ولذا أرسل خمارويه يعد الأيسر ، وساندهما بقوة بحرية ترابط في السواحل الشامية (3) .

هزمت جيوش خمارويه عند شيرز ، ودخلت القوات العراقية دمشق ، ثم وصلت إلى الرملة لتشق الطريق إلى مصر ، وكان ذلك بسبب خيانة الواسطى ، فخرج خمارويه إليهم في جيش يتكون من سبعين ألف مقاتل (4) ، والتقى بالقوات العباسية عند الطواحين على نهر أبي فطرس بين الرملة ودمشق سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م (5) .

وتمكن قائد خمارويه سعد بن الأيسر من رد الأعداء الذي كانوا قد حققوا النصر في أول المعركة وانشغلوا بالغنائم ، واضطرت الجيوش العباسية إلى التراجع نحو دمشق ، فهزمهم سعد بن الأيسر هزيمة منكرة (6) ، وهكذا تمكن خمارويه من استعادة أغلب مدن الشام (7) .

وعلى الرغم من هذا الانتصار فقد رأى خمارويه أن في السلم خيرا ، فكان البادئ بطلب الصلح والتفاهم مع الخليفة ، فكتب للموفق في طلب الصلح وهو ببلاد الشام على

١- الكندي : ولاة مصر ، ص ٢٤٩.
٢- الكندي : ولاة مصر ، ص ٢٥٨ ، ابن سعيد : المغرب ، ص ١٣١
٣- حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص١٠٥.
٤- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٣٥.
٥- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ٩٨.
٦-الطبري : الرسل ، جـ١ ص ١٤٩ ، ابو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ٥٠ .
٧- حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ١٠٦.

مال يدفعه [١] . فوافق الموفق سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م وأعطى له الحق في أن يحكم الدولة وأن ينفرد بها ثلاثين سنة هو وولده ، ولا يهدد بعزل أو يتدخل في شئون خمارويه [٢] .

وكانت هذه الاتفاقية نصرا عظيما توج به خمارويه فوق الانتصارات العسكرية التي أحرزها ، فتمكن بعدها من بسط نفوذه على منطقة الثغور ، ومن إقرار الأمن والطمأنينة في البلاد ، وخاصة بعد تمكنه من القضاء على المحاولة الأخيرة التي قام بها ابن أبي الساج سنة ٢٧٤هـ / ٨٨٧ م [٣] .

وفي عهد خمارويه تعززت العلاقات ، وتوفي الموفق سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١م [٤] ، ثم توفي المعتمد سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م ، كما عرض خمارويه أن يزوج ابنته قطر الندى إلى ابن الخليفة المعتمد - المعتضد - ، ولكن المعتضد فضل أن يتزوجها هو ، وتم ذلك سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م [٥] .

ظل خمارويه يحكم مصر والشام لمدة اثنتي عشرة سنة حتى اغتيل في دمشق على يد بعض خدمه وجواريه بعد إتمام زواج ابنته قطر الندى بقليل سنة ٢٨٢هـ / ٨٦٥م .

أبو العساكر جيش :

خلف خمارويه ابنه الأكبر أبو العساكر جيش ، وكان صغير السن في الرابعة عشرة من عمره ، ولم يكن ذا خبرة والتف حوله طائفة من الغلمان أخذوا أمره ، فاستهل حكمه بقتل عمه أبي العشائر بن أحمد بن طولون ، وأقبل على مجالس الشرب واللهو [٦] ، فنفر منه الجند وعولوا على خلعه ، وانتهى الأمر بأن خرج عليه صاحب دمشق ، وأمير الثغور ، وأسقطا اسمه من الخطبة على المنابرة [٧] .

١- الكندي : الولاة ، ص ٢٣٨، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٢٣١.
٢- الكندي : الولاة ، ص ٢٣٨، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ٥١.
٣- الطبري : الرسل ، جـ ٨ ص ١٥٤.
٤- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ١٠٠.
٥- الطبري : الرسل ، جـ ٨ ص ١٧٠. المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٣١٩ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ٥٣، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٢.
٦- الكندي : الولاة ، ص ٢٤١.
٧- المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٣١٩ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ٩١.

وعلى الرغم من ذلك لم ينزعج أبو العساكر مما حدث واستمر في لهوه وعبثه ، فاجتمع عليه رجال أبيه وقرروا ضرورة خلعه ، وأشهدوا بذلك عدول البلد وتم عزله والقبض عليه [1] .

خلف أبا العساكر أخوة أبو موسى هارون (٢٨٣هـ/ ٨٩٦م) ، وبايعه الجند وجعلوا مدبر دولته أبو جعفر محمد بن أبي - من كبار رجال بن طولون [2] فثبت أو موسى هارون ملكه بعد أن تخلص من جميع حاشية أخيه أبو العساكر جيش [3] ، إلا أن أحوال البلاد كانت مضطربة وفسدت أحوال الجند الطولونيين المرتزقة ، بجانب أن ربيعه بن أحمد بن طولون عم هارون قد أنكر ولايته وطلب الولاية لنفسه إلا أن هارون بفضل جنوده السود تمكن من القضاء على عمه ربيعة وقتله [4] . وفي ذلك الحين ورد على هارون موت الخليفة المعتضد زوج أخته قطر الندى سنة ٢٨٩هـ / ٩٠١م ، وتولى ابنه محمد الملقب بالمكتفي [5] .

وبدأت حركة القرامطة تجتاج الشام فتصد لها هارون ، الأمر الذي استنفذ فيه جانبا كبيرا من جيشه، وزاد الأمر سواء تلك الوحشة التي وقعت بينه وبين الخليفة العباسي المكتفي [6] ، الذي طمع في استعادة سلطان العباسيين على مصر ، فندب القائد محمد بن سليمان للقضاء على آخر الطولونيين [7] .

وبينما كان جند العباسيين يستولي على أملاك الطولونيين في الشام شهدت مصر آخر انقلاب سياسي في عهد الطولونيين راح ضحيته أميرها هارون بن خمارويه سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٤م ، إذ وثب عدى وشيبان ابنا أحمد بن طولون على ابن أخيها هارون وذبحاه،

١- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ٥٣ .
٢- ابن الداية : المكافأة ، ص ١٥٦ ، حسن أحمد محمود : مصر في عصر الطولونيين ، ص ٧١ .
٣- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ٩٩ .
٤- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ١٠٠ .
٥- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٢٣ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٦ .
٦- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ١١٠ .
٧- ابن سعيد : المغرب ، ص ١٤٥ .

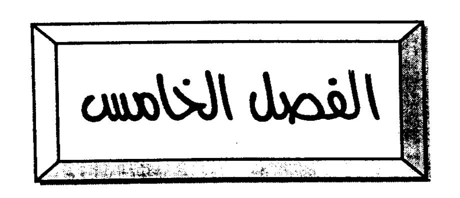
وهو لا يزال في الثانية والعشرين من عمره بعد أن دامت ولايته على مصر ثمان سنوات وثمانية أشهر وبضعة أيام [1].

بعد مقتل هارون تولى عمه شيبان مقاليد الأمور، وكان شابا في عنفوان شبابه، وكان أهوج يسرع في أموره بما لا يخدم مصالح البلاد، فقد عانى من قلة الأموال وغفلاس خزائن الدولة، فلم يتمكن من استرضاء الجند، فازدادت الأحوال سوءا وانضم جنده جماعة بعد جماعة إلى جند الخليفة المكتفي.

ووصل محمد بن ليمان القائد العباسي إلى العباسة – بمحافظة الشرقية – وحاول الجيش الطولوني صد هجماته ولكن دون جدوى، فأرسل محمد سليمان إلى شيبان يؤمنه وأهله جميعا، فسار إليه بأهله تاركا جنده وهم لا يعملون بتخليه عنهم، فلما علموا بذلك تفرق أمرهم [2]، وانهال عليهم الناس حتى صاروا يذبحون جماعة بين يدي القائد العباسي الذي أمر بإحراق القطائع ونهب الفسطاط [3]، وبذلك انتهت ولاية شيبان التي استمرت تسع أيام فقط وانتهت الدولة لطولونية بأكملها، واجتهد محمد بن سليمان في إزالة آثارها ولم يطل مقاومه بمصر إذ استبدله المكتفي بعيسى النوشري [4].

وهكذا عادت مصر ولاية عباسية كما كانت من قبل بعد أن حكمها بنو طولون ثمانية عاما [5]، وولي محمد بن سليمان على خرابها أبا علي الحسين بن أحمد الماذرائي، وولي على صلاتهم عيسى النوشري [6].

١- المقريزي : الخطط جـ١ ص ٣٢٢ ، أبو المحسن : النجوم ، جـ ٣ ص ١١١ .
٢- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ١٣٧ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٢٣ .
٤- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ١٤٧ .
٥- حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص ٦٢ .
٦- جمال الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٠٩ .



الدولة الإخشيدية

(٣٢٣-٣٥٨هـ/ ٩٣٤-٩٦٨م)

الفصل الخامس

الدولة الإخشيدية

٣٢٣ – ٣٥٨هـ / ٩٣٤ – ٩٦٨م

يشبه قيام هذه الدولة إلى حد كبير قيام الدولة الطولونية السابقة من حيث أنه يعتبر مثلا واضحا للأحوال السياسية السائد في ذلك العصر، كما يظهر أي مدى اتسع نفوذ الأتراك وطال سلطنهم وامتد من القرن الثالث إلى آخر القرن الرابع الهجري، فقد انحدر مؤسس الدولة الإخشيدية من نفس العنصر، فأصل الإخشيديين أتراك من فرغانة، ويقال أن جدهم كان من ملوكها.

التحق أبو الإخشيد وهو طغج بخدمة الخليفة العباسي المعتصم، وفي عهد خمارويه ظهر هذا الضابط الفرغاني وتفاني في خدمة الدولة، فعين واليا على دمشق [1]، ولكنه كان يسعى إلى تحقيق أهدافه الخاصة، فلما بدأ نجم الدولة الطولونية في الأفول وبدأت قوات العباسيين تنتهز فرصة ثورة القرامطة تنتقم من الطولونيين انضم هذا الضابط "طغج" إلى الجيش العباسي، الذي كان يقوده سليمان الكاتب، وكان عونا للعباسيين في مصر، فلما تم هذا الفتح عاد في ركاب الفاتحين إلى بغداد وتوفي بها [2].

وكان لطغج سبعة أبناء ذكر منهم ابن سعيد خمسة هم: أبو بكر محمد، وأبو الحسين عبيد الله، وأبو المظفر الحسن، وأبو نصر الحسين، وأبو القاسم على [3]. وكان أكبر هؤلاء الأبناء هو أبو بكر محمد بن طغج، ولد ببغداد سنة ٢٦٨/ ٨٨١م [4]، وكما رأينا

١- ابن خلكان: وفيات، جـ ٢ ص ٥٤.
٢- سيدة كاشف: عصر الإخشيديين، ص ٦٥.
٣- ابن سعيد: المغرب، ص ٥.
٤- ابن خلكان: وفيات، جـ ٢ ص ٥٥.

أحمد بن طولون يرقى درجات السلم في طريقة إلى ولاية مصر سنشهد بن طغج يسلك نفس الطريق ، وسوف نعرض خطوات الإخشيد نحو الهدف المنشود .

بدأ محمد بن طغج الإخشيدي حياته في مصر فقد اتجه إلى واليها تكين [1] ، وكأن العناية بعثته في الوقت المناسب ، فقد جاء مصر والشعوبية المصرية على أشدها في الثورة على العباسيين ، والغزو الفاطمي يطرق أبواب مصر من الغرب .

استطاع الإخشيد أن يكون عدة والى مصر واشتراك في رد الغزو الفاطمي على مصر بقيادة حباسة وأبلى بلاءا حسنا في القتال ، فقربه تكين وتوثقت صلته به حتى ظهر أمره [2] ، وانتهى الأمر بأن أنابه تكين عنه في حماة وجبل السراة أثناء وجوده بالشام ، ولما عاد لمصر في ولايته الثانية ولاه تكين الإسكندرية ، هناك أتيحت لمحمد بن طغج فرصة الاشتراك في رد الفاطميين بقيادة أبي القاسم بن المهدي سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م ، وولاه تكين أمر الحوف الشرقي والحوف الغربي ، وظهر أثناء ذلك حبه للمال ، فصادر الكثير من الأموال واستولى على العديد من التركات ، فأنكر عليه تكين ذلك وبدأت العلاقات تسوء بين الرجلين [3] .

كانت خطوة محمد بن طغج التالية هي كسب عطف كبار رجال القصر العباسي ، فسعى لدى أحد معارفه ببغداد وهو محمد بن جعفر القرطي حتى دبر له ولاية الرملة بالشام فخرج إليها سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م ، ولما علم الراشدي أمير الرملة بتقليد محمد بن طغج وبقدومه إليها بادر بالهرب وترك داره وأمتعته ، فوقعت كملها في يد محمد بن طغج[4] . وأراد بن طغج تحسين مركزه فساعده صديقه القرطي في بغداد حتى حصل على

١- الكندي : الولاة ، ص ٣٠١ .
٢- ابن سعيد : المغرب ، ص٧ .
٣- ابن سعيد : المغرب ، ص٨
٤- سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين س، ص ٦٣ .

تقليد من الخليفة المقتدر بولاية دمشق سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م[١] ، وكان لابن طغج أصدقاء كثيرون في دمشق ، وكان محبوبا عند أهله فرحبوا بتوليته .

أخذ ابن طغج يمكن لنفسه وكون قوة عسكرية يعتمد عليها في الصراع على السلطة ، وجمع إليه اخوته عبيد الله والحسن والحسين وعلى بنو طغج ، وأخذ يتحين الفرصة للحصول على ولاية مصر ، واستطاع في النهاية أن يستصدر من الخليفة الراضي أمر بضم إلى ولايته بالشام .

رأى الإخشيد أنه لن يستطيع دخول مصر إلا بالقوة ، فجمع جنوده ضم إليهم من استطاع ضمهم من القواد والجند الذين وفدوا عليه من الشام والعراق والبادية ، وكان في مصر الماذرائي وأحمد بن كيغلغ فأرسلا جيشا إلى حدود مصر الشمالية الشرقية ليمنعا ابن كيغلغ ، وأسل جزءا من جيشه في أسطول تمكن من الاستيلاء على دمياط وتنيس ، ثم التقى مع الماذرائي وابن كيغلغ بالقرب من سمنود، وانتصر عيهم ودخل الفسطاط في شهر رمضان سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م [٢] .

لم يكد الإخشيد يتولى أمر مصر حتى نهض محمد بن رائق للحصول على تقليد من الخليفة الراضي بإدارة جميع أمور الدولة ، واتسع سلطانه في الأقاليم المتاخمة لولاية الشام، وهدد الإخشيد في مصر ، إلا أن الإخشيد باغته وانتصر عليه وعمل على التقرب إليه ، فأرسل إليه الأموال ، وتصاهر الفريقان حيث زوج الإخشيد ابنته فاطمة من مزاحم بن محمد بن رائق [٣] .

ثم توفي الخليفة الراضي سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م، وخلفه أخوه المتقى بالله ، وقتل ابن رائق في العالم التالي ، فسار الإخشيد ودخل دمشق سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م وضم الشام إلا

١- سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين س، ص ٦٤ .
٢- ابن سعيد : المغرب ، ص ١٢ .
٣- سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين س، ص ٩١ .

ولايته (١) . وقد أقره الخليفة المتقى على مصر والشام ، وبذلك استطاع محمد بن طغج الإخشيدي أن يحقق الاستقلال الواقعي والنظري بعد أن دانت له قوى الدولة ، واعترف الخليفة بولاية مصر وراثية في بني الإخشيدي ، وأقره على البلاد التي استولى عليها ، وكان هذا الاعتراف تسنده قوة الإخشيد الهائلة (٢) .

حاول محمد بن طغج تقليد ابن طولون في جعل مصر للخلافة العباسية ، حيث دعا الخليفة المتقى إلى ترك بغداد والمجيء إلى مصر ، إلا أن المتقى لم يوافق على ذلك (٣) ، ومضى الإخشيد في تحقيق ما يريد فقد استطاع سنة ٣٣١هـ / ٩٤٢م ن يأخذ البيعة من قواده لابنه من بعده ، وحصل من الخليفة على موافقته على هذه البيعة ، وأصبح يدعو للخليفة ثم لنفسه ثم لولده من بعده .

وفي وذلك الوقت كان أمر بني حمدان في حلب قد اشتد وبدأ الصرع بينهم وبين الإخشيد (٤) ، واستمر محمد بن طغج في حكم مصر حتى توفي سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م (٥) ، وخلفه ابنه أبو القاسم أنوجور بعد أن ظل واليا على مصر إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر عن عمر يناهز ٦٦ عاما ، ودفن بالقدس (٦) .

ترك الإخشيد دولة مستقلة وراثية تمتد حتى المشرق ، وكان أندجور أكبر أولاده ، ولد في دمشق سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م ، وكان الإخشيد قد عقد لولديه ، وقرر أن تكون الوصاية عليهما لغلامه كافور ، ولذلك خضع أنوجور لوصاية كافور ، ولما بلغ سن الرشد حاول أن ينفرد بشئون الحكم ولكنه لم يتمكن لأن كافور كان متحكما في كل شيء ، وانقسم المنقسمون إلى كافورية لكافور ، وإخشيدية موالين لأنوجور (٧) .

١- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٢٩ .
٢- سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٥٤ .
٣- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ٢٥٥ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٥٩ .
٤- سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٨٩ .
٥- ابن سعيد : المغرب ، ص ٤٢ .
٦- ابن خلكان : وفيات ، جـ ٢ ص ٥٥ .
٧- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ٢٩٢.

عقد صلح بين الطرفين إلا أن الأمر ظل في يد كافور يدير شئون البلاد حتى توفي أنجور سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م ، ونقل جثمانه إلى القدس ودفن بجوار أبيه [١] ، وبعد ذلك نودي بأخيه على بن الإخشيد أميرا على مصر وذلك باتفاق كافور وقواد الجند ورجال أبيه الإخشيد ، وكان يبلغ من العمر في ذلك الوقت ثلاثا وعشرين سنة [٢] ، وقد أقره الخليفة المطيع على ولاية مصر والشام والحرمين .

ظلت الأمور في يد كافور حيث كان المسئول عن إدارة البلاد وضمان خراجها أمام الحكومة المركزية [٣] ، وحاول على بن الإخشيد إبعاد كافور عن تدبير أمور الدولة إلا أنه لم يفلح في تحقيق ذك لضعف شخصيته وقلة أنصاره ن ووقعت الوحشة بينه وبين كافور الذي منه الناس من الاجتماع به إلا أنه مات سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م ، وحمل جثمانه إلى القدس أيضا ودفن إلى جوار أبيه وأخيه [٤] .

وبعد وفاة على بن الإخشيد ظلت مصر أياما بغير أمير ، وذلك لأن كافور رفض أن يولي أحمد بن علي بن الإخشيد حيث كان صغير السن يبلغ من العمل تسع سنوات ، وانتهى الأمر بأن حصل كافور على تقليد بولايته مصر بعد وفاة على بن الإخشيد ودعى له على بن الإخشيد ودعي له على المنابر واحتفظ بلقب الأستاذ أو المسك ، وكان يعرف أيضا باللابى نسبة إلى إقليم اللاب من بلاد النوبة ، وعرف كذلك بالليثي .

وكان كافور عبدا حبشيا أسود بصاصا قبيح الشكل ثقيل البدن مثقوب الشقة [٥] ، أتى مصر مع مجموعة من الرفيق السود الذين استكثر منهم الإخشيد وأدخلهم في جيشه واعتمد عليهم في تنفيذ مشروعاته ، وقد تقلب هذا العبد في وظائف الدولة حتى وثق به

١- سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٩٧ .
٢- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٩٦ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٢٩ .
٣- سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٩٩ .
٤- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ٣٢٥ .
٥- المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص ٢٦، ٢٧ .

الإخشيد . وقد استغل كافور هذه الثقة بعد وفاة الإخشيد معتمدا على قوة الجنود السودانيين ، ولم يترك للأمراء الإخشيديين من الأمر إلا الاسم فقط ، فكان يحول بينهم وبين الظهور للناس ويدفع بهم إلى حياة الفراغ واللهو [1].

كان كافور خبير بالسياسة فطنا ذكيا جيد العقل داهية ، إذ كان يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه ، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس ، ويداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء [2].

وكان كافور قد صان وحدة الدولة وحال دون النزاع بين الأحفاد إلا أنه ترك بعد وفاته هؤلاء الأمراء لا خبر لهم بشئون الحكم ، فانهار البيت الحاكم بعد وفاته سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٧م ، حيث اجتمع رجال الدولة وولوا أبا الفوارس أحمد بن علي الإخشيد، وكان في الحادي عشر من عمره ، ودعى له على المنابر، ثم من بعده لحسن بن عبيد الله ابن عم أبيه وتولى أموره الوزير جعفر بن الفرات [3] ، الذي أساء التصرف صادر أملاك بعض الناس منهم يعقوب بن كلس ، وكانت من الأثرياء ففر إلى المعز لدين الله وأخذ يحرضه على دخول مصر [4] ، وكان الفاطميون لمصر بالمرصاد يتحينون الفرصة للاستيلاء عليها فتمكنوا أن يدخلوا مصر ويستولوا عليها ، وقبض على الأمير أحمد بن علي بن محمد الذي مات بعد فترة قصيرة – وكان عهده قد شهد فترة من الاضطراب الأحوال الاقتصادية ، ولم تعد الدولة قادرة على دفع رواتب الجند مما سهل لسقوط البلاد في يد الفاطميين سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م.

١- ابن سعيد : المغرب ، ص ٤٣، سيد كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ١٤٠.
٢- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٤ ص ٦ .
٣- المقريزي / الخطط ، جـ ١ ص ٣٣٠ .
٤- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ١٥٩ .

الفصل السادس

قيام الدولة الفاطمية

الفصل السادس

قيام الدولة الفاطمية

ينسب الفاطميون إلى فاطمة الزهراء [١] ، ويعرفون بالعبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدي [٢] ، تمكنوا من تأسيس دولة لهم في شمال إفريقية عرفت باسم الدولة الفاطمية .

كان القائم بالدعوة الفاطمية (الإسماعيلية) – نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق – عبد الله بن ميمون بن ديصان – لقب بالقداح – بعد أن أخذ عن أبيه ضروب الحيل وتعلم جميع أسرار الدعوة وأتقنها بزرع بذور الدعوة الفاطمية بنواحي كرخ وأصبهان من أعمال فارس . وذلك بمساعدة محمد بن الحسين الملقب بدندان الوالي على تلك النواحي ، وتم ذلك بتوجيه الدعاة إلى الأهواز والبصرة والكوفة وخرسان وسليمية قرب حمص ، وأشار عبد الله ديصان على الدعاة أن لا يظهروا ما في أنفسهم ، ويظهروا الزهد والتشيع ، والطعن على الصحابة يكون ذلك مدخلا في ما بعد للدعوة الفاطمية [٣] .

تسلم الدعوة بعد وفاة عبد الله القداح ابنه أحمد ، الذي كان يساعده رجل يدعي رستم بن الحسين بن حوشب بن دادان النجار الكوفي – من أهل الكوفة الذين كانا يقصدان المشاهد لنشر الدعوة بين زائريها [٤] .

ومن الذين تقبلوا هذه الدعوة رجل من اليمن يدعي محمد بن الفضل الذي عاد إلى اليمن ، وأرسل معه أحمد بن عبد الله ، رستم بن حوشب مزودا بتعليمات متشددة ، وفي اليمن اجتمع إلى ابن حوشب جمع غفير ممن تقبلوا الدعوة ، وجمع الكثير من الغنائم والأموال والهدايا ، مما مكنه من إرسال هدايا إلى أولاد عبد الله القداح [٥] ، وذلك سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م .

١- ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٤ ص ٣٨.
٢- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٤.
٣- ابراهيم أيوب : التاريخ السياسي الفاطمي ، ص ٢٠ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٨.
٤- ابن الأثير : الكامل ، جـ٦، ص ١٢٦، سرور : الدولة الفاطمية ، ص١٨.
٥- حسن ابراهيم حسن . الفاطميون في مصر ، ص ٧٩.

وفي الوقت نفسه كان أحمد بن عبد الله قد أرسل برسولين يعرف الأول بالحلواني والثاني بأبي سفيان وقال لهما : " أن أرض المغرب بور ، فاذهب احرثا حتى يجئ صاحب البذر " ، فسار ونزل أحدهما بأرض كتامة ، والآخر بسوق حمار ، فمالت إليها قلوب هذه المناطق (١) .

ولما توفي الحلواني وأبي سفيان ، ووصل خبر وفاتهما إلى ابن حوشب أسرع إلى أحد أصحابه - أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي - من أهل صنعاء ، وطلب إليه تعهد الدعوة في أرض المغرب ، وقال له : " أن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأب سفيان ، وقد ماتا وليس لها غيرك ، فبادر فإنها موطأة عهدة لك " (٢) .

غادر أبو عبد الله الشيعي اليمن إلى مكة ، وزوده ابن حوشب بالمال اللازم ومرافق يدعي عبد الله بن أبي ملاحف ، وفي مكة وأثناء موسم الحج ألتقي بحجاج من قبيلة كتامة سنة ٢٧٩هـ / ٨٩٢م (٣) ، وقد استهوي أبو عبد الله الشيعي هؤلاء الحجاج بما له من قدرة على الإقناع وفن الجدل ، وأخذ يسألهم عن أحوالهم وأحوال بلادهم وعن مدى إطاعتهم لأميرهم ، حتى تمكن من الوقوف على جميع أحوالهم ، فلما وصلوا مصر أثناء عودتهم أخذ يودعهم ، فشق عليهم فراقه ، فألحوا عليه أن يسير معهم إلى بلادهم حتى أجابهم ، ووصلوا إلى بلادهم كتامة- من بلاد الجزائر اليوم – في منتصف شهر ربيع الأول سنة٢٨٨هـ/٩٠٠م.

أكرم أهالي كتامة أبي عبد الله وأجلوه من أنفسهم كل الإجلال والتقدير ، وتهافت عليه الناس وزاد التفافهم حوله حتى تمكن أبو عبد الله من التغلب على جميع المشاكل التي واجهته ، ووحد قبيلة كتامة وكون منها جيشا قويا ، وفي سنة ٢٩١هـ / ٩٠٣م بدأت أعماله الحربية وشجعه على ذلك ضعف دولة الأغالبة ، حيث تمكن من مد سيطرته على أكثر أجزاء هذه الدولة (٤) .

١- المقريزي : اتعظ الحنفا ، جـ١ ، ص ٢١.
٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ٦، ص ١٢٧، حسن ابراهيم حسن : الفاطميون ، ص ٥٢.
٣- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص١٩.
٤- ابن الأثير : الكامل ، جـ٦، ص ١٢٧، سرور : الدولة الفاطمية ، ص٥٧.

وفي سنة ٢٩٦هـ /٩٠٨م نجح أبو عبد الله الشيعي في الاستيلاء على رقاده - تقع جنوب القيروان وهي من أعمال تونس الآن - واستقر في دار الإمارة بها [١] . واستولى على القيروان ، واضطر آخر أمراء الأغالبة وهو زياد الله الثالث إلى أن يهرب إلى المشرق .

ولما تم لأبي عبد الله الفتح والنصر سار في قوة كبيرة إلى سجلماسة لإطلاق سراح عبيد الله المهدي الذي كان قد سجن عندما علة بأمره العباسيون الأغالبة ، وكان ذلك سنة ٢٩٦هـ /٩٠٨م واحتل أبو عبيد سلجماسة [٢] ، ودخل أبو عبيد الله المهدي رقاده في احتفال كبير وبين يديه أبو عبد الله الشيعي ورؤساء كتامة وبايعوه بالخلافة وتلقب بالإمام المهدي أمير المؤمنين [٣] .

ولما استقر حكم الفاطميين في شمال إفريقية ، رأى أبو عبيد الله المهدي أنه لا يمكن أن يتعايش مع أبي عبد الله الشيعي الذي تدين الدولة الفاطمية في ظهورها ووجودها له ، فكان لا بد من الاصطدام معه ، وبالفعل بدأت العلاقة بينهما تفتر حتى كف أبو عبيد الله المهدي يدي أبي عبد الله الشيعي ويد أخيه أبي العباس ، واتفقا على قتل المهدي ، فاكتشف عبيد الله المهدي هذه المؤامرة وأمر قائده بن حباسة بالتخلص منهما فتم قتلهما سنة ٢٩٨هـ / ٩١٠م ولذا كان مصير أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية متشابها بمصير أبي مسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية [٤] .

أدى حادث قتل عبد الله الشيعي إلى ثورة الكتاميين ضد المهدي مما دفعه إلى استخدام القوة وتسيير قواته بقيادته ابنه وولى عهده أبو القاسم ، الذي نجح في هزيمة لكتاميين وإخماد ثوراتهم [٥] .

١- البكري : المغرب ، ص ٢٧.
٢- حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٦٠ .
٣- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ٩٢.
٤- حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ٦١.
٥- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ٢٥.

لما استقر الأمر لعبيد الله المهدي بني عاصمته الجديد " المهدية " سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م وقضى الفاطميون على بقايا الأغالبة ، وقضوا على دولة الأدارسة ، واصطدموا بالخلافة الأموية بالأندلس وحدو كثيرا من نفوذها في شمال إفريقية ومدوا سيطرتهم إلى صقلية ، وتصدوا لثورات البربر واستمالوا قبائلهم بالحرب تارة وبالسلم تارة أخرى ، وامتدت سيطرتهم غربا إلى المحيط الأطلسي [١] .

ولما استقر حكم الفاطميين في شمال إفريقيا ، عملوا على الاستيلاء على مصر حتى يمكنهم من هناك مد سيطرتهم على بلاد المشرق ، حيث كان يسند إلى ولاة مصر ولاية الشام والحجاز. فكانت امتلاك مصر يعني امتلاك الشام والحجاز أيضا .

ولتحقيق ذلك ظلوا أكثر من نصف قرن يتحينون الفرصة فكانت أولى هذه المحاولات حين أرسل عبيد الله المهدي الخليفة الفاطمي الأول حملته سنة ٣٠١هـ /٩١٣م بقيادة ابنه وولي عهده أبي القاسم ومعه حباسة بن يوسف لفتح طرابلس وبرقة [٢] . تمهيدا للسير نحو الإسكندرية ، ونجحت هذه الحملة في قطع الصحراء ، بل تمكنوا بالفعل من دخل الإسكندرية ونهبها ، وامتد الأمر إلى توغل هذه الحملة في بعض مناطق الوجه البحري [٣] ، واتجهت جنوباً حتى إقليم الفيوم ، ولكن هذه الحملة باءت بالفشل إذ اعترضها جيش عباسي أرسله الخليفة المقتدر بالله تحت قيادته مؤنس الخادم ، قيل أن عدة هذا الجيش بلغت أربعين ألفا [٤] ، ونجح في إرغام الجيش الفاطمي على التقهقر ، حيث اشتبك الفريقان في معركة ببلدة مشتول على مقربة من الجيزة ، وانهزم حباسة [٥] . وعاد إلى بلاد المغرب ، حيث قتله الخليفة عبيد الله المهدي على أثر رجوعه [٦] .

١- محمد مرسي الشيخ : مصر الإسلامية ، ص ٢١١.
٢- المقريزي اتعظ الحنفا ، ص ٤١ .
٣- الكندي : ولاة مصر ، ص ٢٦٨.
٤- حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٨٢.
٥- الكندي : الولاة ،ص ٢٦٩ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ١٧٢ ، المقريزي : اتعاظ ، ٦٨ ، ٦٩.
٦- الطبري : الرسل ، جـ٢ ص ٢٧ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٦١.

وعلى الرغم من أن هذه الحملة باءت بالفشل عسكريا إلا أنها حققت هدفا أساسيا للسياسة الفاطمية ، ألا وهو تخلف عدد من أفراد هذه الحملة واستقرارهم في أماكن متفرقة بمصر كي يكونوا عونا للسلطات الفاطمية في المحاولات القادمة .

وتكررت المحاولات من قبل الخلافة الفاطمية ببلاد المغرب لفتح مصر ، حيث رأى عبيد الله المهدي إعداد حملة لفتح مصر ، وكان ذلك أواخر سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨م وتحرك هذا الجيش تحت قيادة ابنه أبي القاسم سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م ، وعندما بلغت أنباء دخول هذه الحملة إقليم لوبية ومراقية على حدود مصر وبرقة إلى الإسكندرية ، ورحل بعضهم عن المدينة [١] ، وتمكنت هذه الحملة من دخول الإسكندرية ، وصحابها أسطول بحري فاطمي عدته ثمانون مركبا ، ثم استولى على الجيزة ، وأخذ الفاطميون يتوغلون في بلاد الوجه القبلي حتى تمكنوا من الاستيلاء على الأشمونيين والفيوم [٢] .

فأرسل الخليفة العباسي المقتدر بالله جيشا تحت قيادة مؤنس الخادم إلى تلك البلاد وأرسل أسطولا لا تحت قيادته قائد طرسوس ، وتم اللقاء بين الأسطولين عند مدينة رشيد انتهت الواقعة بهزيمة ساحقة للأسطول الفاطمي [٣] ، وتمكن الجيش العباسي من إحراق السفن الفاطمية ، وقتل معظم جندهم وأسر بعضهم [٤] .

وكانت الحملة الثالثة للفاطميين على مصر أيام الخليفة الفاطمي القاسم بن عبيد الله المهدي الذي لقب بـ " القائم بأمر الله " وذلك سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٥م ، وقد استمر تجهيز هذه الحملة زهاء ثلاث سنوات (٣٢١- ٣٢٤هـ / ٩٣٣- ٩٣٥م) ، وتمكنت هذه الحملة من دخول الإسكندرية دون مقاومة شديدة ، حيث انضم بعض الزعماء المصريين إلى جيش المغاربة الذي دخل المدينة في ربيع الثاني سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م [٥] ، ولكنها لم تتمكن من

١- الكندي الولاة ، ص ٢٠٧ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٤ ص ١٨٧.
٢ جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٦٢ .
٣- الدواداري : كنز الدرر ، جـ٦ ص ١١٢، المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ١٤٧.
٤- حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٨٣.
٥- الكندي ولاة مصر ، ص ٢٨٧.

تحقيق هدفها ، حيث أرسل الإخشيد إليها قوة كبيرة استطاعت إلحاق الهزيمة بالفاطميين الذين اضطروا إلى العودة لبلادهم بعد مقتل قائدهم ، وتمكن الحسن بن طغج الإخشيدي أخو محمد بن طغج الإخشيدي من دخول الإسكندرية ، وقضى على من كان فيها من الفاطميين (١) .

وعلى الرغم من فشل تلك المحاولات إلا أن الفاطميين لم يرفعوا أنظارهم عن مصر ، وإن كانت حملاتهم قد توقفت بسبب وجود رجل قوي في مصر " كافور الإخشيد " من ناحية ، وكذلك انشغال الخليفة الفاطمي المنصور الذي آلت إليه الخلافة بعد وفاة أبيه " القائم " سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م بضبط الأمور في بلاده ، بجانب ما تتطلبه هذه الحملات من أعباء مالية (٢) ، ومن ناحية أخرى حاول كافور تحسين علاقته بكل من الخليفة العباسي والخليفة الفاطمي ، فكان كما يذكر أبو المحاسن : " يهادي المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه ، وكذا يذعن بالطاعة لبني العباس ويداري ويخدع وهؤلاء " (٣) .

وفي عهد كافور حاول المعز الذي تولى الخلافة سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م إعادة الكرة للاستيلاء على مصر ، فبعث جموعا من عساكره هاجمت الواحات المصرية فأعد كافور جيشا أجلاهم عنها (٤) .

ولما توفي كافور سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٧م اضطربت الحالة السياسية لمصر ، حيث اجتمع كبار القواد والموظفين وعقدوا الولاية لأحمد بن على الإخشيد ، وكان صبيا في الحادية عشرة من عمره (٥) ، وما لبث أن استقل الوزير جعفر بن الفرات بتدبير أمور ولاية مصر ، وأصبحت البلاد في عصره مسرحا للفوضى وتعرضت مصر لأزمة اقتصادية ، حيث بدأ انخفاض النيل سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م ، وظل تسع سنوات حتى ٣٦٠هـ / ٩٧٠م (٦) ، وما إن

١- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ص ١٧٤، جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٦٣.
٢- حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٨٩.
٣- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٤ ص٦.
٤- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ٦٥.
٥- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٤ ص٩.
٦- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٣٠.

علم المعز لدين الله بما آلت إليه البلاد المصرية من سوء الأحوال حتى أعاد الكرة في التفكير في غزو مصر.

وأعد المعز المال اللازم للحملة التي ستقوم بذلك [1]، كما بعث إلى دعاته بالبلاد المصرية أعلاما، وأمرهم أن يوزعوها على الجند الذين يؤيدون بيعته لينشروها إذا ما اقتربت عساكره من مصر [2]، وأمر بإنشاء الطرق وحفر الآبار في طريق مصر وأقام المنازل على رأس كل مرحلة للاستراحة [3].

وكانت الإسكندرية لا تزال في حالة من الاضطراب والفوضى منذ الحملات الأولى حتى قدمت جيوش المعز مع القائد جوهر الصقلي ودخلت المدينة دون مقاومة تذكر، ومنع الجند من التعرض للأهالي [4]، وكان ذلك سنة ٣٥٨هـ/٩٦٨م وبلغ عدد جيشه ما يزيد عن مائة ألف جندي [5]، كما صاحب هذا الجيش أسطول بحري ليقضي على أي اعتداء من قبل الذين كانوا قد بدءوا يطمعون في استعادة مصر من جديد [6].

لماذا فكر المعز في فتح مصر ؟

نجد أنه فكر في ذلك للآتي :

- أغراه على القيام بذلك ضعف الخلافة العباسية وتحكم بنو بوية – وهم من الشيعة – في الخلفاء العباسيين.
- أراد الخليفة المعز أن يحقق مشروع آبائه في غزو مصر لتكون حاضرة لخلافتهم ويتخذ منها مكانا منافسا لبغداد وقرطبة.
- انشغال الخليفة العباسي الطائع بحروبه مع البيزنطيين في الشام، بجانب ضعفه وعدم تمكنه من إرسال جيوش إلى مصر لنجدتها.

١- ابن الكثير : البداية، جـ ١١ص ٢٦٦.
٢- المقريزي : اتعاظ الحنفا، جـ٢ ص٩٣، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين، ص ٣٦٥.
٣- حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر، ص ١٠١، ١٠٢.
٤- المقريزي : الخطط، جـ٢ ص ١٧٤، جمال سرور : الدولة الفاطمية، ص ٦٧.
٥- أبو المحاسن : النجوم، جـ٤ ص ٧٣.
٦- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر، ص ١٧٧.

- رأي المعز أن أرض المغرب كانت مجدبة لا تصلح كإقليم يدعم أساس دولته الناشئة وخلافته الشابة .

وهناك أمور ساعدت الفاطميين على غزو مصر منها الآتي :

- ما تعرضت له الدولة العباسية على أيدي القرامطة .
- تأثير الدعاية الفاطمية في أراضي الدولة العباسية ، حيث وصلت إلى بغداد نفسها ووجدت قبولا من البويهيين ، وكانوا يدينون بالمذهب الشيعي.
- ساعد المعز أيضا ضعف الدولة الإخشيدية صاحبة السيادة الفعلية على مصر.
- المجاعات التي اجتاحت مصر وسببت الغلاء بجانب انتشار الأمراض .
- تنكر غلمان كافور له ، وطمع أحد أمراء النوبة في جنوب مصر حيث هاجم أخميم .
- قوة الدولة الفاطمية الفتية الشابة وما تميز به المعز من قوة وشجاعة ودهاء حيث تجنب أخطاء سابقيه وأرسل الجواسيس لمصر قبل إرسال جيوشه لغزوها .
- إسناد قيادة الحملة إلى قائد محنك هو جوهر الصقلي الذي حقق كثير من الانتصارات الحربية بالمغرب بعد أن مهد له الطريق ، وأمده بجميع الإمكانيات العسكرية والمادية التي ساعدته على نجاحه في غزو مصر.

ووصل جوهر الصقلي إلى الإسكندرية ودخلها دون قتال ، فلما وصلت الأنباء إلى الفسطاط اضطرب أهلها وتملكهم الذعر واتفقوا مع الوزير جعفر بن الفرات أن يرسل في طلب الصلح والأمان [1] ، فأرسل وفدا على رأسه الشريف أبو جعفر مسلم بن عبيد الله ، والتقى الوفد المصري بالوفد الفاطمي عند قرية تروجه – إحدى قرى محافظة البحيرة الحالية – وانتهى الأمر بعهد الأمان للمصريين [2] .

غير أن الإخشيديين ومن كانوا لا يميلون إلى الفاطميين لم يستسلموا لتلك القوة الدافقة ، ويعنوا لرغبة الشعب بل خرجوا ليصدوا جيش جوهر الصقلي، فعسكروا وراء

١- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ٦٧

٢- ابو المحاسن النجوم ، جـ٤ ص ٣٠، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين، ص ٢٢٦.

النيل من جهة الجيزة . ولما وصل جوهر بالقرب من الفسطاط عبر بجيشه النيل إليهم وهاجمهم وقتل فيهم مقتلة كثيرة وهزمهم ودخل الفسطاط . ثم طلب أهلها الأمان وخرج رجال الدولة والعلماء والقضاة والأشراف وكبار التجار والأعيان لاستقبال جوهر أن يقوموا بأعمال السلب والنهب [١] .

وهكذا بدأ حكم الفاطميين في مصر وزال عهد الدولة الإخشيدية [٢] . ووضع جوهر أساس المدينة الجديدة التي عمل على إنشائها شمال الفسطاط في ليلة ١٧ شعبان سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م وهي مدينة القاهرة . وسوف نتناول نشأتها بالتفصيل عند الحديث عن عواصم مصر الإسلامية . كما وضع في الليلة التالية أساس القصر الذي بناه لمولاه المعز لدين الله. ثم اقام حول تلك المدينة والقصر سورا كبيرا [٣] .

كذلك رأى جوهر ألا يفاجئ السنيين في مساجدهم بشعائر المذهب الشيعي مذهب الدولة الفاطمية . خشية أن ينال غضب المصريين . ولذا قام ببناء الجامع الأزهر سنة ٣٥٩هـ / ٩٦٩م . وانتهى من بنائه سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م [٤] .

استمر جوهر حاكما للديار المصرية بعد أن تولى أمورها زهاء أربع سنوات وعشرين يوما . حتى وجد المعز لدين الله أن الأمور في مصر قد مهدت له . فانتقل من مقره في المهدية إلى مدينته الجديدة القاهرة المعزية . وذلك سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م . وصار جوهر من عظماء القواد في دولة المعز [٥] .

بدأ الفاطميون حكمهم في مصر بداية طيبة وعملوا استمالة المصريين ولم يسمحوا للمغاربة بالسكن في مدينة الفسطاط . وجعلوهم بالقاهرة [٦] . والواقع أن حكم الدولة

١- المقريزي اتعاظ ، جـ٢ ص ١٥٧، حسن ابراهيم حسن الفاطميون في مصر ، ص ١٠٦، ١٠٧ ، سيدة كاشف بمصر الإخشيديين ، ص ٣٧ .
٢- سيدة كاشف بمصر الإخشيديين ، ص ٣٧ .
٣- المقريزي الخطط ، جـ١ ص ٣٧٧، أبو المحاسن النجوم ، جـ٤ ، ص ٣٤
٤- المقريزي الخطط ، جـ٢ ص ٢٧٣ .
٥- ابو المحاسن النجوم ، جـ٤ ص ٧١ ، ٧٢ .
٦- ابن ميسر تاريخ مصر ، ص ٤٥ .

الفاطمية في العالم الإسلامي امتد نحو مائتين وسبعين سنة منذ أول تأسيسها في المغرب سنة ٢٩٧هـ /٩٠٩م بعد مبايعة عبيد الله المهدي إلى سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م .

أما حكم الدولة الفاطمية في مصر فقد امتدقرابة قرنين من الزمان (٣٥٨- ٥٦٧هـ / ٩٦٩- ١١٧١م) ، يمكن تقسيمهم إلى قسمين كبيرين ، القسم الأول يمتد حوالي قرن من الزمان ، إذ يبدأ من سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م ، وينتهي في النصف الأول من حكم الخليفة المستنصر بالله حوالي سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م وهو عصر القوة والازدهار ، حيث بلغت فيه الدولة قمة مجدها وعظمتها واتساع نفوذها ، واتسم بخلافة خلفاء عظام اتسموا بقوة الشخصية وحسن التدبير ، وسيطرتهم على مقاليد الأمور ، وجعلهم وزراءهم في المرتبة الثانية ، ويمكن أن يطلق عليه سلطة الخلفاء [1] .

وأول هؤلاء الخلفاء هو المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١- ٣٦٥هـ / ٩٥٢-٩٧٥م) الذي عرف بجبار الشيعة ، وكان على درجة كبيرة من الذكاء ويجيد لغات متعددة اهتم بشئون مصر المالية ، ومنع النداء بزيادة النيل ، إلا إذا تم الفيضان [2] ، وكان من أهم أعماله :

- عهد بالإشراف على الشئون المالية إلى كل من يعقوب بن كلس وعسلوج ابن الحسن وأمر بإصلاح العملة حيث ضرب الدينار المعزي [3] .
- تصدي لجيش القرامطة الذي كان يهدد مصر [4] .
- اهتم بإنشاء أسطول قوي للدفاع عن مصر من ناحية البحر.
- بني دارا جديدة لصناعة السفن في المقس ، وأنشأ بها في عهده ستمائة سفينة حربية ، وتوفي المعز سنة٣٦٥هـ / ٩٧٦م [5] .

١- جمال الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، جـ١ ، ص١٥١.
٢- المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص ٤٧٠، حمدي المناوي : نهر النيل ، ص ١٥٩.
٣- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٩٩، جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٤١.
٤- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٢٥٠، يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ، ص ٢١٦،٢١٧.
٥- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٤ ص ٧٧، الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٥٢.

العزيز بالله (٣٦٥–٣٨٦هـ/ ٩٧٦– ٩٩٦م) :

كان كما وصفه المؤرخون شجاعا كريما سمحا مثقفا ، وجه هدفه الأول نحو التوسع الخارجي حتى امتدت الدولة في عهده من المحيط الأطلسي غربا إلى الخليج الفارسي شرقا، ومن اليمن جنوبا إلى أطراف بلاد الشام شمالا ، وخطب له في جامعة القسطنطينية[١] ، ويعد دور العزيز بالله في الدولة الفاطمية شبيها إلى حد كبير بدور أبي جعفر المنصور في الدولة العباسية ، ومن أهم تنظيماته الآتي :

- شكل الوزارة على أسس قوية، ورتب الدواوين ، وانتخب وزراء أقوياء من اليهود والنصارى ، مثل يعقوب بن كلس ، عيسى بن نسطورس وغيرهما[٢] .
- عرف بالتسامح مع أهل الذمة الذين نعموا بالحرية في عهده .
- ازدهرت في عهده ثروة البلاد فعاش الناس في رفاهية .
- حول الجامع الأزهر إلى مدرسة علمية وجامعة إسلامية ، واهتم بالعمران فشيد القصور وشرع في بناء جامعة الكبير الذي أتمه من بعده ابنه الحاكم[٣] .
- اهتم بإعداد جيش قوي وادخل فيه عناصر جديدة من الترك والديلم بعد أن كان معظمه من المغاربة [٤] .

مات العزيز في بلبيس ، وكان قد خرج لحرب القرامطة ، وهو في سن الرابعة والأربعين من عمره وذلك سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م .

١- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٤ ص ١٥١

٢- حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٤١ ، ٢٥٠ ، ٣٠٥.

٣- المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٢٧٧.

٤- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٠١.

الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ/ ٩٦٦- ١٠٢٠م) :

تولى الخلافة بعد أبيه العزيز وكان صبيا صغير السن في الحادية عشرة من عمره (١) ، فتولى الوصاية عليه مربية برجوان الخادم ، ولكن الحاكم قتله غدرا بعد مرور أربع سنوات تخلصا من ثقل وصايته ويبدأ يتحكم في زمام الأمور منذ سنة ٣٩٠هـ/ ٩٩٠م (٢) ، وأخذ يتصرف تصرفا مطلقا في كافة الأمور رغم صغر سنة ، حتى أصبح شخصية مهابة يخشاه الجميع من الخاصة والعامة، وظهر في تصرفاته الكثير من الشذوذ.

- اتسم بالقسوة والعنف والميل إلى سفك الدماء حيث وصل عدد من قتلهم حوالي ١٠آلاف إنسان (٣) .
- كان شجاعا مقداما تارة وجبانا مترددا تارة أخرى .
- منع الناس من تقبيل الأرض إكراما له ، أو تقبيل ركابه أو يديه عند السلام عليه في المواكب .
- كان مترددا في كثير من الأحيان حيث أمر أن يكتب على المساجد والجوامع وأبواب الحوانيت سب أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ، وذلك سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م . ثم محا ذلك بعد عامين في سنة ٣٩٧هـ/١٠٠٦م ، وارتدى الصوف سبع سنين (٤) .
- أمر بغلق الحوانيت نهارا وفتحها ليلا .
- أصدر أمرا بقتل الكلاب في جميع الديار المصرية ثم أوقف ذلك .
- حمل على عاتقه أن يقوم بالحبسة ، واصدر عدة أوامر يمنع من خلالها تناول أو بيع بعض المأكولات مثل الدلنيس، وهو نوع من الصدف-ربما يكون أم الخلول-

١- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٤ ص ١٧٦، عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله ، ص ٢٥.
٢- أبن الأثير : الكامل ، جـ ٧ ص ١٨٠ .
٣- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ١٨٤ .
٤- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٤ ص ١٧٨ .

وحرم أكل الملوخية والترمس العفن ، والجرجير ، والقرع ، وهذا سببه تعصب مذهبي [١] .

- أمر ألا يباع شيء من سمك بدون قشر، وألا يصطاده أحد من الصيادين .
- منع شرب الخمر ، وصنع النبيذ ، وامر بقطع الكروم وكسر جرار العسل [٢] .
- منع صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها .
- حاول وضع حد لسفور النساء ، فمنع مشيهن وراء الجنائز ، ثم منعهن من الخروج نهائي ، ولتنفيذ ذلك أمر الأساكفة بعدم عمل الأخفاف لهن ، واستمر ذلك من سنة ٤٠٤هـ / ١٠١٣م إلى سنة ٤١١هـ / ١٠٢١م أي لمدة سبع سنوات [٣] ، ولم يسمح خلالها إلا بالخروج لمن دعت الضرورة إليه من النساء ، مثل الغاسلة أو الراغبة في السفر [٤] .
- ومن الأشياء التي أخذت على الحاكم اضطهاده لأهل الذمة الذين كانوا قد اشتد بأسهم بين المسلمين منذ أن تمكنوا في عهد أبيه العزيز ، مما اضطره إلى الرجوع لتطبيق الشروط العمرية [٥] ، أو إلزامهم بالتميز عن المسلمين بعلامات خاصة عرفت بالغيار [٦] ، وغيرها من الأمور الأخرى ، وعلى الرغم من ذلك نجد أن الحاكم عدل عما زاده على الشروط العمرية واكتفى من أهل الذمة بلبس الغيار فقط ، وأمر بإعادة بناء الكنائس التي كان قد أمر بهدمها ورد أوقافها ، حيث كان قد هدم كنيسة القيامة .

١- عبد المنعم ماجد : الحاكم ص ٩١، حسن ابراهيم الفاطميون ، ص ٢٢١ ، الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، جـ١، ص١٥٣

٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٨٦ ، الشيال مصر الإسلامية ، ص ١٥٤.

٣- ابو المحاسن : النجوم ، جـ٤ ص ١٧٨

٤- عبد المنعم ماجد : الحاكم ، ص ٩٥

٥- انظر الماوردي . الأحكام السلطانية ص ١٣٨-١٣٩ ، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة ، ص ٢٦.

٦- المقريزي : الخطط ، جـ٣ ص ٢٨٧، الشيال : تاريخ مصر الإسلامية ، جـ١ ، ص ١٥٤.

- زاد في بناء الجامع الأزهر سورا وزاد على ما أوقفه عليه أبو العزيز من أوقاف وهبات [١] .
- أنشأ الحاكم سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م مدرسة لتعليم المذهب السني وأهدي هذه المدرسة دار كتب وعين أبا بكر الأنطاكي ناظرا لها [٢] .
- أمر بإتمام بناء جامع أبيه وعرف بجامع الحاكم ، وانتهى من بنائه سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م .
- وقد أنشأ في عهد الحاكم دار لا حكمة التي كان يشتغل بها كثير من القراءة والفقهاء والمنجمون والنجاة واللغويون ، وألحق بها مكتبة أطلق عليها دار العم حوت الكثير من أمهات الكنب في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية .

ومن أهم الأحداث السياسية في عهده هجوم الخلافة الأموية بالأندلس على الدولة الفاطمية من جهة الغرب وهي حركه أبي ركوة .

حركة أبي ركوة:

قاد أبو ركوة [٣] ، ثورة ضد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وذلك سنة ٣٦٧هـ/ ١٠٠٦م [٤] ، وهو أحد أبناء عمومة " المؤيد هشام بن الحكم " الذي حكم الأندلس خلال الفترة (٣٦٦-٣٩٩هـ / ٩٧٦ - ١٠٠٨م)، وكان هشام ملكا ضعيفا تحكم فيه وزيره المنصورة، وأخفاه عن الناس ، بل امتد به الأمر إلى تتبع أهله ، فقتل بعضهم وفر البعض الآ ـر [٥] .

١- حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ٦٢٨.
٢- ابو المحاسن : النجوم ، جـ٢ ص ١٠٥ .
٣- أبو ركوة . هو الوليد بن هشام العثماني الأموي الأندلسي ، ومن ولد هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الداخل ، عاش في القيروان وعمل بتعليم القرآن قبل أن يفر من الأندلس إلى مصر ، سمي أبو ركوة لأنه كان يحمل ركوة "قربة صغيرة من الجلد " على كتفيه شأن الصوفيين ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٩٧، ابن الكثير البداية والنهاية، جـ ١١ ص ٣٣٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ٤ ص ١٧٩، ٢١٥ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ، تحقيق حسين نصار ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠، ص ٥٧.
٤- الدوداري : كنز الدرر ، ص ٢٧٥ ، أتربي أبو العز : الدرر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب ، ص ٤٩.
٥- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٩ ص ١٩٧، ١٩٨، عطية القوصي : دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٧٩.

وكان أبو ركوة أحد هؤلاء الأمراء الفارين من الأندلس ، وكان عمره حينئذ إحدى وعشرين سنة ، وقصد مصر ، وكتب الحديث بها ثم سار نحو مدن الشام ، وعاد إلى مصر ثانية ودعي بها للقائم العباسي (١) ، واستمال عرب برقة والبحيرة ، حيث انضم إليه بنو قرة الجذاميون ، الذين كانوا يقيمون بالبحيرة قبل حلول بني سنبس محلهم (٢) .

وكان سبب استجابة بنو قرة لحركة أبي ركوة سوء العلاقة بينهم وبين الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، فعندما تخلوا عن الوالي الذي عينه الحاكم على طرابلس – يحي بن علي بن حمدون الأندلسي – رد على ذلك الحاكم بأن قتل عددا منهم بالإسكندرية ، كما أرسل جيوشا لتأديبهم (٣) ، هذا بجانب موقفه المتشدد مع أهل السنة واضطهاد لهم ، وإسرافه في قتل رؤساء القبائل وحبس بعضهم وأخذ أموالهم ، ولذا كانت القبائل العربية في مصر ومن بينها قبائل غرب الدلتا في ضنك،ولذلك كانوا يودون خروج الملك من يده (٤) ، فبايعوا أبا ركوة بعد أن ذكر لهم أن عنده في الكتب أنه سوف يملك مصر وغيرها .

ولقب أبو ركوة نفسه " الثائر بأمر الله ، والمنتصر من أعداء الله " (٥) ، بعد أن وجد مأمنه لدى بني قرة متخذا المنطقة الممتدة بين الإسكندرية وبرقة مركزا لدعوته (٦) ، حيث انضم إليه مع بني قرة الكثير من البربر – قبيلة زناته – حيث حاربها الأتراك (٧) ، وأخذ برجوان الصقلي يضيق الخناق على أبي محمد الحسن بن عمار – زعيم كتامة – حتى أخرجه والكتاميين من مصر لكي يستأثر هو بالخطوة والمكانة لدى الحاكم بأمر الله (٨) .

١- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٩ ص ١٩٨، عطية القوصي : دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٤٩، ٥٠.
٢- المقريزي : البيان والإعراب ، ص٣، ١١٦ ، محمد عزة دروزة: عروبة مصر ، ص ١٩، عطية القوصي : دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٤٩، ٥٠.
٣- المقريزي : اتعاظ احنفا ، جـ٢ ص ٥١، ٥٢، ٥٤، المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص ٢٨٦ .
٤- ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حليحضرةالقاهرة ، ص٧١، جمال الدين الشيال : مصر في العصر الفاطمي ، مقال بكتاب تاريخ الحضارة المصرية ، لأمين الخولي ، ص ٤٤٢ .
٥- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ١٩٨، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٤ ص ٢١٥، عطية القوصي : دولة الكنوز ، ص ٥٠.
٦- المقريزي : اتعاظ الحنفا، جـ٢ ص ٦٠.
٧- المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص ٢٨٦
٨- محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية ، ص ٥٩.

ولما علم والي برقة باستفحال أمر أبي ركوة ، أستأذن الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله وخرج لقتالهم ، فهزمه أبو ركوة ، وقى أمره بعد ذلك ، فملك برقة، وضرب السكة باسمه، ولعن الحاكم وآباءه فوق المنابر [١] .

وعندما وصل خبر هذه الهزيمة إلى الخليفة الحاكم عظم عليه الأمر ، فكف عن أذى الناس ، وعاود الإحسان إليهم ، وجهز جيشا لمحاربة أبي ركوة ، وكان معظم جيشه من قبيلة كتامة، إلا أنه هزم عند منطقة ذات الحمام [٢] ، واشتد الأمر على الخليفة الحاكم بهذه أيضا [٣] .

ومما أثر على الحاكم أنه علم بمكاتبة بعض الناس ركوة، وأن ممن كاتبه قائد قواته- الحسن بن جوهر [٤] ، ولذلك اشتد خوفه وجمع عسكره من الشام ، واستعمل عليهم الفضل بن عبد الله بن صالح [٥] ، وكان ذلك في ربيع الأول سنة ٣٩٦ هـ/ ١٠٠٥م ، واستمرت الحروب بين عساكر الحاكم وأبي ركوة وتمكن الفضل من إنزال الهزيمة بأبي ركوة [٦] .

وعند منطقة كوم شريك – إحدى قرى غرب الدلتا – نشب القتال بين الفريقين مرة ثانية ، وانتصر أبو ركوة على قوات الحاكم ، ثم دار قتال آخر عند مدينة الجيزة، وفي هذه المعركة حاول بنو قرة استمالة العرب الذين كانوا يقاتلون مع عسكر الحاكم فأجابوهم ، والتقى الجمعان ، ولكنه نتيجة لخيانة البعض لأبي ركوة ، واكتشاف خطته في المعركة لدى الفضل ، اقتفى أثر رجاله وقتل الكثير منهم [٧] .

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ١٩٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهر ، جـ٤ ص ٢١٥، ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ص ٥٧، عطية القوصي : دولة الكنوز ، ص ٥١.

٢- ذات الحمام : هي قرية قديمة تقع بالغرب من الإسكندرية في طريق برقة ، وتعرف الآن باسم" الحمام " ،، وتقع على السكة الحديد الموصلة بين الإسكندرية ومرسى مطروح على بعد ٧٤كم ، محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، القسم الثاني ص ٢٤٩ .

٣- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ٤ ص٢١٦ . Stanly: History of Egypt. P128 .

٤- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ٤ ص٢١٦ .

٥- الفضل بن عبد الله بن صالح : من الأمراء الذين كانوا يسيرون في ركاب العزيز بالله ، وقد أصبح من القواد الكبار في عهد الحكم بأمر الله ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ٢ ، حاشية ص ٦١.

٦- عطية القوصي : دولة الكنوز الإسلامية ، ص ٥٢ .

٧- ابن فلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، طبعة بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٦٦، ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ، ص ٢٠٠ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٤ ص ٢١٦ ، عطية القوصي : دولة الكنوز ، ص ٥٢، ٥٣.

ولما رأى بنو قرة الهزيمة تلحق بأبي ركوة تخلوا عن مواصلة القتال معه وطلبوا منه ينجوا بنفسه ويهرب على بلاد النوبة ، فوافق على ذلك ، وأما بنو قرة فقد عادوا إلى مساكنهم بالبحيرة ، واستمروا بها حتى طردوا منها في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م ، بعد أن هزمتهم جموع من طيئ وكلب وانسجوا منها إلى بلاد الصعيد (١) .

وإذا تساءلنا لماذا طلب بنو قرة من أبي ركوة الاتجاه نحو بلاد النوبة ، نجد أن ذلك لم يكن عشوائيا بل كان لذلك أسباب منها ، أنه كان اتفاق بين أبي ركوة وملك النوبة ، حيث يذكر الدكتور عطية القوصي أن هذا الاتفاق كان يتضمن أن يقوم ملك النوبة بمد أبي ركوة بقوات من عنده لمواصلة القتال (٢) .

ولما حلت الهزيمة بأبي ركوة وانفض عنه الكثير من رجاله قبض عليه في بلاد النوبة ، وذلك بعد أن تخلى ملك النوبة عن اتفاقه معه حتى لا ينكشف تواطؤه وأرسل ابو ركوة إلى القاهرة (٣) . وأنزل به ببركة الحبش (٤) ، فأمر الحاكم بأمر الله أن يشهر به على جمل ويطاف به (٥) . فأركبوه جملا بسنامين وألبسوا طرطورا طويلا ، وثوبا مشهرا وعه رجل مسكه من الخلف يطلق عليه الإبزازى (٦) ، ومعه قرد بيده العصا وهو يضربه والعساكر

١- المقريزي : البيان والإعراب ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

٢- عطية القوصي : دولة الكنوز ، ص ٥٣ .

٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ١٩٩ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهر ، جـ٤ ص ٢١٦، ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص ٥٧، المقريزي: البيان والإعراب، ص ٤٦، المقريزي:اتعاظ الحنفا، جـ٢ ص٦٥،٦٤.

٤- بركة الحبش : هي بركة المعافر ، وبركة حمير ، وبركة الأشراف ، اشتهرت ببركة الحبش ، وهي بركة لم تكن عميقة المياه ، وإنما كانت حوضا زراعيا يغمره النيل وقت الفيضان عبر خليج بني وائل ، وكانت تقع جنوب الفسطاط وعرفت بهذا الاسم نسبة إلى الرهبان الأحباش لأنها كانت ضمن ممتلكتهم ، وأول من زراعها قرة بن شريك، وكانت من أكبر متنزهات مصر ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٦ ص٣٨ ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ١٠٢، أحمد عبد الرازق أحمد : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ١١٨.

٥- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٩ ص ٢٠٢ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٥ ص ٢٩٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزهراء ، جـ٤ ص ٢١٦.

Stanly: History of Egypt. P128.

٦- الإبزازي : هو رجل اختص بالتشهير بالخوارج على الخلفاء حيث كان يصنع للخارجينالطرطور الملون ، وكان عنده قرد يعلمه ضر بالخارجي بالعصاه ، وكان يتقاضى أجرا مقابل ذلك ، يقدر بحوالي مائة دينار ، وعشرة قطع قماش ، وكان مقيما بالقاهرة ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ص ٢١٦.

حوله ، وبين يده خمسة عشر فيلا مزينة ، ودخل القاهرة ورءوس أصحابه بين يديه على الخشب . وجلس الحاكم يشاهد هذا الموكب ، وأمر أن يخرج بظاهر القاهرة ويضرب عنقه على تل بالقرب من مسجد ريدان ، فلما حمل على هناك أنزله فإذا بهميت ، ولعل ذلك من كثرة ما لاقاه من التعذيب ، وكذلك الرهبة والخوف من القتل ، فقطع رأسه وحمل إلى الحاكم فأمر بصلب جسده ، وارتفعت بذلك منزلة الفضل عند الخليفة الحاكم ، إلا أن الخليفة كان يضمر له الكراهية مما دفعه في النهاية للتخلص منه بقتله (1) .

وفاة الحاكم بأمر الله :

كان الحاكم قد اعتاد في أواخر حياته التجول وحده على حمار في جبل المقطم ربما مغالاة منه في حب العزلة والانفراد ، وفي ليلة من ليالي شهر شوال سنة ٤١١هـ/ ١٠٢٠م خرج الحاكم ولم يعد مرة أخرى ، وقيل أن أخته ست الملك دبرت أمر الخلاص منه بعد أن ساءت سيرته واشتدت وطأته على الناس (2) .

الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ - ٤٢٧هـ / ١٠٢٠ - ١٠٣٦م) .

بعد اختفاء الحاكم أجلست ست الملك أخته على ابن الحاكم ولقب بالظاهر على عرش الخلافة (3) ، وهو لا يزال في السادسة عشرة من عمره ، وتحت وصاية عمته ست الملك، وكان مبالغا في حياته اللهو ، وترك أمور الحكم في يد عمته ومعها رجال الدولة من الوزراء والقادة والقضاة حتى توفيت عمته سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م .

وفي عهده حدثت الكثير من المجاعات والأوبئة بسبب اضطراب النيل ، وكثرة الفوضى ، وثورات الجند والفتن بين المغاربة والسودانيين والأتراك ، وتوفي الظاهر وهو في ريعان شبابه سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م .

١- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ٤ ص ٢١٧، الذهبي : تاريخ دول الإسلام ، جـ١ ص ٢٣٨، أتربي أبو العز الدار المنتخب في التاريخ المصريين والعرب ، جـ١ ص١٦٦ .
٢- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٥٩
٣- جمال الشيال : مصر في العصر الفاطمي ، ص٤٤٢ .

المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م) .

حكم المستنصر ستين عاما وبضعة أشهر ، وكان عمره حين ولي الخلافة سبع سنين وهو بذلك أطول عهد قضاه خليفة فاطمي بل خليفة مسلم [١] ، ونظرا لصغر سنه حكمت أمه باسمه ، واستوزرت أبا سعد التتري اليهودي لأبنها ، وعملت على الاستكثار من العبيد ثم زالت أمه وحكم وزراؤه ، وظهر الاضطراب بعد ذلك بين المغاربة والأتراك لهذه المشكلة التي لم يكن وزراؤه قادرين على حلها حيث حدثت مجاعة شديدة ألمت بمصر ، وقد بدأت سنة ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م واستمرت سبع سنوات حتى سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م[٢]،وعرفت بالشدة المستنصرية وعانى منها الأهالي الكثير، فعدمت الأقوات ، وارتفعت الأسعار ، وارتفع سعر القمح ، واضطر الخليفة المستنصر أن يبيع كل ما في قصره من ذخائر وغيرها [٣] .

وفي سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م تفاقمت الأحوال سوءا ، وكثرت الفتن ولم يتمكن الخليفة من إخضاعها ، ولم يجد لهذه المشكلة حلا ، ولم يكن وزراؤه قادرين على حلها فاستدعي المستنصر – بدر الجمالي والي عكا – الذي سارع بدوره إلى تلبية نداء الخليفة ودخل مصر ومعه جنده من الأرمن ، وكان ذا قوة وشكيمة ومعرفة ، فسلمه المستنصر قيادة الجيش والوزارة ، وبعد مجهودات كبيرة تمكن أن يعيد الأمن والنظام ويضرب على أيدي المفسدين[٤] .

عالج بدر الجمالي الحالة الداخلية في مصر وأصلح شأن الأمور المالية ، ويعد هذا الحدث بداية اضمحلال سلطة الخلفاء وظهور سلطة الوزراء ، وهو عصر وزارة التفويض[٥]، وهو العصر الفاطمي الثاني .

١- أبو المحاسن : لنجوم ، جـ٥ ص١ .
٢- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٢٤ .
٣- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٢٠٠ .
٤- عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ٣٩٤ .
٥- محمد حمدي المناوي: الوزارة والوزراء ، ص٢٧١ .

يتميز العصر الفاطمي الثاني بأن عوامل الضعف أخذت تنخر في عظام الدولة الفاطمية منذ الجزء الأخير من عهد الخليفة المستنصر بالله، حيث توفي سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م. وكان قد ترك الوصية لابنه الأكبر نزار بأن يلي الخلافة من بعده، إلا أن الأفضل بن بدر لجمالي الذي ولي الوزارة بعد وفاة أبيه عمل على تعيين أخيه الأصغر وهو المستعلي، مما سبب في أن كافة الفاطميين انقسموا إلى نزارية ومستعلية، وهذا سوف يتضح في الآتي:

النزاع بين نزار وأخيه المستعلي:

كانت منطقة غرب الدلتا وخاصة مدينة الإسكندرية بحكم تطرفها وبعدها عن مركز السلطة في مصر والعالم الإسلامي مركزا للمعارضة، وكان أكثر أهلها من غلاة السنيين، الذين كانوا ينتهزون الفرص المواتية للانقضاض على السلطة المركزية. فكانوا كثيرا ما يرفعون علم الاستقلال ويساندون الخارجين على السلطان [١].

وظهر ذلك واضحا أثناء الفتنة التي حدثت بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ حيث اعتصم أنصار عثمان ﷺ بقرية خربتا - إحدى قرى الدلتا [٢]، كما ثارت القبائل العربية في غرب الدلتا على والي مصر محمد بن أبي حذيفة من قبل الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، واقتتل الطرفان بالإسكندرية وخربتا سنة ٣٦ /٦٥٦م [٣].

ونشبت ثورة أخرى بغرب الدلتا، حيث قامت القبائل العربية المقيمة بالإسكندرية بالثورة على قرة بن شريك والي مصر سنة ٩١هـ/ ٧٠٩م [٤]، وساندت القبائل العربية في غرب الدلتا العباسي بن أحمد بن طولون الذي خرج إلى الإسكندرية في عهد أبيه، وأقام

١- السيد عبد العزيز سالم : الإسكندرية وحضارتها، مقال بكتاب محافظة الإسكندرية، ص ٢٩٠، سعد زغلول عبد الحميد : الإسكندرية من الفتح العربي، مقال بكتاب محافظة الإسكندرية، ص ٢٦١.
٢- الكندي:الولاة،ص ١٩،السيوطي حسن المحاضرة، جـ١ ص ٨٢، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ١، ص٩٤.
٣- الكندي : ولاة مصر،ص٤٢،أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ١، ص ٩٤- ٩٨، حسين نصار : الثورات الشعبية مصر الإسلامية،ص١٤، فهوزن : تاريخ الدولة العربية، ص ٤٨، سيدة كاشف : مصرفي عصر الولاة، ص ٨٠.
٤- الكندي : ولاة مصر ص ٨٤، إبراهيم أحمد العدوي : المختار من الولاة والقضاة، ص ١٦، ١٧، سعد زغلول عبد الحميد : الإسكندرية من الفتح العربي " مقال "، ص ٢٦١.

بها محاولا الاستقلال عن والده ، والسيطرة عليها مع برقة ، ولكن حركته هذه باءت بالفشل [١] .

كما تجلى دور قبائل غرب الدلتا في النزاع بين الأمين والمأمون ، وأصبحت المنطقة شبه مستقلة ، حيث ملكت قبيلتي لخم وجذام ، الإسكندرية ومريوط والبحيرة مستغلة هذا الصراع لصالحها للوصل إلى السلطة ، وظهر دور " بنو قرة " الجذاميون في حركة أبي ركوة التي قام بها ضد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م [٢] . وفي ظل حماية قبائل غرب الدلتا ثار الأوحد بن بدر الدين الجمالي على أبيه سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م بعد أن ساندته بعض القبائل [٣] .

وهكذا كانت منطقة غرب الدلتا وما فيها من قبائل عربية ، وخاصة مدينة الإسكندرية بمثابة محطة الأمان بالنسبة للخوارج الفارين أمام السلطات الحكومات ، وكانت أيضا مركزا للمعارضة عبر العصور الإسلامية المختلفة .

كما كان لقبائل غرب الدلتا دور في النزاع الذي نشب بين الأمير نزار بن الخليفة المستنصر بالله الأكبر وأخيه المستعلي ، وكان قد عهد بولاية الأمر من بعده لابنه نزار ، إلا أن الأفضل بن بدر الجمالي وزير المستنصر خلعه من ولاية العهد بعد وفاة أبيه ، ولم يوله الخلافة التي عهد بها له أبوه المستنصر أثناء حياته [٤] ، واجتمع الأفضل بالأمراء والخواص من رجال الدولة وخوفهم من نزار ، وأشار عليهم بولاية أخيه الأصغر أبي القاسم أحمد ، وبايعه بالخلافة ، ولقبه بالمستعلي بالله ، وكان ذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ، وأجلسه على كرسي الخلافة [٥] ، وكان ذلك بسبب عداوة شخصية قديمة بين الأفضل والأمير نزار في حياة أبيه المستنصر ، حيث كان الأفضل يعتقد

١- سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ، ص ٩٩ ، بدر عبد الرحمن محمد : الدولة العباسية ، ص ٨٨ .
٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ٩ ص ٨٣، ٨٤ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص ٥٨، ٥٩ .
٣- سعد زغلول عبد الحميد : الإسكندرية من الفتح العربي .... ، ص ٢٨٧ .
٤- ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٢ ص ١٤٨ ، أبو المحاسن : النجوم الواهرة ، جـ٥ ص١٤٢ .
٥- الفاربي : تاريخ الفارابي ، تحقيق بدوي عبد اللطيف ، دار الكتاب اللبناني ، ص ٢٦٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص١٩١، كار بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ط٨ ، ص ٢٥٦ .

أن نزار إذا ولي الخلافة حال بينه وبين مناصب الدولة ، على حين كان أبو القاسم المستعلي بالله صغير السن ، ففي استطاعته إذا ما ولاه الخلافة أن يصبح له مطلق التصرف في شئون الدولة (١) .

ومن الأسباب التي حدت بالأفضل إلى تعيين المستعلي وليا للعهد دون نزار الآتي :

١. تعالى نزار على الأفضل ومعايرته بأنه أرمني ، ففي ذات يوم خرج من بعض أماكن القصر، فوجد الفضل قد دخل من أحد الأبواب وهو راكب ، فصاح به : " انزل يا ارمني يا نجس "، فحقد الأفضل عليه وظهرت كراهية أحدهما للآخر (٢) .

٢. أن الأفضل كان يغار من نزار في أمور كثيرة ، ويرد شفاعته ، ويحط من قدره ولا يرفع رأسا لأحد من غلمانه وحاشيته ، بل ويحتقرهم ويقصدهم بالأذى والضرر (٣).

٣. تخويف الأفضل للأمراء وقواد الجيش من نزار ، وتحذيره لهم من مبابعته ، معللا ذلك بقوته وسطوته ، مشيرا عليهم بمبايعته أخيه أحمد ، فهو صغير لا يخاف منه ويؤمن جانبه (٤).

٤. مماطلة الأفضل للمستنصر حين أراد أن يأخذ البيعة لنزار على كبار رجال دولته حتى مات المستنصر دون أن يتم شيئا ، رغم أنه كان قد جعل ولاية العهد لنزار من بعده (٥).

٥. خوف نزار من ازدياد نفوذ الأفضل الذي كان قد بدأ فعلا في أواخر عهد أبيه وخشيته من تأثير هذا النفوذ عليه في حالة توليه الإمامة ، وبالتالي تصبح مصر جمالية كما كانت بغداد برمكية (٦).

١- جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١١٣ .
Devonshire: L, Egypt Musulmans,P.P.42-43.
٢- ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٣٥ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٥ ص ٤٢ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص ٤١٢ .
٤- أبو المحاسن ، النجوم ، جـ٥ ، ص ١٤٢ .
٥- ابن الأثير : الكامل ، جـ٢ ، ص ٨٢ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ١١ .
٦- سهام أبو زيد : الأرمن ، ص ٦٣ .

وقد صدقت نبوءة نزار، فقد تحكم الأفضل في أمور الدولة ، ويدل بعض الأوضاع على النحو الذي رآه ، حيث عين الابن الأصغر للمستنصر " أحمد " ، ولقب بالمستعلي .وكان المستعلي زوجا لست الملك ابنة بدر الجمالي ، وأخت الأفضل [١].

ولهذه الأسباب بادر الأفضل بإخراج أبي القاسم أحمد وبايعه بالخلافة ، وأحضر قاضي القضاة – المؤيد بن نصر الأنام على بن نافع بن الكحال – ومعه الشهود ، وأخذوا البيعة على مقدمي الدولة وأعيانها [٢].

ثم مضى الأفضل إلى الأمير نزار، والأمير عبد الله ، والأمير إسماعيل أبناء الخليفة المستنصر بالله ، فجاءوا إليه ، واستاءوا من جلوس أخيهم الأصغر على كرسي الخلافة وأمرهم الأفضل بتقبيل الأرض بين يديه ، فبايعوه مرغمين [٣]. ثم امتنعوا فيما بينهم ، وتظاهر الأمير نزار بأنه يحتفظ بخط أبيه بولاية العهد له ، وقال : " عندي الخط من المستنصر بولاية العهد لي ، وأنا آتيكم به " [٤] ، ثم توجه من فوره إلى الإسكندرية وفي صحبته أخوه عبد الله ، وابن مصال اللكي – أحد قواد الدولة – الذين أقنعهم نزار بالانضمام إليه مقابل مكافأته بالوزارة [٥]. واتصل نزار بوالي الإسكندرية – الأفتكين – الذي سانده في حركته وبايعه أهل الإسكندرية بما فيهم أبناء القبائل العربية بالخلافة ، وتلقب نزار بالمصطفة لدين الله [٦].

١- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٥ ، ص ٣١٨ .
٢- ابن الميسر : أخبار مصر ، جـ٢ ص ٣٥ ، الدواداي : كنز الدرر ، ص ٤٤٣ ، أبو المحاسن النجوم الزاهرة ، جـ٥ ص١٤٣ .
٣- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٤٣ ، جمال الدين الشيال: الإسكندرية في العصر الإسلامي، ص ٥٤، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ١٩١- ١٩٢ .
٤- الدواداري : كنز الدرر ، ص ٤٤٣ ، عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية . ص١٩٢ .
٥- الدواداري : كنز الدرر ، ص ٤٤٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ، ص ١٤٣، عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية . ص١٩٢ ، جمال الشيال : الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ص ٥٤ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ١٧٢ .
٦- ابن المسير : أخبار مصر ، ص ٣٥، ٣٦ ، الواداري : كنز الدرر ، ص ٤٤٤ ، ابن سعيد النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، ص ٨١ ، عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ١٩٢ ، حسنى الخربوطلي : غروب الخلافة الإسلامية ، ص ١١٢.

ولا مراء أن سير نزار إلى الإسكندرية دون غيرها من مدن مصر دليل واضح على أنها كانت مأوى للخارجين على الحكومة المركزية ، ويدل هذا أيضا دلالة واضحة على أن نزار كان على أن نزار كان على علم ودراية بشعور أهلها نحوه ، وكان ذلك من خلال إقامته بها فترات طويلة في حياة أبيه ، واكتسابه ولاءهم ، ويؤكد ذلك أنه عندما نزل بها سارع أهلها إلى مبايعته وشقوا عصا الطاعة على الخليفة الجديد ، والتف حوله العرب المقيمون حول مدينة الإسكندرية .

ومنذ هذه اللحظة انقسم أهل مصر فريقين ، فريق مع المستعلي يؤيده في الخلافة وفريق مع نزار يسانده للوصول إليها (١) ، وقد أتضح أن القبائل العربية في غرب الدلتا كانت ضمن الفريق المساند لنزار (٢).

وما أن وصل إلى الأفضل نبأ هذه الفتنة التي أثارها نزار في الإسكندرية وما حولها من مدن الوجه البحري ، حتى سارع على رأس جيشه لمحاربة نزار وأعوانه ، إلا أن نزارا تمكن من هزيمته واستفحل أمره بعد استيلائه على العديد من مدن الوجه البحري وانضام أبناء القبائل العربية في هذه المنطقة لجانبه (٣) ، ولذا جهز الأفضل جيشا جديدا لمنازلة نزار ، وتقدم به وحاصر الإسكندرية وضيق الخناق على نزار وأصحابه ، ففر ابن مصال اللكي إلى بلاد المغرب ، وكان لتخليه أثر كبير كما استمال الأفضل جماعة مما كانوا بجانبه مما كانوا بجانبه مما أضعف شوكة نزار (٤) ، وهكذا تمكن الأفضل من دخول الإسكندرية (٥) ، وهزيمة الأمير نزار والقضاء على حركته بعد أن قبض عليه ومعه والي الإسكندرية – الأفتكين – الذي سانده في حركته وبعث بهم إلى مصر بعد أن أعطاهم عهد الأمان (٦) .

١- الفارابي : تاريخ الفارابي ، ص ٢٦٧ .
٢- جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١١٣ .
٣- ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ٢ ص ٣٦ ، جمال الدين الشيال : الإسكندرية في العصر الإسلامي / ص ٥٤ ، جمال الدين سرور : الفاطمية ، ص ١١٤ .
٤- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ص ١٤٤ .
٥-أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ص ١٤٤ حسني الخربوطلي : غروب الخلافة الإسلامية ، ص ١١٢.
٦- ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ٢ ص ٣٦ ، اليافعي المكي : مرآة الجنان وعبر اليقظان ، جـ٣ ص ١٥٣ .

ولكنه لم يف بعهد الأمان الذي أعطاه لهم ، وبنى لنزار حائطين وجعله بينهما حتى مات ، وأما الأفتكين فقد قتله بالقاهرة .

وهكذا انتهى الصراع بين نزار والمستعلي بعد أن ترك أثرا واضحا على منطقة غرب الدلتا ،أبناء القبائل العربية بها ، حيث شهدت هذه المنطقة معارك ذلك الصراع ، وقد انعكس ذلك على الإسكندرية التي عانت من ويلات الحصار الذي فرضه الأفضل ، وتشتت أعيانها وقتل العديد من علمائها ، وفر الكثير من رجالها من جزاء هذا النزاع .

العصر الفاطمي الثاني :

ومن مميزات العصر الفاطمي الثاني أن تعاقب على الحكم خلاله عدد من الخلفاء الضعفاء بعد المستنصر وهم :

المستعلي بالله بن الخليفة المستنصر (٤٨٧ – ٤٩٥هـ) :

وهو الذي عينه على الخلافة الأفضل بن بدر الجمالي ، حيث أخفى وصية المستنصر بالله لنزار ابنه الأكبر ، والتي قد كان أوصى فيها أن يلي نزار الخلافة من بعده ، ونظرا لصغر سن المستعلي حيث كان يبلغ من العمر عشرين سنة أراد الأفضل بن بدر الجمالي أن يعينه حتى يتسنى له التحكم في أمور الخلافة ، وبالفعل لم يكن للمستعلي مع الأفضل بن أمير الجيوش حكم ، إذا كان معه كما كان والده مع بدر الجمالي ، وضعفت الدولة الفاطمية في أيامه ، وانقطعت الخطبة لهم من أكثر مدن الشام واستولى الإفرنج على إنطاكية وبين المقدس والرملة [1] ، وظل الأمر على ذلك حيث نشب الصراع بين نزار والمستعلي كما أتضح ذلك إلى أن توفي المستعلي في صفر سنة٤٩٥هـ / ١١٠١م .

١- إبراهيم أيوب : التاريخ الفاطمي السياسي ، ص٥٣ .

الآمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤هـ) :

بعد وفاة المستعلي سنة٤٩٥هـ / ١١٠١م أحضر الأفضل ابنه أبا علي وبايعه بالخلافة، وأقامه مقام أبيه ولقب بالآمر بأحكام الله ، وكان عمره في ذلك الوقت خمس سنين [١] .

ولما بلغ الخليفة الآمر سن الرشد شعر بالحاجة إلى التخلص من وزيره الأفضل المستبد ، فأوعز إلى أبي عبد الله محمد بن البطائحي – أحد خواص الوزير – بتدبير مؤامرة لاغتياله ، ونجح في تحقيق ذلك وخلفه ابن البطائحي في الوزارة سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م . ومن أهم أعماله أنه أعاد دار العلم بعد أن كان الأفضل قد أغلقها لأمور مذهبية ، واغتيل الآمر في ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م على يد النزارية [٢] .

الحافظ (٥٢٤ - ٥٤٤هـ) :

تولي الخلافة بعد الآمر بن عمه الأمير أبي الميمون عبد الحميد ولقب بالحافظ لدين الله ، وكان ذلك سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م [٣] ، وذلك بعد أن تخلص من الطفل الذي أنجبه ابن عمه الخليفة الآمر ، ولم يتمكن الحافظ من أن تخلص على سلطانة بسبب ثورة الجند عليه وتوليتهم أبا علي أحمد بن الأفضل منصب الوزارة فسيطر هذا الوزير على شئون الدولة ، وسجن الظاهر ومنع عنه الزيارة وحذف اسمه من الخطبة ثم استولى هذا الوزير على ذخائر قصر الحافظ قالا : " هذا مال أبي وجدي " [٤] .

ناهض الوزير أبو على المذهب الإسماعيلي في الكثير من الأفعال مما جعل بعض الإسماعيلية يدبروا اغتياله ، وتحقق لهم ذلك سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م بعد أن ظل الوزير مستأثر بالسلطة لمدة سنة وشهر [٥] . واخرجوا الحافظ من السجن ونظروا لنه ليس له الحق في الخلافة لنه ابن عم الآمر وليس ابنه . فحاولوا إعادته إلى ولاية العهد وأن يكون

١- المقريزي :اعاظ الحنفا ، جـ٢ ص ١٨٤، ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٤٠، ابن خلطان : وفيات ، جـ٥ ص ٢٢٩
٢- ابن خلكان : وفيات ، جـ٥ ص ٢٢٩، جمال سرور / الدولة الفاطمية ، ص ١٢١ .
٣- ابن خلكان : وفيات ، جـ٥ ص ٣٣٢ .
٤- ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٣٣٢، جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١١٩ .
٥- المقريزي : اتعظ ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ ، جمال سرور / الدولة الفاطمية ، ص ١٢١ .

كفيلا لولد الآمر وليس أبنه ، فحاولوا إعاجته إلى ولاية العهد وأن يكون كفيلا لولد الآمر الذي لم يعرف مقره ، ولما استقر الأمر له في هذا المنصب تخلص من ابن الآمر بعد أن بحث عنه وعرف محل إقامته بعد شهرين ، وأعلن نفسه خليفة سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م ، واتخذ يانس الأرمني وزيرا له ، توفي هذا الوزير وظل الأمر على ذلك حيث تولى الحافظ أمور الدولة بنفسه ، فلم يستوزر أحد ، وظل منصب الوزارة شاغر حتى تولي الوزارة بهرام الأرمني والي الغربية ، الذي أكثر من بني جنسه الأرمن وزارد ظلمه واستولى على الكثير من الأموال مما جعل أمراء الجيش يرسلون إلى رضوان بن ولخشى والي الغربية يطلبون منه النجدة من سطوة الأرمن ، فأجابهم وانضموا إليه وزادت قوته ، فاضطر بهرام إلى الرحيل عن القاهرة إلى أخيه الباساك وإلى قوص ، فخلفه رضوان في الوزراء [1] .

ونتيجة لزيادة قوة ونفوذ رضوان ومحاولته تقوية الثغور ، واستعد لتعمير الحافظ عسقلان بالعدد والآلات ، وهيئ الناس للخروج وغزو الفرنج [2] . ولكن الخليفة الحافظ منعه من ذلك وحدث صدام بينه وبين الخليفة ، الذي أرسل إلى بهرام الأرمني الذي كان قد فر أمام رضوان نحو الجنوب ، وأسكنه معه القصر يستشيره في أموره ، كما حث الجند على التحرش برضوان ، حتى ثاروا عليه وضعفت شوكته ، فاضطر إلى الفرار من مصر سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م ، وذهب إلى الشام ، ثم عاد وطلب الآمان من الحافظ إلي اعتقله لمدة ٨ سنوات ، حتى نجح في الفرار سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م[3] .

بعد أن فر رضوان من معتقله اجتمع إليه جماعة ممن كان يكاتبهم ، وخرج معهم إلى الجيزة ، حيث استنجد بجامعة من العربان ، وتمكن من هزيمة العسكر الذي سيره إليه الحافظ عند جامع الدواوين لاستعادة مكانته ، غير أن الخليفة الحافظ أمر مقدمي السودان بالهجوم عليه ، فقتلوه غدرا ، وحملوا رأسه إلى الحافظ الذي أرسلها بدوره إلى

١- القلقشندي : صبح ، جـ ٦ ص ٤٥٨ . جمال سرور / الدولة الفاطمية ، ص ١٢١ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ص ٢١٤.
٢- ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ١٢٩ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ١٦٣.
٣- حسن ابراهيم حسن : الفاطميونفي مصر ، ص ٢١٦ .

زوجة رضوان ، وكان ذلك سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م [١] ، وبذلك قضى الحافظ على واحد من الذين حاولوا التصدي لأخطار الحقيقية التي كانت تهدد العالم الإسلامي في تلك الوقت .

وفي العام التالي قتل الخليفة الحافظ بتدبير من الوزير أبي الفضل عباس ، الذي خلف ابن سلار في الوزارة ، وذلك سنة ٥٤٩هـ / ١١٥٤م [٢] .

الظافر إسماعيل أبو المنصور (٥٤٤ - ٥٤٩هـ/١١٤٩ - ١١٥٤م) :

هو الابن الأصغر للخليفة الحافظ ، وهو أبو المنصور إسماعيل ، كان عمره سبع عشرة سنة وأشهر ، ولقب بالظافر بأعداء الله ، أتخذ الظافر الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال اللكي وزير ، وخلع عليه خلع الوزارة ، ولقبه بـ " الأفضل أمير الجيوش سعد الملك ليث الدولة " [٣]

لم يرض ابن السلار والي الإسكندرية والبحيرة أن يلي الوزارة شيخا مثل ابن مصال، فتمكن ابن سلار من دخول القاهرة بقواته ، وإجبار الخليفة أن يخلع عليه الوزارة ويلقبه بـ " العادل سيف الدين ناصر الحق " [٤] .

وقتل ابن سلار سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م[٥] ، وبعد مقتله تولى الوزارة عباس الصهاجي ولقب بـ " السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش أبو الفضل العباسي الظافر " [٦] . وقتل الخليفة سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م [٧] .

الفائز (٥٤٩ - ٥٥٥هـ) :

بعد مقتل الخليفة الظافر بويع بالخلافة ابنه عيسى ، وكان في الخامس من عمره ولقب بالفائز بنصر الله ، وتقلد وزارته طلائع بن رزيك ، وتلقب بالمالك الصالح واستبد

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٤٩، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ، ص ٢٨١ .
٢- ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ص ٧١ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٦٠٨.
٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ١١ ص ٢٠٤ ، السناوي : الوزارة ، ص ٢٨٢ .
٤- ابن خكان: وفيات الأعيان،جـ٣ ص ٤١٦ ،المقريزي اتعاظ الحنفا، جـ٣ ص ١٩٦ ، المناوي : الوزارة ، ص ٢٨٣
٥- ابن الميسر: أخبار مصر، ص ١٤٦ الدواداري: كنز الدرر، جـ٦، ص٥٥٣، المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص ٥٥.
٦- ابن الأثير : الكامل ، جـ١١ ، ص١٨٨، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ٣ ، ص ٢٠٢، المناوي : الوزارة،ص ٢٨٥.
٧- الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٩،ص١٥١ ،المقريزي: اتعاظ الحنفا،جـ٣،ص٢٠٢،أبو المحاسن:النجوم، جـ٥،ص٢٨٥

بالسلطة . وذلك بعد أن هرب الوزير عباس الصناهجي إلى الشام [١]وظل قابضا عليها حتى توفي الفائز سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م دون أو يوصى بالخلافة لأحدد [٢]

العاضد (٥٥٥ – ٥٦٧هـ) :

لما توفي الفائز ولم يوصي بالخلافة لأحد من بعده أقام الوزير طلائع بن رزيك – عبد الله بن محمد ولقبه بالعاضد خليفة ، حيث ظل في خلافته لمدة إحدى عشرة سنة وستة أشهر ، وتولي وزارته بعد طلائع شاور وإلى إقليم قوص ، ثم ضرغام أمير الباب ، ثم شاور مرة أخرى ، ثم أسد الدين شيركوه قائد جيشنور الدين محمود ، ثم ولي الوزارة صلاح الدين الأيوبي الذي استبد بالأمر وخلع الخليفة العاضد لدين الله من منصب الخلافة ، وكان ذلك سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ، وتوفي الخليفة مباشرة ، وقد شهد عصر الخليفة العاضد منافسات دامية بين ولاة الأقاليم في سبيل الوصول إلى منصب الوزارة ، ومثال لذلك الصراع الذي نشب بين الوزيرين شاور وضرغام ، وهو آخر حلقة من حلقات المنافسة التي انتهت بنهاية الدولة الفاطمية كما سيتضح بعد لك .

الصراع بين شاور وضرغام وسقوط الخلافة الفاطمية :

شهدت مصر الصراع العنيف الذي نشب بين شاور وضرغام حول منصب الوزارة ، وكان يومئذ أخطر منصب في الحكومة .

ثارت غرب الدلتا بما فيها من قبائل عربية سنة ٥٤٤ / ١١٤٩م ، وذلك في شخص وإليها الأمير على بن السلار ، عندما استوزر الخليفة الفاطمي الظافر بالله ابن مصال اللكي حتى آلت الوزارة إلى ابن السلار ، الذي استأثر بالنفوذ في الحكومة الفاطمية [٣] .

١- ابن خلكان:وفيات الأعيان، جـ ٣ ص٢٣٧، المقريزي: اتعاظ جـ ٣ص ٢٣٩، ابن ميسر: أخبار مصر ، ص ١٤٨.
٢- ابن الأثير : الكامل ، جـ ١١ ص ١٩٣ .
٣- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ص ٣٧ ،٤٦، ٤٦٨، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ١٩٥ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطمون في مصر ، ص ٩٩ ، محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٨٢، ٢٨٤.

وفي وزارة الصالح طلائع بن رزيك في التاسع عشر من ربيع الأول سنة ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م تولى شاور [١] ولاية الصعيد ، وازدادت مكانته ، مما دفع ابن رزيك بأن يوصى ابنه العادل بعدم عزله عن ولاية الصعيد ليتجنب الدخول معه في صراع ، غير أن العادل بن رزيك قام بعزله عن الولاية عندما آلت إليه الوزارة بعد وفاة أبيه الصالح [٢] .

ولما علم شاور بعزله ثار عليه ، وكثيرا ما كان يتخذ شاور من أبناء القبائل العربية في غرب الدلتا سندا له في صراعه مع خصومه ، ولا مراء أن أبناء قبيلة جذام كانوا أغلب المساندين له ، حيث أنه ينسب إليها ، كما أنه تقدم من الصعيد نحو القاهرة ودخلها سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٢م [٣] ، وتمكن من القبض على العادل ، الصالح بن رزيك وزير الخليفة العاضد في مدينة إطفيح - إحدى مدن محافظة الجيزة الحالية ، وتمكن طيء أحد أبناء شاورز من قتل العادل بن رزيك في المحرم سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م [٤] ، وهرب بعد ذلك سائر أفراد ابن رزيك خارج مصر ، وبذلك انفرد شاور بالسلطة المطلقة في الوزارة [٥] .

ولكن أفعال أولاد شاور مع الأهالى جعلته مكروها عندهم ، وكان ذلك سببا في إشعال ضرغام [٦] - أمير البرقية - الثورة على شاور ، وتمكن من هزيمة ، ولا مراء أن العديد من الجماعات العربية وقفت بجانبه أيضا ، وخاصة أبناء قبيلة لخم التى ينسب إليها ضرغام[٧] .

١- شاور : هو أبو شجاع شاور بن بجير بن نوار بن عشائر بن شاش بن مغيث بن حبيب بن الحارس بن ربيعة بن مغيث ذويب عبد الله ، والد حليمة السعدية مرضعة الرسول (ﷺ) ، وينسب إلى قبيلة جذام - فبني سعد فذ بن خذام ، محمد المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٨٨ .

٢- حسن إبراهيم حسن :ط الدولة الفاطمية ، ص ١٨٧، ١٨٨، محمد المناوي : الوزارة والوزراء ، ٢٨٧ .

٣- محمد المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٨٧، محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص ٣٥٢ .

٤- حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ١٨٨، حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٣٠٠.

٥- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، تحقيق محمد حلمي أحمد ، جـ٣ ص ٢٥٤، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٣٠٠.

٦- ضرغام : هو ضرغام بن عامر بن سور اللخمي ، نسبة إلى قبيلة لخم العربية .

٧- البرقية : هى فرقة أنشأها الصالح طلائع بن رزيك - من الجند من برقة - كانت من خواصه جعل عليها ضرغام ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٣٠٠ ، حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٨٩ .

وبوصول ضرغام إلي منصب الوزارة في رمضان سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م[١] فر شاور إل دمشق لاجئا إلى نور الدين محمود ، وطلب من نور الدين أن يمده بقوة عسكرية تعينه على العودة إلى منصب الوزارة المصرية متعهدا بأن يدفع هو تكاليف الحملة كاملة ، وأن يؤدي إلى نور الدين ثلث خراج مصر في كل عام ليستعين به على مواجهة الفرنجة في الشام ، وأن يمنح جنده الإقطاعات ، وذلك مقابل عودته إلى منصب الوزارة[٢] .

رحب نور الدين محمود بضيفه شاور وأكرم ضيافته ، ولكنه لم يستجب لطلبه ، حيث كان مترددا في قبوله ، وذلك لمخاوفه أن يصبح طرفا من أطراف النزاع الداخلي في مصر ، هذا بجانب أمور الشام التي كانت تحتاج منه إلى اليقظة والتفرغ التام[٣] .

ظل شاور في دمشق نحو سنة حتى فرضت الظروف نفسها على نور الدين محمود ليغير وجهة نظره ويلبي رغبة شاور ، ولعل أهم هذه الظروف هو تحرك حملة إفرنجية إلى مصر بقيادة عموري ملك بيت المقدس[٤] ، هذا بجانب إلحاح قائده الأول أسد الدين شيركوه الذي كان يرغب في الذهاب إلى مصر ويصبح نائبا عن نور الدين محمود بها[٥] ، وحسن له التدخل في شئونها بمعاونة شاور كي يعود إلي الوزارة فيصبح شاور من رجاله ، وتصبح أموال مصر عونا له في تصريف أمور الشام ، كما أن موافقة نور الدين هذه كان يهدف من وراءها إلى توحيد الجبهة الإسلامية استعدادا لمقاومة الخطر الصليبي ، وحماية مصر والشام من مطامعهم[٦] .

وكان مجيء الحملة التى أعدها نور الدين محمود سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م ، ونجح شيركوه مع شاور ومعه صلاح الدين الأيوبي في الاستيلاء على إقليم الشرقية ، فأصاب

١- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٣٥٨ ، جمال الدين الشيال : مصر في العصر الفاطمي ، ص ٤٥٤ ، محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء ، ص ٢٨٨ .
٢- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٥ ص ٣٤٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١١ ص ١٢١ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطمون في مصر ص ٣٠١ ، ٣٠٢ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية : ص ١٢٧ .
٣- سوسن محمد نصر : دراسة في التاريخ الأيوبي والمملوكي ، ص ٣٢ .
٤- سوسن محمد نصر : دراسة في التاريخ الأيوبي والمملوكي ، ص ٣٢ ، ٣٣ .
٥- ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ٨٤ ، ٨٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ١ ص ١٣٧ .
٦- جمال الدين الشيال : مصر في العصر الفاطمي ، ص ٤٥٤ .

ضرغام الفزع إذ لم يكن الجيش الفاطمي في حالة تمكنه من المقاومة ، فأرسل ضرغام يستنجد بالقوة المناوئة للمسلمين – الفرنجة – وعلى رأسهم عموري في نجدته ، فتقدمت جيوش شيركوه ومعها شاور واستولت على مدينة الفسطاط وما حولها ، وتمكن من الانتصار على جيش ضرغام الذي تفرق عنه قواده وأعوانه ، ثم انتهي الأمر بقتله أواخر جمادي الآخرة سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م[١] بعد أن ظل في منصب الوزارة لمدة تسعة أشهر[٢] .

ونتيجة لهذا عاد شاور إلى منصب الوزارة وكان ذلك في شهر رجب من نفس السنة التي قتل فيها ضرغام[٣] ، وبذلك توطدت أقدام شاور وأضحت قوته ثابتة بعد أن أمن بمقتل غريمه – ضرغام – غير أن شاور ماطل في الوفاء بوعده المالي لنور الدين محمود ونفذ صبر شيركوه من المطالبة ، فتقدم نحو إقليم الشرقية واستقر ببلبيس وأخذ في جمع الأموال بنفسه[٤] ، وهنا فعل شاور ما فعله ضرغام من قبل إذ لجأ إلى الفرنجة واستنجد بعموري ووعده بمال كثير ، فسارع عموري بتلبية النجدة لأنه كان يخشى أن يملك نور الدين مصر ، فتصبح قوى الصليبيين وأملاكهم محاصرة في الشام من الشمال والجنوب[٥] .

حاصر عموري بركوه في مدينة بلبيس ثلاثة شهور[٦]، وأحس نور الدين محمود بما يهدد جيشه في مصر من خطر ، فبدأ يهاجم أملاك الصليبيين في الشام ليضطر ملك بيت المقدس إلى العودة لمملكته مما جعل عموري يفكر جديا في الانسحاب ، واتفق أخيرا مع شيركوه أن ينسحبا معا في وقت واحد من مصر[٧] .

١- المقريزى : خطط ، جـ ١ ص ٣٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٣٤٧ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص ٣٥٨ ، محمد حمدى المناوي : الوارة والوزراء و ص ٢٨٩ .
٣- القلقشندي : صبح الأعشي و جـ ١ ص ٣١٠ – ٣١٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ١٢٧ ، ١٣٩ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ١٠٢ ، محمد المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٨٩ .
٤- ابو المحاسن النجوم الزاهرة : جـ ٥ ص ٣٤٧ .
٥- جمال الدين الشيال : مصر في العصر الفاطمى ، ص ٤٤٥ ، جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٢٨ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٣٠٢ .
٦- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٣٥٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ١٤٠ .
٧- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٣٥٨ ، أبو المحاسن . النجوم الزاهرة ، جـ٥ ص ٣٤٨ .

خرجت القوتان من مصر، ولم يكن هذا نهاية الأمر، بل حاول كل منهما الاستيلاء على مصر للقضاء على القوة الأخرى، وخاصة بعد أن لفتت بسياستها أنظار كل منهما، فقد رأي شيركوه ضعف حالها وقلة حيلتها في الدفاع عن نفسها إذ لم يتمكن ضرغام الوزير المقتول من الاعتماد عليها في مقاومته، وأيضا شاور الوزير الذي استعان بقوة خارجية لمواجهة أطماع شيركوه(١)، الذي بدأ يهون على نور الدين محمود غزو مصر والاستيلاء عليها، حتى أطمعه في امتلاكها.

واتفق الرجلان نور الدين، وشيركوه على إعداد حملة أخري لفتح مصر قبل أن يسبقهما إليها عموري، وسارت الحملة وعلى رأسها أسد الدين شيركوه، وكان يصحبه للمرة الثانية ابن أخيه صلاح الدين، وكان ذلك سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م أي بعد سنتين من الحملة الأولي(٢).

دخل شيركوه مصر عن طريق ساحل البحر الأحمر من ناحية الصعيد، ونزل بالجيزة حتى لا يحاصر في بلبيس مرة أخرى، عندئذ تيقظ شاور لهذا الخطر فأخذ في جمع المقاتلين، وأرسل في نفس الوقت يستعين بملك بيت المقدس الذي بادر إلى مصر، لا لنجدة شاور بل خشية من استيلاء شيركوه عليها، وتقع مملكته بين قوة نور الدين في مصر والشام، وضرب عموري سرادقه بالقرب من الفسطاط في مواجهة شيركوه، فحاربهم شيركوه وهزمهم بعد معركة عنيفة عرفت باسم "معركة البابين" على مقربة من المنيا(٣).

ثم قسم شيركوه جيشه إلى قسمين وأرسل أحدهم مع ابن أخيه صلاح الدين إلى الإسكندرية بعد أن كتب إلى أهالي المدينة وأعيانهم يستنجد بهم ضد شاور عميل

١-أحمد عبد الرازق أحمد : تاريخ وآثار مصر الإسلامية، ص ١٩٧.
٢-ابن الأثير : الكامل، جـ ٩ ص ٩٤، ٩٦، ابن واصل : مفرج الكروب، جـ ١ ص ١٤٨، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ٥ ص ٣٤٨، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر، ص ٣٠٣ : ٣٠٥.
٣- أبو شامة : الروضتين، جـ ٢ ص ١٤٠، جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية، ص ٢٨.
Recueil : des historiens des croisa des, Hist. Occ, paris, 1844, P, 928., Schlumberger : Campagnes du roi Amaury ler, de Jerusalem en Egypt ou xlle siecle, paris, 1906, p. 142, 143.

الصليبيين ، فأجابوه وسلموه المدينة[1] ليتخذها قاعدة له في مصر لمحاربة الفرنجة بعد أن خرج إليه أعيان المدينة وعلى رأسهم واليها بن مصال ، وقاضيها بن الحباب ، وناظرها القاضي الرشيد بن الزبير ، وحملوا إلى شيركوه أموالا طائلة لمساعدته ، ونزل شيركوه قصر الإسكندرية[2] ، وسار هو على القسم الآخر من جيشه جنوبا لفتح بلاد الصعيد وجمع الأموال[3] ، وهنا أسرع عمورى وشاور وراء صلاح الدين إلى الإسكندرية لمحاصرته بها ، فدام الحصار أربعة أشهر[4] .

وعلى أن يدفع شاور لشيركوه مبلغ من المال قدره "خمسون ألف دينار" ترضية لمولاه نور الدين محمود[5] ، ولكن شاور تفاهم مع عمورى على إبقاء حملة إفرنجية قريبة من القاهرة للنجدة السريعة ، وكان ذلك تحقيقا لمأرب عمورى ، حيث يتيح له ذلك وجود قدم ثابتة في مصر تنبئه بأحوالها وتمهد له السيطرة عليها فيما بعد ، هذا بجانب ما أخذه عمورى من أمواله تقدر بأضعاف ما أخذه شيركوه[6] ، كما اتفق الطرفان على أن تعاد الإسكندرية إلى المصريين[7] .

فتحت الإسكندرية أبوابها ودخلها المصريون ، ولم يخرج منها صلاح الدين الأيوبى إلا بعد أن استحلف شاور وأوصاه بألا يتعرض لأهلها بسوء ، ولكنه لم يف بذلك حيث تتبع أعيانها ففر واليها "ابن المصال" إلى الشام ، وقتل ناظرها الرشيد بن الزبير ، وقبض على قاضيها ابن الحباب وعاقبه[8] .

١- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٤٥ ، ١٦٨ ، السيد الباز العرينى : مصر في عصر الأيوبيين ، ص ٣٠ ، جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٢٨ .
٢- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ١٩٩ ، السيد الباز العرينى : مصر في عصر الأيوبين ، ص ٢٩
٣- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٤٥ ، ١٦٨ ، السيد الباز العرينى : مصر في عصر الأيوبيين ، ص ٣٠ ، جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٢٨ .
٤- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٤٥ ، ١٦٨ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٣٤٩ .
٥- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٤٣ .
٦- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٤٣ ، ابن واصل : مفرج ، جـ ١ ص ١٥٧ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٥ ص ٢٤٩.
٧- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٤٣ .
٨- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٤٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ١٩٩ .

لم تغادر قوات الصليبيين مصر كلها كما نص الصلح مع شيركوه ، بل ظلت بمصر حامية صليبية كما اتفقوا مع شاور، وأدي وجود هذه الحامية بالبلاد إلى إطلاعهم على أحوالها مما جعلهم يطمعون في الاستيلاء عليها ، فبعثوا إلى ملكهم عموري يهونون عليه أمر امتلاكها حتى يقضى قضاءا تاما على مطامع نور الدين فيها ، وحتى يعتمد على مواردها في بدء تحرك جديد لإستعادة بقية بلاد الشام(1) ، فخرج عموري على رأس حملة لاحتلال مصر وتقدم نحو شرق الدلتا فى سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م ، وكان ذلك تحت تأثير ضغط رجاله ، وعندما أحس شاور بقدومه أرسل إليه بعثه من رجاله يستفسر عن سبب عودته إلى مصر ، فتظاهر بأنه إنما جاء ليؤمن البلاد ضد نور الدين الذى يحاول السيطرة عليها ، ولكن شاور لم ينخدع بذلك واستعد للمقاومة(2) .

وبلغ نبأ هذه الحملة نور الدين ، فأخذ في إعداد جيش كبير واستدعى قائده شيركوه الذى كان خارج دمشق ليتولى قيادة هذا الجيش نحو مصر(3) .

وكان عموري قد عاث فسادا فى بلبيس ، حيث قتل الرجال والنساء والشيوخ مما جعل شاور يجمع جاليتهم بالقاهرة وقتل منهم جماعة كبيرة ، وحفر خندقا وبنى حصنا حول القاهرة ، ثم أحرق الفسطاط وهاجر أهلها إلى القاهرة بعد أن وزع عليها عشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل (4)

وقد أحرق شاور الفسطاط حتى لا ينتفع بها عموري عندما يصل لمحاصرة القاهرة ، وفكر فى الاستعانة بنور الدين محمود ولكنه خشي أن يرفض ، فطلب من الخليفة الفاطمي العاضد أن يكتب إليه بنفسه ، ففعل وأرسل ضمن الخطاب خصلا من شعور

١- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٣٥٠ ، ص ٣٠ ، جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٢٩ .

٢- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٥ ص ٩٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ١٥٧ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٣٥٠ .

٣- عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ٤٧٠ ، عبد المنعم ماجد : الناصر صلاح الدين ، بيروت ١٩٦٧م، ص ٦٩ .

٤- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٥٤ .

أميرات البيت مبالغة فى طلب النجدة [١] ، فرحب نور الدين بالاستغاثة حيث صادفت تجهيزه للجيش المتقدم نحو مصر ، واهتم نور الدين بهذه الحملة وأرسل فيها أنفس من حرسه الخاص [٢] ، وخرج معه صلاح الدين الأيوبي بعد أن أرغمه نور الدين محمود ، فخرج وهو يقول : "خرجت مع عمى كارها وأنا كمن يقاد إلى المذبح" [٣] .

وصلت الحملة التي قادها شيركوه مصر فى ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م [٤]، وقبل وصولها اتفق الصليبيون مع شاور على الصلح الذى عرضه عليهم مقابل مائة ألف دينار [٥] ، على أن يرد إليهم بقية مليون دينار أخرى فيما بعد [٦] ، ورحل الفرنجة عن مصر بعد أن اقترب جيش نور الدين من القاهرة ، ولم تشتبك جيوش عمورى مع شيركوه في معركة حربية [٧] .

استقبل الخليفة الفاطمى العاضد بالله شيركوه وأكرمه وأجريت عليه وعلى عساكره الجرايات ، وحاول شاور تدبير مؤامرة للقبض على شيركوه ومن معه من الأمراء ، فنهاه ابنه الكامل وقال له : "والله لأن عزمت على هذا الأمر لأعرفن أسد الدين" ، فعدل شاور عن عزمه بعد أن اقتنع برأي ابنه الكامل [٨] ، واحتفظ بعلاقة حسنة مع شيركوه ، وتضايق صلاح الدين من هذا الموقف ، فاستجاب لتآمر بعض رجاله على شاور مثل عز الدين جرديك ، وأرسل الخليفة العاضد في نفس الوقت إلى أسد الدين شيركوه يطلب رأس

١- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٥ ص ٩٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـت ١ ص ١٥٧ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٣٥٠ .
٢- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٥٥ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٣٠٦ .
٣- ابن طباطبا : الآداب السلطانية ، بيروت ، ص ٢٦٤ ، أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ١٩٧.
٤- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٥٥ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ١٩٣ .
٥- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٣٥٠ .
٦- ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ١٦٠ .
٧- سوسن محمد نصر : دراسة في التاريخ الأيوبي والمملوكى ، ص ٣٨ .
٨- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

شاور ويحثه على الخلاص منه ، وبذلك قتل شاور في السابع عشر من ربيع الآخر سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م (١) .

وتلى مقتل شاور إجراء خطير تمثل فى تعيين شيركوه وزيرا للعاضد ، ولقبه بـ "السيد الأجل الملك المنصور سلطان الجيوش" (٢) . ولكن شيركوه لم يمكث في الوزارة أكثر من شهرين ، حيث توفي سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م (٣) .

واختير صلاح الدين مكان عمه في الوزارة ، ولقب بـ "الملك الناصر" في ٢٥ جمادي الآخرة سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م ، وكان عمره حينذاك إحدي وثلاثين سنة (٤) ، وكتب له العاضد سجل الوزارة بخط يده ، وألبسه خلعة الوزارة أمام جمع عظيم من موظفي الدولة(٥) .

وفي ظل وزارته بدأت تظهر ملامح عهد جديد ، وتمثل ذلك في إحلال المذهب السني محل المذهب الشيعي ، ولا مراء أن منطقة غرب الدلتا بما فيها من قبائل عربية كانت أول المناطق التي تقبلت هذا التحول ، حيث كان العديد من أبنائها يعتنقون المذهب السني في ظل الخلافة الفاطمية .

وبعد العديد من الإجراءات تمكن صلاح الدين الأيوبي من السيطرة على زمام الأمور، حيث عزل قضاة مصر الشيعيين ، وقطع أرزاقهم وأحل محلهم أهل السنة مثل صدر الدين عبد الملك بن باديس الشافعي الذي عينه قاضيا للقضاة (٦)، كما شرد الدعاة الشيعة، وألغي أصول المذهب الشيعي مثل الآذان ، وحذف العبارات الشيعية التي كانت تكتب على

١- ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ١٠١ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٥٧ ، ١٧٣ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ص ٣٩٤ ، المقريزى : السلوك ، تحقيق محمد مصطفي زيادة ، سعيد عاشور ، القاهرة ١٩٧٢ ، جـ ١ ص ٤٣ .
٢- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ١٠ ص ٨٠ ، ٩٠ ، أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٥٨ ، ١٧٤ .
٣- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٦٠ ، السيد الباز العرينى : مصر في عصر الأيوبيين ، ص ٣٣ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٣١ ، محمد المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٩٠ .
٤- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٦٠ ، عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ، ص ٢٩٠ .
٥- القلقشندى : صبح الأعشي ، جـ ١٠ ص ٣٨٠ .
٦- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٥٩ ، سوسن نصر : دراسة في التاريخ الأيوبي والمملوكي ، ص ٤٥ .

العملة والطراز مثل "على ولي الله" [١] ، وعطل الجامع الأزهر لأنه كان يدرس فيه المذهب الشيعي [٢] ، وأخذ في بناء المدارس لنشر تعاليم المذهب السني في أنحاء مصر بما فيها غرب الدلتا [٣].

وكان آخر إجراء قام به هو قطع الخطبة عن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله ، وكان ذلك من أول جمعة من المحرم سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م ، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي المستضيئ بأمر الله بعد انقطاع دام قرنين من الزمان [٤] ، وبذلك كانت نهاية الدولة الفاطمية ، وبعدها بأيام توفي الخليفة الفاطمي الأخير – العاضد لدين الله في يوم عاشوراء سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م[٥] .

وتروي المصادر التاريخية روايات متعددة بصدد وفاة الخليفة الفاطمي العاضد بالله منها ، أن صلاح الدين الأيوبي لما خطب لبنى العباس ، ورفع اسم العاضد من الخطبة ، اغتم العاضد وقتل نفسه [٦] ، وقيل أيضا أنه كان في يده خاتم فيه مادة سامة ، ولما علم بإسقاط اسمه من الخطبة ابتلعه فمات في الحال [٧] ، وروي أيضا أن الطبيب الذي كان يعالجه لما رأي رغبة صلاح الدين في عزله امتنع عن مداواته حتى مات [٨] كما زعمت بعض مصادر الفرنجة أن توران شاه أخا صلاح الدين هو الذي تولى قتل العاضد بنفسه [٩].

١-مايسة محمود داود : المسكوكات الفاطمية في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، القاهرة ١٩٩١ ، ص ٤٧ .
٢-المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ٢٧٦ ، حسن عبد الوهاب : المساجد الأثرية ، القاهرة ١٩٤٦ ، جـ ١ ص ٥٣ ، ٥٤
٣-المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ٣٦٣ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٥٩ .
٤-أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٩٤ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٥ ص ٣٤١ .
٥-أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٩٤ .
٦- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ص ١٩٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ١ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .
٧-عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ٤٨٤ .
٨-عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ٤٨٤ .
9 - Encyclopedie : del. Islam art, a Adid IV, p 88.

الفصل السابع

نظم الحكم والإدارة في مصر الإسلامية

الفصل السابع

نظم الحكم والإدارة في مصر الإسلامية

بعد أن تم للمسلمين فتح مصر كان عليهم وضع نظام يتسنى لهم من خلاله حكم البلاد وإدارتها وكان حتما عليهم الإبقاء على النظام الإداري الذي كان سائدا في مصر، على أن يحتفظوا لأنفسهم بالمناصب الرئيسية للإشراف على الإدارة في مصر بوجه عام حتى يتمكنوا من تنفيذ سياستهم التي تقضي باستخلاص مصر من الحكم البيزنطي، وجعلها ولاية عربية إسلامية.

وكان النظام الإداري الذي وضعه المسلمون لإدارة البلاد يشمل الخليفة الوالي، عامل الخراج، الوزير، صاحب الشرطة. القضاة، صاحب البريد، صاحب الطراز ومتولي دار الضرب، والمحتسب، والدواوين، والقضاة، وفيما يلي توضيح لمهام كل من هؤلاء.

الخليفة :

لم يستقر خليفة المسلمين بمصر منذ الفتح الإسلامي لها إلى العصر الفاطمي إلا أننا نجد أنه صاحب السلطة العليا في البلاد، ففي عصر الخلفاء الراشدين كان مقر الخليفة بالمدينة وكان يمثله الأمير أو الوالي الذي يعينه من قبلة في مصر، واستمر الوضع على ذلك خلال العصرين الأموي والعباسي، ثم تغير خلال العصر الفاطمي، حيث استقر الخليفة الفاطمي في مصر، وكان الخليفة قبل العصر الفاطمي حريصا عند اختيار ولاته أن ينتخب أمثل الناس وأقواهم وأخلصهم عملا وذلك حرصا على مصالح الأمة.

وكان الخليفة هو المسئول الأول عن أمن الدولة الإسلامية وذلك بمعاونة ولاة الأمصار حيث كان للأمصار أثر كبير في تثبيت الخليفة في مركزه أو عزله أو الثورة عليه.

ولم يكن الخليفة خلال عصر الراشدين يختار وليا لعهده بل كان يرشح إلى حد كبير من يخلفه ويترك الأمر شورى للمسلمين ، أما خلال العصر الأموي والعباسي فنجد أنه ظهر منصب ولي العهد وأول من بدأ ذلك هو معاوية بن أبى سفيان وظل على ذلك حتى نهاية العصر الفاطمي .

ومنذ القرن الثالث الهجري لم يعد الخليفة صاحب القبضة القوية في الدولة أو الطرف المباشر في العلاقة مع الرعية وإنما صار يشاركه في السلطان العسكريون ، وهذا ما حدث خلال العصر العباسي عندما استولى الأتراك على زمام الأمور واستضعفوا الخلفاء، فكان الخليفة كالأسير في أيديهم إن شاءوا أبقوه وأن شاءوا خلعوه وإن شاءوا قتلوه[١] .

وكان الخليفة يرزق من بيت المال[٢] ، والذي كان يشرف عليه وينظر في الإيرادات والمصروفات ، وكانت مهام الخليفة أيضا الأشراف على جميع شئون البلاد بمعاونة الوزراء والولاة وأصحاب الدواوين وكبار رجال الدولة ، وكان الأمر يظل في يديه إذا بقى قويا وهذا ما اتضح لنا خلال عصر الخلفاء الراشدين وخلال العصر الأموي والعصر العباسي الأول والعصر الفاطمي الأول ، أما إذا ضعف نفوذ الخليفة وهيبته فكان يستبد بالنفوذ بعض الوزراء والأمراء والعسكريين وتحكموا في أمور البلاد وعملوا على حجب الخلفاء عن الرعية في كثير من الأحيان وقد اتضح هذا كثير خلال العصر العباسي الثاني وأواخر العصر الفاطمي .

ومن مهام الخليفة أيضا الإشراف على دور السكة[٣] وكذلك دور الطراز وأيضا دور الصناعة وغيرها من المؤسسات التي تعمل بمصالح الأمة عامة .

وكان الوالي هو نائب الخليفة في ولايته خلال عصر الولاة ولكن تغير الحال في عصر الدولة الفاطمية نظرا لاستقرار الخلفاء الفاطميين في مصر منذ عهد الخليفة الفاطمي المعز

١- ابن طبا طبا : الفجري ، ص ٢٤٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ .
٢- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ط ٣ ، ص ١٧ – ٢٠ .
٣- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٠ .

لدين الله حتى عهد الخليفة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين و وكان الخليفة يخرج في المواكب العامة مثل الاحتفالات الدينية والقومية وتوديع الجيوش واستقبال السفارات الخاصة للدول الخارجية ، وغير ذلك .

الوالـــي :

كان الوالي يعين من قبل خليفة المسلمين وكان يطلق عليه الأمير وكان مقره في مصر هو "دار الإمارة" التي كانت مقرا للأمراء ينزلونها سواء في الفسطاط أو العسكر أو القطائع أو حلوان[١] التى أقامها عمرو ابن العاص في الجهة الشمالية الشرقية من جامعة، وكان الوالي ممثل الخليفة في ولايته ولذا تعددت مهام الوالي في مصر باعتباره الرئيس السياسي لها ومن مهامه الآتي :

كان له السلطة العامة في مصر ولم يكن مسئولا عن عمله إلا أمام الخليفة مباشرة ومن أهم اختصاصاته إمامة المسلمين في الصلاة أيام الجمع والأعياد وكان يطلق عليه في كثير من الأحيان "أمير الصلاة" وكان عليه قيادة الجيش في ولايته أثناء الحملات التأمينية لمصر أو لصد الأعداء عنها ، وفي بعض الأحيان كان يرسل من يقود الجيش نيابة عنه[٢] .

كان من مهام الوالي أيضا الإشراف علي إدارة المالية في البلاد وهو ما كان يعرف بالخراج ، وفي بعض الأحيان كان الخلفاء يخشون ازدياد نفوذ الولاة بسبب إشرافهم على الخراج الذي كان يجعلهم مطلقي التصرف في الدولة ، فيسند الخراج إلي شخص آخر أطلق عليه "عامل الخراج" ويكون مسئولا عن عمله أمام الخليفة مباشرة دون أدني سلطة من الوالي عليه ، وهذا كان يحد من سلطة الوالي أو يصبح غير قادر على التصرف في الأمور المالية كما يشاء ولذا كان عامل الخراج منافسا للوالي[٣] .

١- هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية جـ ٢ ، ٢٥٥ .
٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٧٨ ، حسين مؤنس : تاريخ مصر ص ٣٤٨ .
٣- سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ص ٢٦ .

وكان للوالي في مصر حق الإشراف علي شئون الشرطة و كان مقر الشرطة في عاصمة البلاد ، وكان الوالي هو الذي يعين صاحب الشرطة وفي حالات نادرة كان الخليفة هو الذي يعين صاحب شرطة ، وكان صاحب الشرطة ينوب عن الوالي في إمامة الصلاة وإدارة البلاد أثناء غياب الوالي ويدل على ذلك مقتل خارجة بن حذافة صاحب الشرطة في مصر أثناء ولاية عمرو على يد عمر بن بكر الخارجي الذي قتله بدلا من عمرو بن العاص[1] .

هذا وقد بلغ عدد الولاة الذين تقلدوا حكم مصر في عصر الولاة خلال الفترة من سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م إلي سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م أي منذ فتحها عمرو بن العاص إلى أن تقلد أمورها أحمد بن طولون الذي استقل بأمورها فيما بعد مائة وستة عشر واليا ١١٦ .

وإذا نظرنا في تاريخ مصر خلال عصر الولاة نجد أنها ظلت منذ الفتح الإسلامي ولاية تابعة للخلافة الإسلامية ، وليس لها شخصية مستقلة إلى أن دخلها الفاطميون .

وإن أغلب الولاة لم تتح لهم فرصة البقاء في منصب الولاية طويلا ومنهم من تولى أكثر من مرة ومنهم من لم تزد مدة ولايته على عدة أيام أو عدة أسابيع .

إن بعض الولاة خلال العصر العباسي أرسل نيابة عنه من تولى حكم مصر ويلاحظ أن ولاة مصر خلال عصر الخلفاء الراشدين والأمويين كانوا من العرب لأن الدولة أنذاك كانت عربية السيادة وبلغ عدد الولاة الذين تولوا حكم مصر منذ الفتح حتى نهاية عصر الدولة الأموية ما يقرب من أثنين وثلاثين واليا أما خلال العصر العباسي فقد تأثرت مصر بالسياسة العامة للدولة ، حيث ازداد النفوذ التركي فيها وولي مصر عدد من الولاة الترك كان أولهم يزيد بن عبد الله التركي ٢٤٢/ ٢٥٣هـ - ٨٥٦/ ٨٦٧م ، ويلاحظ كثرة تغير الولاة في مصر خلال العصر العباسي[2]

١- الكندي : الولاة ص ٣٢ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٠٥ .
٢- الكندى : الولاة ص ٢٠٢ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٢ ص ٣٠٨ .

لا مراء أن كثرة تغير الولاة لن ينتج عنه سوى الضرر بأحوال مصر واضطراب أمورها ومثال لذلك ما حدث خلال فترة الاضطرابات التي صاحبت الفتنة التي جرت بين الأمين والمأمون [1]

كان بقاء الوالي في الحكم متوقفا على تنفيذ مطالب الخلفاء وفق سياستهم حيث إن حكم الولاة كان يختلف لينا وشدة تبعا لاختلاف ميولهم ، فقد اشتهر البعض منهم بالعدل والجود والإصلاح ، والبعض الأخر اتسمت سياسته بالتعسف والجور والقسوة .

الوزير :

لم تعرف مصر منصب الوزارة [2] في عصر الولاة ، وذلك بحكم تبعيتها مباشرة للخلافة [3] ، وكان الوالي يستعين ببعض الكتاب في تحرير رسائله إلى مقر الخلافة وإلي مختلف أقاليم مصر ، فكان بمصر ديوان إنشاء ، وإن كان قليل الأهمية في بادئ الأمر.

وقد اشترك المصريون بنصيب وافر في إدارة البلاد فكان هناك كاتبان قبطيان أحدهما لإدارة مصر العليا ، والأخر لإدارة مصر السفلي وعندما استقل إطار الخلافة العباسية وأصبح هو المتصرف في شئون مصر وضم إليه برقة والشام ، كان يشرف على أعمال الدولة بنفسه ويستطلع أحوال الرعية ، ولم يتخذ وزيرا بل استعان بكاتبه أحمد بن محمد الواسطي الذي كان يعمل عمل الوزارة وإن لم يتلقب بألقابهم ، وظل الواسطي هذا

١- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ٣٥ .
٢- الوزارة : اختلف في أصل كلمة الوزارة وفي اشتقاقها فقيل أن أصل الكلمة فهلوي مأخوذ من فيشيرا ومعناها الأمر والتقريب وقيل أن أصلها عربي واختلف في اشتقاقها وقيل أن الكلمة مأخوذة من الوزر بكسر الواو وهو الثقل لأن الوزير يحمل عن الخليفة أثقال الحكم ، وقيل إنها مأخوذة من الوزر وهو الملجأ ، قال تعالى "كلا لا وزر" (القيامة : ١١) أي لا ملجأ وسمي الوزير بذلك لأن الخليفة يلجأ إليه ليعاونه ، وقيل لإنها مأخوذة من الأزر وهو الظهر لأن الخليفة يقوى بوزيره كقوة البدن بالظهر ، الملوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٩٥ ، ٩٦ .
٣- ابن الطقطقي : الفجري ، ص ١١٠ .

صاحب نفوذ كبير في دولة ابن طولون ، ولما خرج ابن طولون إلي الشام سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م استخلف ابنه العباس على مصر وضم إليه أحمد بن محمد الواسطى مديرا ووزيرا.(١)

وعندما خرج الواسطي إلي بغداد استعان ابن طولون بكاتب مصري هو جعفر بن عبد الفار ، ولم يكن على قدر كاف من الكفاءة ، إلا أن أحمد بن طولون فضله على العراقي لأنه مصري "وتكون بطانته وحاشيته من البلد ويعود مرفقه على فريق من أهله وبذلك يكون أحرص على عمله"(٢) .

وفي عهد خمارويه بن أحمد بن طولون علا شأن على بن أحمد الماذرائي حتى صار إليه النظر في جميع أمور مصر ، وربما أتخذ لقب الوزير .

وقد ظل على بن أحمد الماذرائي ووالداه مسيطرين على أمور مصر المالية والإدارية إلى أن قتل مع "أبى العساكر جيش" ، فحل محله ابنه أبو بكر بن علي أبن أحمد الماذرائي، وتولي أمور هارون بن خمارويه إلى أن زالت الدولة الطولونية ومع ذلك ظل لأبي بكر الماذرائي مكانته المرموقة أثناء تبعية مصر للخلافة (٣)

وفي عهد محمد بن طفج الإخشيد ولي الوزارة أبو بكر محمد بن على الماذرائي(٤) ، وخلع عليه ومشى بين يديه الأشراف وسائر الناس فى ركابه ورد إليه الإخشيد التدبير بمصر والشام والرملة ، وكان الإخشيد لا يصدر أمرا إلا بعد مشورته(٥) .

واستوزر الإخشيد بعد الماذرائي أبا الحسن على بن خلف بن طباب ثم عزله وقبض عليه ، واستعان بعده بأبي الحسن محمد بن عبد الوهاب ، ولكن الإخشيد صرفه واستعان بمحمد بن على بن مقاتل الذي أصبح وزيره منذ سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م(٦) .

١- الكندي : الولاة والقضاة ص ٢١٩ .
٢- البلوي : سيرة ابن طولون ص ٥٧
٣- جمال سرور : الدولة الفاطمية ص ٦٧ .
٤- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ص ١٥٥ .
٥- ابن سعيد : المغرب في حلى حضرة القاهرة ص ٢٥ .
٦- حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٤ .

ولما توفى الأخشيد رجحت كفة الماذرائى مرة أخرى وكانت له اليد العليا في أن يخلف أنوجور أباه ، فأسند إليه الأمر وقبض على محمد بن مقاتل ، وظل الماذرائي ينظر في الأمور حتى غضب عليه أنوجور وسجنه حيث ظل معتقلا في سجنه إلى أن أطلق كافور سراحه سنة ٣٣٦هـ/ ٩٤٧م واستخدمه فترة من الزمن[١] ، وفي أواخر الدولة الإخشيدية كان بها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات الذي ظل وزيرا إلى أن فتح جوهر الصقلي مصر ، ولذلك عندما دخل جوهر الصقلي مصر ، اتخذه وزيرا حتى يتألف المصريون ، فظل في منصبه لقبا فقط ، فلما وصل المعز أعفاه من منصبه[٢] .

ظهرت الوزارة عند الفاطميين ولعب الوزير في دولتهم الذي لعبه مثيله في الدولة العباسية وتعرض لما تعرض له الوزير العباسي[٣] .

ويذكر المقريزي : "أن المعز لم يوقع اسم الوزارة على أحد في أيامه"[٤] ، ولما تولى ابنه العزيز واستقرت الأمور بدأ الخليفة يتنازل عن بعض الشيء من سلطانه لأحد المخلصين له وهو يعقوب بن كلس ، وأسند إليه رتبة الوزارة ولقبه بـ "الوزير الأجل" سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م[٥] ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت خطة الوزارة تأخذ مكانها في الدولة تأخذ مكانها في الدولة الفاطمية وظلت أهم وظائفها حتى كان لها تأثير كبير في سياستها الدينية والداخلية والخارجية ، ثم أدت في نهاية الأمر إلى سقوطها .

وقد تطورت سلطة الوزير في تصريف شئون الخلافة ، وكانت تتوقف على مدى سلطة الخليفة من قوة وضعف وأيضا تتوقف على شخصية الوزير نفسه ، فنجد وزراء أقوياء مثل ابن كلس والجرجرائى ، واليازوري الذين أدوا للدولة الكثير ووزراء آخرين

١- المناوي : الوزارة والوزراء ص ٢٤ .
٢- عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية في مصر ص ٢٤٥ .
٣- حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ص ١٣٢ – ١٣٨ .
٤- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٤٣٩ .
٥- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٢٧٣ .

أضعفت نفوذهم قوة الخليفة مثل الوزراء في عهد الحاكم وعهد المستنصر حيث فقدت الوزارة هيبتها وكثر عزل الوزراء[١] .

وأصبحت الوزارة منذ أواخر عهد المستنصر وزارة تفويض[٢] تقلدها كثير من أرباب السيوف بعد أن كانت وزارة تنفيذ[٣] أو وساطة ، وبذلك تحولت الوزارة إلى سلطة استبدادية ، ومن أشهر وزراء هذا العصر بدر الجمالي الذي فوض إليه المستنصر جميع سلطاته ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م [٤] .

وزاد نفوذ الوزراء في العصر الفاطمي الثاني وتفحلت قوتهم وتضخمت ثرونهم وصار في أيديهم أمر تعين الخلفاء وعزلهم واختيار الخلفاء أيضا[٥] .

ومن أهم واجبات الوزير :

١. تنظيم أمور الدولة في نواحي الإدارة وضبط مواردها المالية .
٢. ضمان أموال الدولة وعدم ضياعها فإن قل مبلغ الضمان قبض على الوزير أو عزل .
٣. كان للوزير الرأي الأول في اختيار رؤساء الدواوين .
٤. كان له الحق في الإشراف على الجيش .
٥. كان ينظر في المظالم وذلك منذ وزارة بدر الجمالي[٦] .
٦. لما زاد نفوذ الوزراء صار الوزير يقلد قاضي القضاة وداعي الدعاة وكانت من قبل الخليفة رأسا .

١- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٤٢ .
٢- وزاره التفويض : أن يستوزر الخليفة من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه واجتهاده ولا يستشير الوزير فيها الخليفة أى أن الخليفة لا يملك ولا يحكم ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٩٣ .
٣- وزارة التنفيذ : أن الوزير ينفذ أمر الخليفة الذي يشرف على جميع تصرفاته ، ولا ينفذ شينا إلا بعد مشورته ، الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٩٣ .
٤- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ، ص ١٠١ .
٥- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٤٣ .
٦- حمدي المناوي : الوزارة ص ٣٣ ــ ٤٦ .

ألقاب الوزارة :

كان أول من تلقب من الوزراء بالألقاب هو يعقوب بن كلس وهو أيضا أول من وزر بالدولة ولقبه العزيز بالله "الوزير الأجل" سنة ٣٦٨هـ/ ٩٩٦م ، وظل هذا اللقب يطلق على الوزراء الذين أتوا بعده حتى اختفي منذ وزارة بدر الجمالي[١] .

وفي عهد الحاكم تولى الوساطة له الحسن بن عمار سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م ولقب "أمين الدولة" وتلقب برجوان بلقب برجوان بلقب "أستاذ" ؛ ولقب اليازوري في عهد المستنصر "الوزير الأجل الأوحد المكين سيد الوزراء" ، تاج الأصفياء قاضي القضاة وداعي الدعاة علم المجد خالصة أمير المؤمنين" ، ولقب بدر الجمالي في عهد المستنصر بالله بألقاب كثيرة هي "السيد الأجل أمير الجيش" ، سيف الإسلام ، ناصر الأنام ، كافل القضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين" وقد منحت له هذه الألقاب على فترات مختلفة .

وتلقب الأفضل بن بدر الجمالي بالألقاب الآتية : "الأجل ، الأفضل ، سيف الأمام، جلال الإسلام ، شرف الأنام ، ناصر الدين خليل أمير المؤمنين ، أبو القاسم شاهنشاه"، ولقب المأمون البطائحي للخليفة الآمر سنة ٥٥٥هـ بـ "الآجل المأمون تاج الخلافة وجيه الملك فخر الصنائع ذخر أمير المؤمنين" .

أما أبو علي أحمد بن الأفضل الذي تولي وزارة الحافظ فقد اختار لنفسه ألقابا عديدة منها "السيد الآجل الأفضل مالك أصحاب الدولة والمحامي عن حوزة الدين . وناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين ، ناصر إمام الحق في حالة غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضي سيفه وصائب رايه وتدبيره ...."

١- حمدي المناوي : الوزارة ص ٦٤ .

كل هذه الألقاب تدل دلالة واضحة على أن الوزير أصبح المسيطر على أمور الدولة وحده ولا ينازعه أحد ، ولما تولى بهرام الوزارة في عهد الحافظ لم يتلقب بلقبي "كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين" لأنه كان نصرانيا ، أما رضوان بن ولخشى فلقب "بالسيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين" ، ولقب بعض الوزراء بلقب "ملك" وكان أول هؤلاء رضوان بن ولخشى ، وأيضا بن سلار الذي لقب "بالملك العادل" ، وطلائع بن رزيك تلقب "بالملك الصالح" ، ولقب شاور بلقب "سلطان الجيوش" بدلا من أمير الجيوش ولقب شيركوه "بالملك المنصور" ولقب صلاح الدين "بالملك الناصر"[1] .

صاحب الشرطة :

الشرطة[2] وظيفة من وظائف السيف وموضوعها تنفيذ العقوبات ، فبعد الفتح الإسلامي امتدت أطراف الدولة الإسلامية إداريا ، وتم إنشاء الدواوين وبيت المال ، وبعد زيادة الخراج أصبحت المدينة في حاجة ماسة إلي حراسة ليلية مستمرة فخصص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لهذه المهمة بعض الرجال الذين يتناوبون الحراسة فيما بينهم في نوبات ودوريات متبادلة ، فعرفت بذلك أهم وظائف الشرطة وهي توفير الأمن للمواطنين ، وحراسة مؤسسات الدولة العامة ، وأطلق على الذين يقومون بهذه المهمة اسم "العسس" ولم يكن يطلق عليهم اسم الشرطة .

١- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٤٤ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، المناوي : الوزارة ، ص ٧٠ ، ٧٣ .
٢- الشرطة : كلمة مشتقة من الشرط أي العلامات التى كان أصحاب الشرطة يضعونها فوق ملابسهم من أجل أن يعرفهم الناس ، القلقشندي : صبح جـ ٥ ، ص ٤٥ ، ٤٢٣ .

أول ما أطلق اسم الشرطة على المهنة كان في عهد أمير المؤمنين على بن أبى طالبﷺ . وفي عهد الخلافة الأموية عرفت الشرطة لأول مرة نظام "المراقبة" ثم توسعت اختصاصاتهم حتى شملت أعمال القضاء .

ومن يتولي هذا المنصب كان يطلق عليه اسم "صاحب الشرطة" وكان لوالي مصر في أغلب الأحيان حق تعيين صاحب الشرطة على أنه كان بمثابة نائب الوالي حيث كان ينوب عنه في إدارة البلاد أثناء غيابه للحج أو للحرب . كما كان ينوب عنه أيضا في إقامة الصلاة [١] . وكان الخلفاء يتدخلون في بعض الأحيان في تعيين أصحاب الشرطة . بل لجأ بعضهم إلي تعيين أصحاب الشرطة في منصب ولاية مصر في حالة تنحية الوالي أو وفاته . وهذا بطبيعة الحال كان راجعا إلي تمرس أصحاب الشرطة في الحكم [٢] . وكان أصحاب الشرطة هم درع الأمن في شتى قرى ومدن مصر . وكانوا يساعدون الولاة في مهامهم . بجانب مساعدة القضاة في تنفيذ أحكامهم . هذا بجانب تنفيذ العقوبات التي كانت تفرض علي بعض المخالفين والمذنبين من قبل المحتسب . وكانوا يحافظون على الأمن الداخلي بمنع وقوع الجرائم والقبض على الجناة وإقامة الحدود عليهم[٣] .

وكان من مهام صاحب الشرطة نشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق الفاضلة ومنع الفساد[٤] . وقد أسندت إلي أصحاب الشرطة أيضا بعض المهام الأخرى بجانب الحراسة ومنع الفساد . حيث كانوا يسهمون في إطفاء الحرائق . وتحصيل الجزية . وإصدار الدنانير وغيرها [٥] .

١- ابن عبد الحكم ك فتوح مصر ، ص ١٠٥ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ص ٦ .
٢- الكندي : الولاة ص ١٩٢ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٢١ .
٣- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٢ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٢ ص ٢٦ .
٤- أحمد عبد الرزاق : شرطة القاهرة ، ص ١٣ .
٥- احمد عبد الرزاق : تاريخ وأثار مصر الإسلامية ، ص ٣٧ .

وخلال عصر الولاة كان مقر صاحب الشرطة في الفسطاط مع الوالي ، ولكن بعد تأسيس مدينة العسكر سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م على يد صالح بن على أنشئت شرطة جديدة إلى الجنوب من الموقع الذي يشغله جامع أحمد بن طولون [١] عرفت باسم الشرطة العليا ، بينما اشتهرت شرطة الفسطاط بالشرطة السفلى ، وقد احتفظ صاحب شرطة الفسطاط بالكلمة العليا على زميله صاحب شرطة العسكر بوصفة حاكم عاصمة البلاد[٢] .

وقد بلغ عدد متولي الشرطة في مصر منذ الفتح حتى عهد ابن طولون ٢١/ ٤٥٢هـ - ٦٤١/ ١٠٦٠م ، ١٥٠شخصا ، وقد ظهرت هذه الوظيفة بصفتها المعروفة خلال عصر الأمويين حيث أوجدها معاوية لتقوم بحراسته وقت الصلاة ولتكون أداة في يد عماله لتنفيذ سياسته[٣] ، فكان أول من عملها في الإسلام وربما يكون قد أخذها عن البيزنطيين من نظامهم في الأمن ، ثم تطورت وأصبح أساس عملها أن تكون تابعة للقضاء[٤] .

عامل الخراج :

يمثل عامل الخراج في منصبه "منصب وزير المالية" في وقتنا الحاضر ، فهو الذي يشرف على الجباية والنفقات ، ويقوم بإرسال الفائض إلي بيت المال في عاصمة الخلافة ويتبعه "ديوان الخراج" وكان مقره مدينة الفسطاط ، أو العسكر ، أو القطائع أو القاهرة وله فروع في الأقاليم ، ويعمل معه مجموعة كبيرة من الموظفين الكبار والصغار ، وكانت الدولة تجند له الجيش والشرطة إذا لزم الأمر وواجهته بعض الصعوبات في جباية الضرائب .

وكان منصب عامل الخراج من أهم مناصب الولاية ، ويكاد يتساوي مع منصب الوالي في الأهمية ، فبينما كان للوالي قيادة الجيوش كان عامل الخراج يشرف على

١- سيدة كاشف : أحمد بن طولون ، ص ١٦٣ ، حسن الباشا : الفنون والوظائف ، جـ ٢ ص ٦٨٠ .
٢- أحمد عبد الرزاق : شرطة القاهرة ، ص ١٤ .
٣- ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ص ١٩٨ .
٤- عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص ٥٨ ، ٥٩ .

الشئون المالية فيجمع الخراج ، ويصرف الرواتب وأعطيات الجند ونفقات الولاية ، وكان الوالي يمتاز على عامل الخراج في أنه يؤم المسلمين في الصلاة ، ولو جمع رجل بين منصب الولاية والخراج لأصبح كالحاكم المستقل في ولايته [١] ، وقال عمرو بن العاص "ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة"[٢] .

وقد جمع عمرو بن العاص بين الولاية والخراج ، ولما قل ما جمعه من خراج مصر عما كان عليه قبل الفتح انبه الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، ولما أراد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ أن يولي عمرو على الحرب (أي يوليه الصلاة وأن يولي عبد الله بن سعد خراج مصر) رفض عمرو ذلك وقال "أنا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها"[٣] ، ورفض ما أراد عثمان وترك ولاية مصر وعاد [٤] وتبين أهمية عامل الخراج من أنه بعد وفاة عمرو بن العاص عين معاوية بن أبي سفيان ٤٠/ ٦٠هـ - ٦٦٠/ ٦٨٠م أخاه عتبة بن أبي سفيان ٤٣/ ٤٤هـ - ٦٦٣/ ٦٦٤م واليا على الصلاة في مصر[٥] وولي وردان الخراج ، ولما أشتكى عتبة من قلة نفوذه ضم إليه معاوية الخراج[٦] .

تولى أسامة بن زيد التنوخي ٩٦/ ٩٩هـ - ٧١٤/٧١٧م خراج مصر أثناء ولاية عبد الملك بن رفاعة سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م ، وفي خلافة سليمان بن عبد الملك ٩٦/ ٩٩هـ - ٧١٤/ ٧١٧م [٧] ، وكتب إليه سليمان : "أحلب الدر حتى ينقطع ، وأحلب الدم حتى ينصرم"[٨]، وكان ذلك أول شدة دخلت على أهل مصر.

١- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٠ .
٢- القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ص ٣٠٦ .
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٨ ، سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ص ٢١ .
٤- أحمد عبد الرزاق : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٩٠ ص ٧٧ .
٥- الكندي : ولاة مصر ص ٥٧ ، ٥٨ .
٦- السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢١٨ .
٧- السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ، الكندي : ولاة مصر ، ص ٨٧ .
٨- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

وكان عمر بن عبد العزيز يذم تصرفات أسامة بن زيد في جمع الخراج ، إلا أن هذه التصرفات كانت لأوامر من الخليفة سليمان الذي تشدد في جمع الخراج وعندما توفي سليمان وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ٩٩/١٠١هـ - ٧١٧/ ٧١٩م كتب بعزل أسامة بن زيد وأمر به أن يحبس ويقيد ويحل عن القيد عند كل صلاة ، ثم يرد إلي القيد ، فحبس بمصر مدة ، ثم نقل إلي فلسطين فحبس بها حتى مات عم بن عبد العزيز ، وتولي بعده يزيد بن عبد الملك ١٠١/ ١٠٥هـ - ٧١٩/ ٧٢٣م ، فأعاد أسامة بن زيد على خراج مصر ثانية [1] .

ولعلنا نتبين أهمية عامل الخراج ونفوذ صاحبه من ذلك الدور الذي لعبه عامل الخراج عبيد الله بن الحبحاب في مصر أثناء خلافة هشام بن عبد الملك ١٠٥/ ١٢٥هـ - ٧٢٣/ ٧٤٢م [2] ، حيث تتابع خلال هذه المدة خمسة ولاة [3] دخل في نزاع معهم ، وشكاهم للخليفة الذي كان يستجيب له ويأمر بعزلهم ومثال لذلك عندما تنازع ابن الحبحاب مع والي مصر سنة ١٠٨هـ/ ٧٢٦م وهو الحر ابن يوسف الثقفي [4] كتب إلى الخليفة هشام يشتكى إليه فعزله الخليفة وعين بدلا منه حفص ابن الوليد على الصلاة ، وأيضا تدخل في عزل حفص وولى عبد الملك بن رفاعة ، ثم أخاه عبد الملك بن رفاعة ١٠٩/ ١١٧هـ وهو الذي دبر لابن الحبحاب حتى أخرجه هشام بن عبد الملك من مصر واستعمله على إفريقية سنة ١١٦هـ/ ٧٣٤م [5]

وقد درج العباسيون على أن يفصلوا بين مناصب السياسة والدين ومناصب الشئون المالية ، ولذا نجد عامل الخراج من أهم الموظفين في الدولة في بعض الأحيان وطغى منصبه على منصب الوالي نفسه ، وكثيرا ما زاد عدد عمال الخراج في الضرائب مما دفع المسلمين

١- هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٢٥١ .
٢- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٨ .
٣- الكندي : ولاة مصر ، ص ٧٢ — ٧٦ .
٤- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢١٨ .
٥- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٣

والمصريين إلى الثورة ضدهم ، ومثال لذلك ما حدث في سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م ضد عامل الخراج صالح بن شيرزاد أثناء خلافة المأمون ١٩٨/ ٢١٨هـ - ٨١٣/ ٨٣٣م [١] وولاية عيسى بن يزيد الجلودي ٢١٢/ ٢١٤هـ - ٨٢٧/ ٨٢٩م [٢] ، وأيضا في سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م أثناء ولاية عيسى بن منصور ٢١٦/ ٢١٧هـ - ٨٣١/ ٨٣٢م[٣] .

وعند قيام الدولة الطولونية كان الخراج في يد أحمد بن المدبر ، وقد اشتد في جمع الضرائب واستحدث فيها ، فقد فرض ضريبة على النطرون وعلى الكلأ - المراعي - وعلي المصايد ، وكسب ابن المدبر بهذا الأسلوب ثوة في مصر وكسب رضاء الخلافة بما كان يرسله من أموال ، بجانب استناده إلى أخيه إبراهيم ولكي يحقق ابن طولون أهدافه الرامية إلي الاستقلال بمصر وشئونها فقد وقف في وجهه واستطاع أن يخرجه من مصر وولى بدلا منه محمد بن هلال وسيطر هو على الشئون المالية في الولاية[٤] .

وسار الأخشيد على نهج الطولونيون ، ولكن هذا ليس معناه أن ابن طولون والإخشيد كانا يجمعان بين منصبي الوالي وعامل الخراج ، وإنما أصبحوا هم الذين يختارون أو يفصلون هؤلاء العمال بعد أن كان هذا يتم من قبل الخلفاء العباسيين ، لأننا نجد عمال الخراج في العهد الطولوني مثل محمد بن هلال وأبي أيوب ، وفي العهد الإخشيدى استأثرت أسرة الماذرائيين بهذا المنصب ، ولقد تعرض كثيرون منهم لنقمة كل من الطولونيين والإخشيديين لما جمعوه من مال من عملهم في الخراج[٥] .

١- ابن طبا طبا : الفخري ، ص ٢١٦/ ٢٢٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٨ .
٢- الكندي : ولاة مصر ، ص ٢٠٨ .
٣- الكندي : ولاة مصر ، ص ٢١٤ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ .
٤- حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، هويدا رمضان : المجتمع جـ ١ ، ص ٢٥٤
٥- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٣١٤ ، حسن محمود ، سيدة كاشف : عصر الطولونيين والأخشيديين ، ص ٢٢ .

أما في عصر الدولة الفاطمية فنجد أن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي قد وضع كل أموره المالي ومنها أعمال الخراج في يد يعقوب بن كلس ، ومعه عسلوج بن الحسن [١] .

صاحب البريد :

نحن نعرف أن الرسول ﷺ والخلفاء كانوا يتبادلون الرسائل مع الملوك والأباطرة وغيرهم من عمالهم وموظيفهم وقد أحكم نظام البريد في العصر الأموي .

أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من وضع البريد لوصول الأخبار إليه بسرعة [٢] وتبعه في ذلك الأمويين ، ويذكر أن الخليفة عبد الملك بن مروان ٦٥/٨٦هـ - ٦٨٤/٧٠٥م قام بمسح الطرق أي قياسها ووضع حدود على كل مساحة قدرها ميل ، كما أنه قام بتعمير أربعة طرق تخرج من إيلياء (أي بيت المقدس) ومن دمشق [٣] .

وفي العصر الأموي أصبح للبريد ديوان عرف باسم (ديوان الرسائل) [٤] وبقي هذا الاسم في العصر العباسي ليدل على هذا الديوان ، وزاد اهتمام العباسيين بالطرق وتعبيدها، وإقامة المحطات البريدية لراحة ناقلي البريد وتبديل خيولهم ، حتى صارت هكذا ، ومن بغداد مركز تتشعب منه الطرق إلى جميع الجهات وكانت جميع الطرق تؤدي إلي بغداد[٥] . ولم يكن البريد نظاما يستعمله العامة من الشعب وإنما كان نظاما حكوميا رسميا [٦] .

١- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٤١ ، جمال الشيال : مصر في العصر الفاطمي ، ص ٤٣٩ .
٢- القلقشندي : صبح ، جـ ١٤ ص ٣٦٨ .
٣- أحمد عبد الرزاق : تاريخ وأثار مصر الإسلامية ، ص ١٤٠ .
٤- عبد المنعم ماجد : الحضارة في العصور الوسطى ، ص ٣٦ .
٥- حسن الباشا : دراسات في الحضارة في العصور الوسطى ، ص ٣٦ .
٦- سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ، ص ٢٨ ، عبد المنعم ماجد : العصر العباسي الأول ، جـ ١ ص ١٤ .

وقد استعمل الخلفاء نظام البريد في أول الأمر لنقل أخبار الولاة وكبار الموظفين إليهم ، وللتجسس على عمالهم وخاصة خلال العصر العباسي(١) .

وكانت مهام صاحب البريد تعنى الخلافة وتعنى عمال الخليفة أكثر مما يعنى مصر نفسها ، ولذا كان صاحب البريد يتدخل في شئون رجال الحكم وعلى فكان يتدخل في عمل القاضي مما جعل القاضي يستعفى عن القضاء في بعض الأحيان (٢) .

وكما كان للخلفاء أصحاب بريد ينقلون إليهم أخبار ولاة الأقاليم كان للوالي أيضا عامل بريد ينقل له أخبار عمال الأقاليم بمصر ، فعلي سبيل المثال نجد الوالي قرة بن شريك في زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك ٩٠/٩٦هـ - ٧٠٩/٧١٤م يرسل كتاب إلي بسيل صاحب أشقوه – إحدى كور الصعيد واسمها الآن كوم اشقا بين أبو تيج وطهطا بأسيوط يطلب منه أن يرسل التعليمات الخاصة بدفع الجزية إلى صاحب كورته المقصود بها الموظف المشرف علي مالية الكورة إلي موازيت القرى أي رؤساء ومشايخ القري (٣) .

كذلك كان للوالي بمصر كتبة كثيرون يستعين بهم في تدوين رسائله إلي الخليفة وإلي عمال أقاليه وكانوا يسجلون أسماءهم في نهاية هذه الرسائل (٤) ، وهذا يدل على وجود ديوان رسائل أو بمعني أخر ديوان إنشاء يؤكد القلقشندي وجود ذلك منذ الفتح حتى نهاية الدولة الطولونية وإن أشار إلى قلة أهميته(٥) ، وقد تولي البريد في مصر أثناء الدولة الطولونية الحسن بن مهاجر.

صاحب الطراز :

عني المسلمون في مصر الإسلامية بصناعة النسيج منذ الفتح الإسلامي لها وعملوا علي تقدمها وازدهارها ، حيث بقيت هذه الصناعة في يد أهل البلاد سواء من اعتنق

١- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ١٤ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٢٨ .
٢- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٣٨٤ .
٣- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٢٩ .
٤- أحمد عبد الرازق : تاريخ وأثار مصر الإسلامية ، ص ٤١ .
٥- القلقشندي : صبح ، جـ ٤ ص ٢٨ .

الإسلام منهم أو من بقي علي دينه [1] . واحتكرت الحكومة على مدى العصور المختلفة صناعة النسيج وكانت هناك مصانع حكومية تسمى طراز وهي نوعان :

الأول طراز الخاصة ، حيث كانت تصنع المنسوجات الخاصة للخلفاء والأمراء والولاة والوزراء والقضاة وغيرها من الشارات والأعلام والفساطيط .

الآخر :طراز العامة وكانت تخضع لإشراف الحكومة ومراقبتها [2] . وكانت تنتج الأقمشة اللازمة للشعب .

وكان يشرف على دار الطراز الخاصة (المعامل – المصانع) [3] رجل من أعيان المستخدمين من أرباب العمائم والسيوف [4] أطلق عليه صاحب الطراز أو ناظر الطراز ، وكان ينظر في أمور الصباغ والحاكة في دور الطراز في الإشراف على دور الطراز موظف آخر أطلق عليه متوكل بالطراز . حيث كان بكل إقليم من الأقاليم المصرية موكل بالطراز خلال القرون الإسلامية الأولي [5] ، مثل طلخا وأسيوط ، وأخميم ، والفيوم ، والقاهرة ، والإسكندرية ، وقد أشار القلقشندى إلي وجود الطراز بالإسكندرية خلال العصرين الأموي والعباسي [6] ، ومن أصحاب الطراز في العصر الإخشيدي : جابر ، وشفيع ، وبكير ، وأبو يزيد ، وعبيد ، وفائز وقد وصلت إلينا أسمائهم على قطع النسيج المختلفة من الكتان ولا تزال محفوظة بالمتحف الإسلامي بالقاهرة [7] .

١- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٣٣٥
٢- زكي محمد حسن : الفن الإسلامي ، ص ٨٧ ، ٨٨ .
٣- البلاذري : فتوح البلدان ، جـ ١ ص ٢٨٣ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٩٩ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٦٩ ، ارنست كونل : الفن الإسلامي ، ص ٥١ ، ٥٢ .
٥- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٤ ص ٧ ، صفيه علي محمد : مدن مصر الصناعية ، ص ٣٤٣ .
٦- جروهمان : أوراق البردي ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف ، جـ ٣ ص ٩٩٥ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ١٨١
٧- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ١٨٠ ، ١٨٩

وقد بلغ صاحب الطراز مكانة مرموقة خلال العصر الفاطمي حيث كان من أعلى الموظفين مقاما وأحسنهم راتبا وكان له مساعدون في مصانع النسيج بكل إقليم وكان له مقر رسمي ومراكب حكومية ينتقل بها في النيل [١].

ولما تعددت الدول وضعفت ، تعطلت وظيفة ديوان الطراز وكانت بعض الدول الإسلامية كدولة المماليك إذا احتاجت إلى الطراز، صنع لها ما تحتاج إليه في دور صناعة لا تملكها [٢].

متولي دار الضرب :

أسست في مصر دار لضرب النقود على يد أحمد بن طولون [٣] حيث ضربت الدنانير التي عرفت بالأحمدية وامتازت بعيارها الجيد [٤] وكانت السكة [٥] من شارات الملك [٦]

ويبدو أن دار الضرب لم تكن كبيرة أو معتمدة في نظامها ، حيث كان يعمل فيها نفر قليل من الموظفين يعرف بعضهم باسم المعدلين ، ويعرف الآخر باسم السباك وهو الذي يختص بإعداد السبائك المعدنية للسك [٧] ، وكذلك النقاش وهو المكلف بنقش المسكوكات وصيانة رسومها وتصميمها وكان يطلق عليه الطباع أو الفتاح [٨] ، وكذلك الضراب بمعنى الطباع في أول أمر تعريب النقود وهناك الناقد ، والمعدل والصانع الذي يقوم بصنع الصنج الزجاجية الخاصة بالنقود داخل دار الضرب [٩] ، وكل هؤلاء الموظفين بدار الضرب كانوا

١- القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٣ ص ٤٨٢ ، المقريزي : جـ ١ ص ٤٦٩ .
٢- ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٧ .
٣- البلوي : سيرة بن طولون ، ص ١٩٦ .
٤- المقريزي : كتاب النقود القديمة الإسلامية ، ص ٥٧ .
٥- السكة : هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بهما بين الناس بطابع جديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة ، وذلك بعد تقدير المعادن المستخدمة في سك العملة ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٢ ، ١٨٩ .
٦- ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٣ .
٧- ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٢٣٨ ، بن بعرة : دار الضرب ، ص ٩٠ .
٨- الهمزاني : الجوهرتين العتيقتين و ص ١٨٧ ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، جـ ٣ ، ص ٢٨٩ .
٩- حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٥٤٣ ، جـ ٢ ص ٦٩٩ .

تحت إشراف صاحب دار الضرب أو ناظر دار الضرب ومتولي دار الضرب الذي كان له سلطة مباشرة على العمال في دار الضرب مما لا يتعارض مع إشراف القاضي من الجهة الإدارية[١]

وكان يعاونه في الإدارة على دار الضرب عدد من الإداريين يأتي في مقدمتهم المشارف وهو المختص بمراقبة محتويات مخازن الدار من الذهب والفضة والنحاس ، وآلات السك وصنع العيار وغيرها [٢] ، والشاهد وكانت وظيفته تتمثل في مشاهدة جميع متعلقات الدار بجانب كتابة البيانات اللازمة في السجلات التي يشهد عليها ويوقع على ما رأي وشاهد [٣] .

ويبدو أن موظفي دار الضرب كانوا ينتقلون مع الأمير في بعض الأحيان ويلبون طلبه وموافاته إلي حيث يكون ، فإن نقود العصر الطولوني ضربت في مدن مختلفة مثل مصر ودمشق وحران وحمص وحلب وإنطاكية والنقود الإخشيدية في مصر والفسطاط وفلسطين والرملة ودمشق [٤] .

ويبدو أن دار الضرب خلال العصر الإخشيدي كانت معطلة ، حيث تم للفاطميين دخول مصر حين أمر جوهر الصقلي بفتحها وضرب فيها سكه باسم المعز لدين الله الفاطمي ، وظلت هذه الدار تؤدي عملها إلى أن أنشأت دار ضرب أخري في عهد الأمر بأحكام الله الفاطمي [٥] ، حيث صار ما يضرب باسمه في ستة مواضع ، القاهرة ومصر وقوص [٦] وعسقلان وصور والإسكندرية [٧] ، وكانت دار الضرب من المنشآت التى اهتم بها الخلفاء الفاطميون فأسندوا الإشراف عليها للقضاة تعظيما لشأنها بجانب ما يسند

١- بن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص ٣٣ .
٢- بن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٠٢ .
٣- بن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص ٣٤ .
٤- سيدة كاشف : عصر الأخشيديين ، ص ١٩٢ .
٥- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٤ ص ٥٣ .
٦- يذكر المقريزي : "أن الأمير مؤيد الملك تولى قوص سنة ٥١٦هـ وأمر أن يبني فيها دار ضرب ، وضربت بها دنانير ودراهم وصار كل ما يصل من اليمن والحجاز من دنانير وغيرها يضرب بهذه الدار" ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ص ٩٣ .
٧- المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٢ ص ٩٤ .

الخلفاء الفاطميون فأسندوا الإشراف عليها للقضاة تعظيما لشأنها بجانب ما يسند إليهم من وظائف واختصاصات وكان السبب في ذلك هو ضمان شرعية وزن الدنانير والدراهم والتأكد من عدم غش الذهب (١) .

المحتسب :

الحسبة من الوظائف الدينية ، وهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله (٢) ، وهو فرض على القائم بأمور المسلمين وله سند شرعي في القرآن الكريم في قوله : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٣) ، وما لبث نظام الحسبة أن تطور وتعدى ذلك إلى واجبات عملية تتفق ومصالح المجتمع وبخاصة سكان المدينة حيث كان معظمهم من أرباب الحرف والتجارة .

وكان يشترط في من يتولى وظيفة الحسبة أن يكون مسلما ، حرا ، بالغا ، عاقلا ، عالما بالأحكام الشرعية ، فقيها ، عادلا ، عفيفا عن أموال الناس ، متورعا عن قبول الهدية من أرباب الحرف والصنائع ، متصفا بالرفق ولين القول وطلاقة الوجه والصبر ، فطنا لا يرتشي .

- ويجب أن يكون بارعا في الاجتهاد (٤) .
- وأن يكون مواظبا على سنة رسول الله ﷺ من قص الشارب ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظافر ، ونظافة الثياب ، والتعطر بالمسك وغير ذلك .(٥)
- ويجب على المحتسب أن يعمل بما يعلم ، ولا يكون قوله مخالفا لفعله حتى لا يتعرض لسخرية الناس من ناحية ، وتكون دعوته مقبولة من ناحية أخرى لأنه لا

١- القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ، ص ٤٦٢ .
٢- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٠٦ .
٣- سورة آل عمران : من الآية ١٠٤ .
٤- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٣٧ .
٥- الشيرزي : نهاية الرتبة ، ص ٨ .

يجوز أن يدعو لشيء[1] يفقده ، وأيضا ليتجنب قوله تعالي في ذم مثل هذا ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾[2]

- كما أشترط أن يكون مرتب المحتسب من بيت المال ، وكان له زي مميز حيث كان يرتدي زي العلماء [3].

- ويجب أن يكون عالما بالمنكرات الظاهرة من أجل الوصول إلى إنكارها وأن يكون عارفا بأصناف المعايش والمهن والحرف بأنواعها المختلفة ، وله خبرة في الموازين والمكاييل ملما بوحدات الأذرع المستعملة في المقاييس حتى لا يخفي عليه حيل الباعة والصناع في الغش ، وحتى يميز بين الصحيح وغيره ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان المحتسب فطنا ويقظا[4].

- وكان يشترط في المحتسب أن يكون مأذونا من أولي الأمر ، حيث لا تحجب الحسبة بدون أذن أو تفويض من السلطان[5].

ولم تكن وظيفة الحسبة في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى العصر الطولونى وظيفة مستقلة ، وإنما كان يقوم بها الولاة أو أصحاب الشرطة أو عمال الخراج والقضاة[6].

وقد ساعدت أوضاع مصر السياسية وتطور أحوالهما الاقتصادية في العصر الطولونى على تطور وضع الحسبة ومكانها ، فيذكر الكندي : "أن القاضي محمد بن عبده الذي تولي القضاء في مصر من قبل خمارويه سنة ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م قد جمع مع القضاء النظر في المظالم والمواريث والأحباس والحسبة"[7].

١- ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ١٢ .
٢- سورة البقرة : من الآية ٤٤ .
٣- سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٦ .
٤- ابن تيمية : الحسبة في الإسلام ، ص ١٠ ، سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٠٦ .
٥- سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٠٧ .
٦- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام .
٧- الكندي : الولاة والقضاه ، ص ٤٨٠ .

وفي سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م ولى محمد بن جعفر القرطى على الحسبة ثم على الخراج في مصر [١] ، وهذه أول إشارة إلى تنصيب محتسب مستقل في مصر الإسلامية .

ويذكر بن زولاق : "أن محمد بن جعفر بن سلام كان من المحتسبين الذين تولوا الحسبة في مصر خلال العصر الإخشيدي ، وكان الوزير هو صاحب الرأي الأعلى في اختياره" [٢] .

ومن المحتسبين في العصر الإخشيدي صدفة بن الحسن الصدفي ، وكان محتسب الفسطاط ، توفي سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م[٣]،ويذكر أبو المحاسن أن أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن محرم كان محتسبا على البلاد ، وذكره ضمن وفيات سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م[٤]

أما عن الحسبة خلال العصر الفاطمي، فنجد أن الحسبة في مصر كانت تابعة لحسبة بغداد قبل العصر الفاطمي،ولما كان الفاطميون خلفاء مستقلين صارت القاهرة مقرا للحسبة الفاطمية، وأصبح للمحتسب الحق في اختيار النواب عنه في جميع أعمال الدولة [٥] .

وكانت تولية المحتسب تصحب برسوم ضخمة تشبه ما كان لأرباب الوظائف الكبار في الدولة ، وجرت العادة أن يقرأ سجله في جامعي القاهرة ومصر فكان يخرج من القصر إلي الجامعين في موكب ضخم ليطوف خلال الحارات وبين يديه خلع للخليفة [٦] .

وكان محتسبو العصر الفاطمي يشتركون في المواكب والاحتفالات الدينية في شهر رمضان و ممن تولي الحسبة في مصر خلال العصر الفاطمي أبو جعفر الخرسانى الذي عينه

١- ابن سعيد : المغرب ، ص ١٥٤ ، هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية . ص ٢٦٥ .
٢- ابن زولاق : أخبار سيبويه المصري ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٢٩ .
٣- هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، ص ٢٦٦ .
٤- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٤ ص ٢٠ .
٥- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٤٦٣ .
٦- عبد المنعم ماجد : نظم الفاطمين ، جـ ١ ص ١٦٣ .

جوهر الصقلي سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م بدلا من المحتسب السني[١] ، ثم عين المحتسب سليمان بن عزة سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م[٢] .

وفي عهد المعز لدين الله الفاطمي عين على الحسبة يعقوب بن يوسف بن كلس ، وعسلوج بن الحسن[٣] ، وتولى الحسبة خلال عهد العزيز بالله المحتسب الحسين بن عبد العزيز[٤] ، وخلال عهد الحاكم بأمر الله تولى على بن سعد ، ثم تولى الحاكم بأمر الله بنفسه أمور الحسبة في مصر[٥] ، ثم تولى غبن الصقلي شئون الحسبة بجانب شئون الشرطة في مصر والقاهرة والجيزة ، وذلك سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م[٦] .

وعن مهام المحتسب فهي متعددة حيث نرى أنها شملت مناحي الحياة المختلفة ، ففي الناحية الاقتصادية كان عليه مراقبة الأسواق والحوانيت ، من حيث جودة السلع ، وضبط الأسعار ، والموازين ، ومنع الاحتكار ، وإلزام التجار بالتعامل بالنقود المتداولة في الأسواق ، ومراقبة الباعة الجائلين ، وفحص الأطعمة والمشروبات التي تباع بالطرقات ، ومراقبة المخابز ، ومراقبة الشوائين والطباخين والعطارين والنحاسين والحدادين ، والخياطين للاطمئنان على عملهم[٧] .

وعن مهام المحتسب الدينية ، كانت مهمته هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من حيث إقامة الشرع وإحياء السنة ، فكان يطبق الشريعة على من يفطر في شهر رمضان، وعلى النساء المطلقات اللاتى لا يراعين العدة عند زواجهن للمرة الثانية[٨] ، وراقب الجنائز حيث حرص على أن تسير وفقا لما نصت عليه الشريعة ومن مهامه أيضا الإشراف

١- ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ، ص ٥٢ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٨٧ ، ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ص ٥٢ .
٣- ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٤٥ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٨٧ ، ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ص ٥٢ .
٥- سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ٧٥ .
٦- سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ٧٥ .
٧- الشيزري : نهاية الرتبة ، ص ٢١ ، ٢٢ ، ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ٢٩١ ، سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ٢٤١ .
٨- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٧ .

على المساجد وتنظيفها ، ومنع دخول الصعاليك للمساجد وكان يتحرى الدقة فى اختيار أئمة المساجد ، وكان يأمرهم بعدم الإطالة في أداء الصلاة ، وكان يحث الناس على أداء الصلاة وقت الآذان[١] ، وكان يختبر المؤذنين في الوقت وينهاهم عن التغني والتطويل في الآذان ، وكان يمتحن الوعاظ والقراء فمن أجاب أجازله ، ومن لم يجب منعه من العمل في هذا المجال[٢] .

أما عن المهام الصحية للمحتسب ، فكان يشرف على أداء عمل الأطباء والكحالين والمجبرين وغيرهم وغيرهم ، وكان ينبه على الأطباء بعدم إعطاء مرضاهم أدوية لا يستطيعون تناولها أو مغشوشة تسبب لهم ضررا [٣] ، وكان يراقب الأسواق وحوانيت الأطعمة ويكشف على الأطعمة ويراقب صحتها وما يحدث بها من غش أو تلف ، وكان يأمر باعة الطعام بتغطية أوانيهم وحفظها من الذباب والهوام بعد غسلها بالماء الحار ، وكان يراقب المخابز والأفران ، ويأمر العجان بارتداء ملابس خاصة تمنع سقوط العرق داخل البحر ، وأن ينظفوا قربهم ، وتغطيتها ، وكان يراقب الأزيار والأسبلة ، ويأمر بنظافتها[٤] ، وكان يراقب الحمامات العامة ويأمر ضامن الحمام أن ينظفه ويغسله بالماء الطاهر ، وأن يقوم بتبخير الحمام بالفحم واللبان والبخور ، وكان يمنع دخول المصابين بأمراض جلدية الحمامات العامة[٥] .

أما عن دور المحتسب في الحياة الاجتماعية ، فقد عمل على راحة أفراد المجتمع والحفاظ عليهم وظهوره بالمظهر اللائق في عاداته وتقاليده ، حيث كان يشرف على الأخلاق الحميدة ، وعلى الآداب العامة ويمنع اختلاط الرجال بالنساء في المنتزهات والأسواق

١- سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٤٣ .
٢- ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ١٧١ .
٣- أحمد عيسي : تاريخ البيمارستانات ، ص ٥٧ ، ٥٨ .
٤- ابن الأخوة : معالم القرية ، ص ٤٧ ، المقريزي : أغاثة الأمة ، ص ٤٧ ، سهام أبو زيد : الحسبة ص ٢٠٤ .
٥- ابن بسام : نهاية الرتبة ، ص ٧١ ، سهام أبو زيد : الحسبة ، ص ١٢٣ .

والطرقات[١] ، وكان أعوانه يمنعون النساء من الجلوس في الطرقات أو الأزقة التي يعبرها الرجال ، وحرص المحتسب على منع العادات القبيحة التى كان النسوة يفعلنها أثناء تشييع الجنازة ، وزيارة القبور ، وكان يلزم السقاءين بارتداء سراويل زرقاء سميكة ، وغيرها من الأمور[٢] .

وكان المحتسب يفرض عقوبات تتماشي مع حجم المخالفات التي يرتكبها بعض الأفراد ، منها عقوبات مادية وأخرى غير مادية مثل المصادرات والوعظ والإنذار والردع أو التعزير والتوبيخ والجلد ، أو الحبس والضرب والتشهير[٣] .

الدواوين[٤] :

لم يفرض الرسول ﷺ ولا أبو بكر الصديق ﷺ للمسلمين عطاء مقررا ولكن كانوا إذا غزوا وغنموا أخذوا نصيبا من الغنائم وفقا لما قررته الشريعة لهم وإذا ورد إلى المدينة مال من بعض البلاد أحضر إلى مسجد الرسول ﷺ وفرق فيهم على حسب ما يراه ، وجرى الأمر على ذلك خلال عهد أبو بكر الصديق ﷺ .

ولما كانت سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ رأى أن الفتوح قد توالت والأموال قد زادت ، فرأى التوسعة على المسلمين وتفريق تلك الأموال ولم يكن يعرف كيف يضبط ذلك ، فأشار عليه جماعة من المسلمين الفرس بالأخذ بنظام الدواوين عن الدولة الفارسية ، ففطن الخليفة عمر ﷺ لذلك وكان أول من دون الدواوين[٥] ورأي أن يجعل العطاء على حسب السبق في الإسلام ، ثم استخدم الكتاب في الدواوين وكان معظمهم من أهالي البلاد المفتوحة ولذلك استخدم فيها لغات غير العربية ، فكان ديوان

١- الشيرزي : نهاية الرتبة ، ص ١٩ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٤٦٤ .
٣- ابن تيمية : الحسبة ، ص ٣٨ ، الشيزري نهاية الرتبة ، ص ٥٩ .
٤- الدواوين : مفردها ديوان وهي كلمة فارسية كانت تعني في أول الأمر السجن الذي يكتب فيه ما يختص بشئون الإدارة ثم أصبحت تدل علي المكان الذي يعمل فيه الكتاب – جمع كاتب – ولهم رجال مدنيون من أرباب الأقلام ابن خلدون : المقدمة ص ١٩٢ .
٥- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٨٣ .

الشام يكتب بالسريانية وديوان مصر يكتب بالقبطية وديوان فارس والعراق يكتب بالفارسية (١) .

ولذلك أصدر عبد الملك ابن مروان قراره بتحويل هذه الدواوين إلى اللغة العربية بدلا من اللغات المحلية وكان ذلك سنة ٨٧هـ/ ٧٠٦م (٢)

وكان عمل الدواوين عموما في الإدارة المركزية والإدارة المحلية ، ففي الإدارة المركزية شمل التراسل وشئون المال ، وفي الإدارة المحلية شمل إدارة الولايات (٣) .

ومن أهم الدواوين بمصر ...

ديوان الخاص (ديوان الإنشاء) :

كانت تصدر عنه الرسائل والمكاتبات ويعرف بديوان الإنشاء ، وقد أنشأه الطولونيون بعد أن اتسعت دائرة أعمالهم وازدهر نشاطهم في عهدهم ، ولم يعمل ولاة مصر قبل العصر الطولوني على إنشائه بل اكتفوا باتخاذ بعض الكتاب لكتابة الرسائل التي يريدون إرسالها إلي الخلفاء وغيرهم ، وكان أول من تولي ديوان الإنشاء في عهد أحمد بن طولون أبو جعفر محمد ابن أحمد ابن مودود المعروف بابن عبد كان (٤) ، ومن الكتاب الذين ظهروا في عهد الطولونيين جعفر بن عبد الغفار المصري الذي اتخذه ابن طولون كاتبا له (٥) . وكان الأمير أحمد بن طولون يفضل الكاتب المصري على الكاتب العراقي لأنه يرى أن ذلك أصلح للبلد .

أما خلال العصر الإخشيدي فكان بعض الكتاب الذين أسندت إليهم وظيفة الكتابة ممن يشتغلون بالأمور السياسية ، ولذا خلط الناس بينهم وبين الوزراء ، أما الفريق

١- ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٩٢ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ١٥٨ .
٣- الكندي : الولاة ، ص ٨٠ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ١٧٥ .
٤- عبد المنعم ماجد : الحضارة الإسلامية ، ص ٣٦ .
٥- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ٣٩ .

الآخر فكان يعمل في تحرير الرسائل فقط ، وهؤلاء كانوا يؤلفون ديوان الإنشاء ومنهم علي بن محمد كلا ، وكان الإخشيد عظيم الثقة به [1] .

ومن كتاب العصر الإخشيدي أيضا محمد بن عبد الرحمن الروذباري حيث كان كاتبا لكافور [2] ، والكاتب إبراهيم بن عبد الله بن محمد النجيرمي [3] .

أما خلال العصر الفاطمي فكان ديوان الإنشاء أهم دواوين الإدارة وهو يلي الوزارة في الأهمية ، وزادت أهميته عما كان عليه في عهد الطولونيين والإخشيديين وذلك لأن مصر أصبحت مركزا للخلافة وصار الخلفاء في حاجة إلي القيام بدعاية واسعة لسياستهم ومذاهبهم وكان يتولى هذا الديوان كاتب يقال له "صاحب ديوان الإنشاء" وفي بعض الأحيان كان يتولى إدارة البريد[4] .

وكان ضمن الدواوين ديوان الخراج وسبق ذكره وكذلك ديوان البريد ، وكانت هذه الدواوين يديرها عدد كبير من الموظفين وبالذات من الموظفين الأقباط الذين اكتسبوا خبرة طويلة في الأعمال الإدارية ، وقد استمر هذا الوضع في مصر منذ الفتح الإسلامي لها حتى خلافة الوليد بن عبد الملك الذي أمر سنة ٨٧هـ/٧٠٦م واليه على مصر عبد الله بن عبد الملك بتعريب أنظمة الدواوين في مصر عندما أمر بنسخ السجلات الرسمية باللغة العربية. ومن هنا دخل العنصر العربي في إدارة الدواوين المصرية ، هذا بالإضافة إلى دخول أهل الذمة العاملين بالدواوين في الإسلام لكي يحتفظوا بوظائفهم الإدارية[5] .

التقسيم الإداري لمصر :

قبيل الفتح الإسلامي كان التقسيم الإداري لمصر كالآتي :

١- البلوي : سيرة بن طولون ، ص ١٥ .
٢- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ١٦٦ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ١ ، ص ٤٩٩ .
٤- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ص ١٦٧ .
٥- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ص ٢٦٠

قسمت البلاد إلى خمسة أقاليم إدارية كبرى هي :

١. الإسكندرية : وهى أهم هذه الأقسام وترتبط بالدولة البيزنطية ارتباطا وثيقا . وكان يقيم فيها الحاكم البيزنطي .

٢. شرق الدلتا : وتشمل المنطقة الواقعة شرق فرع دمياط حتى حدود مصر مع الشام .

٣ . غرب الدلتا : وكان يسمي هذا الإقليم بليبيا .

٤. مصر الوسطي : ويدخل فيها إقليم الفيوم .

٥. مصر العليا : وكانت تمتد حتى آخر حدود مصر الجنوبية [١]

وكانت مصر بعد الفتح الإسلامي مباشرة مقسمة إدارية إلي قسمين رئيسين هما: مصر العليا : الصعيد ، مصر السفلي : أسفل الأرض .

وكان هذان الإقليمان مقسمين إداريا إلى أقسام أو كور بلغ عددها ثمانين كورة [٢]تضم عدد من القرى والعزب ويرأس كلا منها "مازوت"[٣] ، وهو العمدة في وقتنا الحالي وعرف خلال العصر الطولوني باسم "العميد"[٤]

وكان حكام الأقاليم أو الكور يختارون من بين كبار القواد لدي الأمير وأعوانه ، وكان اختيار المازوت أو شيخ القرية غالبا يتم اختياره من أهالي القرية[٥].

أما المدن والأقاليم التى كان الأمراء يفتحونها في الشام فكان يعين عليها أمين من قبل الوالي وكان ذلك خلال العصرين الطولوني والإخشيدي[٦]، فعندما استولي أحمد بن

١- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٣ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٦ .
٣- مازوت : تقابل الكلمة البيزنطية ميز وتروس ، وهي تعني رئيس أو شيخ القرية .
Wiet : L'Egypte muslumane P. 124
٤- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ١٦٩ .
٥- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ص ١٧٠ .
٦- سيدة كاشف : حسن محمود : مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ، ص ٤٧ ، ١٨٢ .

طولون على مدينة الرملة عين عليها محمد بن رافع[١] ، فأستخلف أحمد بن دعباس على دمشق وولي فائدة لؤلؤ على الرقة[٢] .

وفي عهد محمد بن طغج الإخشيدي تولي على دمشق أخوه الحسن بن طغج وعبيد الله بن طغج ، كما تولي دمشق أيضا في العصر الإخشيدي فاتك الإخشيدي ، وشعلة بن الإخشيدي سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م ، وتولى الحسن بن طغج دمشق أيضا من قبل أخيه أنو جور سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م[٣] .

وعلى الرغم أن مصر كانت مقسمة إلى هذه الأقسام الإدارية إلا أن هذه الأقسام جميعها كانت تحت سلطة الوالي مباشرة ، حيث إن الولاة لم يمكنوا عمال الأقاليم من ازدياد نفوذهم أو الاستقلال بأمور أقاليمهم فقد كان الحكم في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى العصر الفاطمي مركزيا ، حيث كان الوالي يخضع مباشرة لسلطة الخليفة في المدينة أو دمشق أو بغداد أو القاهرة ، ولذلك كان الخليفة يختار ولاة الأقاليم من المخلصين له ويضعهم تحت نفوذه مباشرة [٤] .

أما التقسيم الإداري لمصر خلال العصر الفاطمي فكان كالتالي :

كانت مصر مقسمة إلى أربع ولايات كبري هي :

١. **ولاية قوص** : ويحكم متوليها جميع بلاد الصعيد .
٢. **ولاية الشرقية** : وتشمل الأراضى الواقعة شرق فرع دمياط حتى حدود الجزيرة العربية .
٣. **ولاية الغربية** : وتشمل جميع البلاد الواقعة بين فرعي دمياط ورشيد .
٤. **ولاية الإسكندرية** : ويضاف إليها البحيرة[٥] .

١- الكندي : ولاة مصر ، ص ٢١٩ ، البلوي : سيرة بن طولون ، ص ٩٣ .
٢- حسن محمود : مصر في عصر الطولونيين ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
٣- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ٣١ – ٢٣٩ .
٤- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٨ .
٥- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ص ٤٩٧ .

ويضاف إلى ذلك وجود ولاة على بعض المدن الأخري مثل مدينة القاهرة فكان لها وال كما تولي الفسطاط وال آخر، وتتمتع كل منهما بمكانة خاصة عند الخليفة غير أن مرتبة والي القاهرة كانت أعلى من مرتبة والي الفسطاط، كذلك كان لكل من تنيس وعيذاب وال يحكمهما لأهميتها التجارية(1).

ولما جاء بدر الجمالي إلى مصر وأخمد الفتن والثورات التي قامت بها وجه اهتمامه إلى تنظيم شئون الدولة، فأعاد تقسيم البلاد إداريا إلى واحد وعشرين عملا (2)، وقسم الأعمال إلي نواحي – مراكز – والنواحي إلي كفور وقرى(3).

وكانت الحكومة الفاطمية تختار موظفي الإدارة من بين ذوي الخبرات، وقد منحت الولاة في الأقاليم الأربعة الحرية في تعيين العمال على المدن والنواحي والقرى الداخلة في نطاق ولايتهم، كما أجازت لهم العناية بمرافق أقاليمهم دون الرجوع إليها(4).

القضاء :

كان النظام القضائي في الدولة الإسلامية يقوم علي أساس الشريعة الإسلامية أما النصاري واليهود الذين كانوا يقيمون بالولايات فكان لهم قضائهم الخاص بهم إلا إذا احتكموا إلي القضاة المسلمين، فكان عليهم أن يحكموا بينهم بالعدل، وكان القضاء من الأمور الخاصة بالخلافة فأخذ الخلفاء على عاتقهم الإشراف علي القضاء بأنفسهم أسوة بالرسول ﷺ، وبسبب انشغال الخلفاء بالفتوحات الإسلامية، والأمور السياسية، فإنهم فوضوا في القضاء وعينوا القضاة في الأقاليم، فعلي سبيل المثال كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ أول من استناب عنه بعض الأشخاص الذين يقومون عنه بالقضاء في الولايات الإسلامية وهو الذي عين أول قاض بمصر خلال ولاية عمرو بن العاص، وهو عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمي وذلك سنة ٢٣هـ/ ٦٤٤م (5)

١- جمال سرور : الدولة الفاطمية، ص ١٤٤.
٢- الخربوطلي : مصر العربية الإسلامية، ص ٢١٣.
٣- عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين، ص ١٣٠.
٤- جمال سرور : الدولة الفاطمية ص ١٤٤، يمنى رضوان : الأسرة الجمالية في عهد الدولة الفاطمية، ص ١٢٠.
٥- الكندي : الولاة والقضاة، ص ٣٠٠.

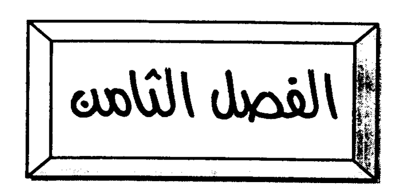
هذا وكان بعض القضاة يتم تعينهم من قبل الولاة ، وذلك بعد تفويض من الخليفة للوالي ، ومثال لذلك أن والي مصر عبد العزيز بن مروان ٦٥/٨٦هـ - ٦٨٤/ ٧٠٥م[١] ولي القاضي عبد الرحمن ابن حجيزة الأكبر قضاء مصر سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان[٢] .

وكان القضاة في مصر أكثر استقرارا في مناصبهم من الولاة ، ففي كثير من الأحيان كان القضاة يشغل منصبه في عهود ولاة مختلفين أو في عهود خلفاء مختلفين ، وكثيرا ما توفي بعض القضاة وهم في مناصبهم ، واستقرار القضاة في مناصبهم ساعد بطبيعة الحال على حسن سير العدالة[٣] .

وتشهد الأحداث التاريخية في عصر الولاة أن معظم القضاة كانوا يتسمون بالعدل والنزاهة والشدة في الحق ، وكان هناك أقلية من القضاة بعيدين عن النزاهة وجمع بعضهم من الرشوة مالا كثيرا[٤] ، وكان الوالي لا يتدخل في شئون القضاء ، حيث كان القاضي لا يرضى أن يتدخل أحد في أحكامه ، وكانت هذه الوظيفة تحاط بالهيبة والإجلال وكان لصاحبها نفوذ كبير حيث كانت سلطة القاضى تمتد إلى الأراضي التي تدخل تحت سلطة الوالي السياسية .

وكانت مجالس القضاء تعقد في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط[٥] وكان بعض القضاة يخصصون يوما في منازلهم للقضاء بين النصاري واليهود إلى أن جاء القاضي محمد بن مسروق في القرن الثاني الهجري فإذن لهم بالدخول في المسجد[٦] .

١- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٦٢
٢- الكندي : الولاة ص ٣١٤ ــ ٣٢٠
٣- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٦٣
٤- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٦٤ .
٥- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٦ ص ٤٨٧
٦- الكندي : الولاة والقضاء ، ص ٣٩



الجيـــش والأســـطـــول

الفصل الثامن

الجيش والأسطول

الجيش[1] :

لا يمكن دراسة الجيش في مصر الإسلامية مستقلاً عن الجيش الإسلامي الكبير فقد كانت الكتائب العربية في مصر فرقاً من جيش كبير هو جيش الإسلام .

وقد بدأ الجيش كمؤسسة مثل غيرها من المؤسسات في مصر الإسلامية بداية متواضعة ثم نمت حتى بلغت مرحلة متقدمة في جميع جوانبها .

ولما كان عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وكثرت الأعمال ، قام عمر ﷺ بتأسيس ديوان الجند سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م [2] ، وقيل سنة ٢٠هـ ٦٤٠م [3] وجعل للجند رواتب مخصصة وإعاشة مفروضة لأولادهم ، وحظر عليهم مزاولة الأعمال الأخرى "فلا يزرعون ولا يزارعون"[4] .

وكان الخليفة بحكم ولايته العامة قائداً للجيش، ولكن الخلفاء لم يقوموا بهذه المهمة إلا نادراً ، حيث كانوا ينيبون عنهم من يتحرون فيهم الرأي والشجاعة والنجدة والتريث والأمانة والاستقامة ، وغيرها من الصفات اللازمة للقيادة العسكرية[5] .

ومثال ذلك عمرو بن العاص الذي قاد جيش الفتح الإسلامي لمصر وكانت قيادة الجيش والولايات تعود إلى الوالي ، فكان اهتمامه يعود حول عدد الجيش ، ورواتبه وأمور معيشته ، وجهازه للحرب ونظم القتال وغير ذلك .

١- يطلق لفظ الجيش على الجند ، كما يطلق على جماعة من الناس أو الحرب أو السائرين إلى الحرب أو غيرها ، الزبيدي : تاج العروس ، ابن منظور : لسان العرب ، جـ ١ ص ٢ .
٢- الطبري : تاريخه ، جـ ٣ ص ٦١٣ .
٣- ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٨٠ .
٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٢١٧ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١١٤ .
٥- الطبري : تاريخه ، جـ ٣ ص ٤٤٥ .

وقد بدأت الخطوات الأولي في تنظيم الجيش العربي الإسلامي في عصر الراشدين ، وروي عن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : "إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض ، وقال أبو بكر ﷺ : ولما ذلك يا رسول الله ؟ ، قال : لأنهم وأزواجهم في رباط إلي يوم القيامة" [١]

وكان عمرو بن العاص أول من دون ديواناً للجند في مصر ، ثم دون عبد العزيز بن مروان تدويناً ثانياً ٦٥/ ٨٣هـ - ٦٨٤/ ٧٠٢م[٢] ، ودون قرة بن شريك ٩٠/ ٩٦هـ - ٧٠٨/ ٧١٤م التدوين الثالث سنة ٩٥هـ/ ٧١٣م ، ودون بشر بن صفوان ١٠١/ ١٠٢هـ - ٧١٩/ ٧٢٠م التدوين الرابع[٣] .

وكان الجند يثبتون في هذا الديوان حسب قبائلهم التي ينتمون إليها ، وكان أهل الديوان في مصر زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ٤١/ ٦٠هـ - ٦٦١/ ٦٧٩م أربعين ألف [٤].

وكان الجيش في مصر الإسلامية منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية من العنصر العربي في غالبيته ، أما خلال عصر الدولة العباسية جدت عناصر فارسية دونت في الديوان مع العرب ، ثم ظهر عنصر آخر طغي على العنصر بالله ٢١٨/ ٢٢٧هـ - ٨٣٣/ ٨٤١م [٥] وأثبتهم في الديوان ، وعلاوة على ذلك أن المعتصم أمر واليه على مصر في تلك الفترة كيدر نصر بن عبد الله ٢١٧/ ٢١٩هـ - ٨٣٢/ ٨٣٤م بإسقاط العرب من الديوان ففعل ذلك كيدر[٦] .

وكان عطاء الجند يغنيهم عن الاشتغال بحرفة أخري تشغلهم عن القتال والحرب وكان يراعي في تقدير العطاء ثلاثة وجوه : أحدها عدد من يعوله الفرد والثاني عدد ما عنده

١- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ص ٧٤ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٤ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٩٤ .
٣- الكندي : الولاة ، ص ٧٠ ، ٨٥ ، ٩٢ .
٤- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٥٦ .
٥- السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٢٠ .
٦- الكندي : ولاة مصر ، ص ٢١٧ .

من الخيل وغيرها ، والثالث ظروف المكان الذي يعيش فيه أهل الجندي من الغلاء والرخص(١) .

ولم يستمر عطاء الجند على حال واحد ، فالخليفة عثمان بن عفان ﷺ أول من زاد، ولكن هذه الزيادة لم تستمر بعده فبعض الخلفاء أبقاها والبعض منعها ، فعلي سبيل المثال نجد أنه عندما سافر عبد العزيز بن مروان والي مصر ٦٥/٨٦هـ - ٦٨٤/٧٠٥م إلى أخيه عبد الملك بن مروان سنة ٦٧هـ/٦٨٦م زاد عباس بن سعيد - صاحب الشرطة - في اعطيات الجند ، وعندما عاد عبد العزيز بن مروان قال له : "ما حملك على ذلك ؟" ، قال عابس : "أردت أن أثبت وطأتك ووطاة أخيك ، فإن أردت أن تنقصه ، فانقصه" . فقال عبد العزيز بن مروان : "ما كنا لنرد عليك شيئا فعليته"(٢)

وفي عهد الخليفة عمر بن العزيز ٩٩/١٠١هـ - ٧١٧/٧١٩م نجده يكتب إلي والي مصر أيوب بن شرحبيل ٩٩/١٠١هـ بزيادة عطاء الجند(٣) ، ثم يأتي بعد ذلك الخليفة يزيد بن عبد الملك ١٠١/ ١٠٥هـ - ٧١٩/٧٢٣م بمنع هذه الزيادة(٤) ، وأثناء ولاية جفص بن الوليد على مصر في ولايته الثانية ١٢٤/١٢٧هـ - ٧٤١/ ٧٤٤م صار عطاء الجند اثني عشر إردباً ، ويذكر الكندي : "أنه في خلافة مروان ابن محمد ١٢٧/ ١٣٢هـ - ٧٤٤/٧٤٩م قطع العطاء عن أهل مصر سنة ، ثم كتب إليهم كتابا يعتذر فيه ، ثم أرسل لهم بعطاء سنتين"(٥)

وكان العرفاء يتسلمون الاعطيات ويتولون تفريقها على الجند في أول كل سنة هجرية(٦) .

١- الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٦ .
٢- هويدا رمضان : المجتمع المصري ، جـ ١ ص ٢٨٢ .
٣- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٦٨ .
٤- الكندي : الولاة ، ص ٨٢ .
٥- الكندي : الولاة ، ص ٨٢ .
٦- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ٥٦ .

أما عن أعداد الجيش الإسلامي في مصر خلال عصر الولاة فنجد أنه زاد هذا العدد على مر الزمان ، ففي عهد معاوية بن أبي سفيان كان عتبة بن أبي سفيان قائد حامية الإسكندرية ٤٣ / ٤٤هـ - ٦٦٣/ ٦٦٤م وتحت قيادته ١٢ ألف جندي ، بينما كان جيش مصر كاملاً أثناء الفتح وبعده مباشرة يتراوح ما بين ١٢ ، ١٥ ألفاً من الجنود[١] .

وكان كل والي جديد يتولي مصر يصاحبه عدد من الجنود فيذكر أبو المحاسن : "أن حميد بن قحطبة عندما تولي مصر من قبل أبو جعفر المنصور سنة ١٤٣هـ/ ٧٦٠م ، دخلها ومعه عشرون ألفاً من الجند ، وعندما تولي مصر موسي بن يحي من قبل هارون الرشيد سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م ، قدم إليها ومعه عشرة آلاف من الجند"[٢] .

هذا وقد لاقي الجيش في مصر الإسلامية الكثير من اهتمام الولاة ، فنجد أن أحمد بن طولون ٢٥٤/ ٢٧١هـ - ٨٥٩/ ٨٨٤م ، كان من أجل أعماله هو الاهتمام بإعداد جيش قوى يعتمد عليه ، ويدين بالولاء له ، وذلك لرغبته في إيجاد قوات تأتمر بأمره ، فاستغل الظروف المحيطة بالخلافة العباسية حين خرج عيسي بن شيخ عامل فلسطين والأردن ، وأعلن عدم طاعته للخليفة العباسي واستولي على بعض المدن والأموال ، فكتب الخليفة المعتمد بالله العباسي إلى أحمد بن طولون أن يعينه في القضاء على عيسي بن شيخ ، وانتهز ابن طولون هذه الفرصة فأكثر من قواته وكون جيشاً بعد أن أمر الخليفة عامل الخراج أحمد بن المدبر بمده بالأموال اللازمة[٣].

وبذلك تمكن ابن طولون من إنشاء جيشاً قوياً قائماً في الحرب والسلام إذ كانت الحرب خرج لتحقيق أهدافه ، وإذا كان السلم كان عدته في إقرار الأمن وقمع الفتن الداخلية ، وأصبح لمصر الإسلامية جيشاً نظامياً لأول مرة مستقل عن الخلافة ويخضع لأميرها مباشرة[٤] .

١- سيدة كاشف : فجر الإسلام ، ص ٨٠ .
٢- هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، ص ٢٧٧ .
٣- حسن محمود : مصر في عصر الطولونين ص ٢٦ .
4 - Zaki Hassan : Les Tulunies, Paris, 1993, P. 165.

كان جيش مصر الإسلامية يتكون في غالبيته من العرب بجانب بعض العناصر الأخرى التي دخلت في الإسلام ، أما خلال العصر الطولوني فكان الجيش خليطاً من عناصر متعددة من الأتراك والسودانيين(١) ، ومن العرب أيضاً حيث استخدم منهم ما يقرب من ٧٠٠٠ من المتطوعين وقد بالغ ابن طولون في زيادة عدد الجيش ، حيث يذكر أن الجيش المصري في عهده بلغ نحواً من مائة ألف ، وأسند قيادته إلي ضباط أتراك وكان يدربهم تدريباً شاقاً ، يكبح جماح الفتنة في صفوفهم بالقسوة والعنف(٢) ، وساعدته الظروف حيث كانت فتوحاته وتوسعاته فتحاً لباب الرزق الواسع أمام جنوده مما جعله يغدق عليهم دون حساب ويدفع لهم مرتباتهم في حينها(٣) .

وخلال العصر الإخشيدي كان الجيش يتألف من أتراك وسودانيين ومغاربة ومماليك من أجناس مختلفة ، وبلغ عدد الجيش الإخشيدي أربعمائة ألف جندي في مصر الشام(٤)، وفي عهد كافور الإخشيدي ٣٥٥/٣٥٧هـ - ٩٦٥/٩٦٧م ضم إلي الجيش عدداً كبيراً من السودانيين(٥) .

وخلال العصر الفاطمي كان ديوان الجيش يتألف من قسمين هما : الأول ديوان الجيش ويتولى تفقد أحوال الجنود ، فمن نجح منهم في العرض عرضت دوابه فكان لا يثبت منها إلا الجيد ، ويهتم هذا القسم أيضا بأخبار الأجداد من حيث الحياة والموت والمرض والصحة وعمل أوراق أصحاب الجرايات ، والثاني ديوان الرواتب ويشمل أسماء كل مرتزق ، ويشمل راتب الوزير ، وحاشية الخليفة وأرباب الرتب ، وقاضي القضاة ، وخطباء الجوامع ، والشعراء وأرباب الدواوين ، والمستخدمين والموظفين في القصور(٦) .

١- حسن محمود : مصر في عهد الطولونيين ، ص ٢٨ .
٢- البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٩١ .
٣- ابن سعيد : المغرب ، ص ٩١ ، هويدا رمضان : المجتمع المصري ، جـ ١ ص ٢٧٨ .
٤- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ص ١٥٥ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ٢٥٢ .
٥- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٩٤ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٤٦ .
٦- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٩٤ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٤٦ .

أما عن فن القتال أو التكتيك العسكري فقد تطور مع تطوره فكان الجيش يتبع في أول الأمر نظام الصف في القتال(١) .

ويبدأ القتال بين الجيشان المتحاربان معتمداً على الشجاعة الفردية دون رابطة قوية بين وحدات الجيش ، ولكن اقتضت الضرورة المتعلقة بزيادة العدد وتنوع الأسلحة إلي اتباع نظام حربي آخر غير نظام المبارزة الفردية ، وهو نظام عرف باسم "التبعية"(٢) ، التي تعني عسكراً آخر وراء العسكر وعلى حسب الخطط الحربية كان الجناحان يجب نشرهما على نطاق واسع لتحاشي وقوعهما في الكمين(٣) .

وإلي جانب هذه الأنظمة التي كان يتبعها الجيش في القتال كان الجيش يتألف من وحدات ، وفي ذلك يذكر السعودي : "أن الجند ما بين الثلاث نفر إلى الخمسمائة يطلق عليهم "السرايا" وهي التي تخرج بالليل وإذ كانت تخرج بالنهار فهي "السوارب" **قال تعالي** : ﴿ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾(٤) ، وما زاد على الخمسمائة إلى دون الثمانمائة يطلق عليهم المناسر ، وأما الجيش فأقله ثمانمائة وإذا كان ما بين ٨٠٠ إلي ١٠٠٠ فهو الخشخاش ، وإذا بلغ ٤٠٠٠ فهو الجيش الجحفل وإذا بلغ ١٢٠٠٠ فهو الجيش الجرار"(٥) .

وكان الجيش يقسم إلي فرق وقد اقتبس العرب الكثير من أساليب الفرس أو البيزنطيين حتى إذا كان العصر الأموي فاقهم في القدرة العسكرية ، وبلغ الجيش الإسلامي قمة التنظيم خلال العصر العباسي ، حيث كان من أحسن الجيوش النظامية في العالم خبرة وكفاية وقدرة على القتال ، وكانت الوحدات تتمايز أحياناً بالأسلحة(٦).

١- يذكر ابن خلدون أن العرب إنما كانوا يعرفون الكر والفر ، ولكن روح الجهاد عند المسلمين ورغبتهم فيه ومن ثم قتالهم مع الأعداء كانوا يقاتلون زحفا ولذا اتبعوا أسلوب الصف ، وجاء في القرآن الكريم (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) سورة الصف الآية ٦٤ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .
٢- يقوم نظام التبعية على أساس تقسيم الجيش إلي مقدمة وقلب وميمنة وميسرة وساقة ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٠٤
٣- عبد المنعم ماجد : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص ٧٣ .
٤- سورة الرعد : من الآية ١٠ .
٥- المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، محمد بطاينة : في الحضارة الإسلامية ، ص ١١٦
٦- الطبرى : تاريخه ، جـ ٤ ص ١١ .

وكما تطور التكتيك العسكري تطورت أيضاً أسلحة الجيش فقد رأينا أن أسلحة الجيش الذي فتح مصر كانت بدائية فقد شملت الخيام ، والرايات بجانب الكوسات والطبول ، وكانت عدة الجيش أيضاً تضم الإبل والبغال للركوب وحمل الأمتعة والمواد وتضم الخيل للقتال ، وقد بلغت العناية بالخيل درجة كبيرة حيث حض الإسلام على إعداد العدة ورباط الخيل في سبيل الله .

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ... ﴾[1]

وشملت الأسلحة الدروع والحراب والقسي والسهام والسيوف للرجالة ، والسيوف والرماح والدروع للفرسان ، كما استخدموا الدبابات والمنجنيقات واستعملوا النفط أو النار الإغريقية[2] .

وكانت جميع هذه الأسلحة تخضع للتطوير والتهذيب حتى تكون فاعليتها أحسن وفائدتها أكبر ، وكان الجيش نفسه يؤخذ بالتدريبات ، وكان عرض الجيش واحداً من أساليب العناية به ورفع مستوى فعاليته القتالية ، ويذكر ابن عبد الحكم "أن المسلمون في مصر اتخذوا قضاء كانوا يدربون فيه خيولهم جعلوه ما بين نهر النيل وحتى منطقة نزولهم وسكناهم"[3] .

الأسطول :

الأسطول[4] الإسلامي يحيط بنشأته بعض الغموض وقد ساهمت مصر بنصيب موفور في إنشائه ، حيث كانت هناك الحاجة الماسة لوجود قوة بحرية دفاعية لمواجهة الخطر البيزنطي الماثل في ثغور المسلمين ، فاتخذ المسلمون في بادئ الأمر وسائل دفاعية كانت الأساس لما عرف بنظام الرباط ، الذي اعتمد عليه العرب في الدفاع البحري ،

١- سورة الأنفال : من الآية ٦٠ .
٢- كلود كاهن : تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ص ١١٦ .
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٣٢ .
٤- الأسطول . لفظ يوناني استعمله العرب في التعبير عن المراكب البحرية ، سعاد ماهر : البحرية ،ص ٢٧١ ، ٢٧٢.

وحطيت سواحل مصر – الإسكندرية ورشيد والبرلس وتنيس ودمياط – بقلاع ومحارس شحنت بالحاميات المرابطة[١] .

وقد بعث عمر بن الخطاب ﷺ إلي عمرو بن العاص أن لا يغفل أمر الإسكندرية ، وأن يكثف رابطتها ولا يأمن البيزنطيين عليها ، وكان يبعث في كل سنة غازية من أهل المدينة ترابط بها ، وكان عمرو قد جعل نصف الجند معه في الفسطاط ، وقسم النصف الثاني قسمين كان كل قسم يرابط ستة أشهر في رباط الإسكندرية[٢] .

ثم مضت مرحلة الدفاع البحري بوسائل برية عندما فشلت بيزنطة في استرداد الساحل الشامي سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م ، والمصري سنة ٢٥هـ/ ٦٤٥م لقوة الدفاع العربي الإسلامي[٣] .

ولذا كانت هناك الحاجة لركوب البحر ، فنجد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ يعزم على ذلك ويأذن لمعاوية بذلك مع اتخاذ الحيطة والحذر ، وألا يجبر الناس على ركوب البحر، وأن يعد الجيوش لتكون في السواحل تحرسها في حال غياب الجند في البحر ، فيرغب الناس في سكن السواحل وتكبر عمارتها ويشتد بها أزر سلاح البحرية ، ففعل معاوية [٤]

وصار البحر المتوسط منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ مطية للمسلمين ولم تهمل الدولة نظام المرابطة وتحصين السواحل ، وكان الاهتمام بالأسطول متفاوتاً بين عهد وعهد وبين بلد وبلد من ديار المسلمين ، وغزا المسلمون قبرص ورودس وصقلية وكريت وغيرهم وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر من قبل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ قد حارب البيزنطيين في معركة ذات الصواري سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م ، وتشير المصادر إلي أن معاوية بن أبي سفيان خرج مع أهل الشام ومصر في أسطول من مائتى مركب [٥]، وتولي

١- العدوي : **الأساطيل العربية** ، ص ١٢ ، سالم والعبادي : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص ٥ .
٢- ابن عبد الحكم : **فتوح مصر** ، ص ١٩٢ .
٣- البلاذري : **فتوح البلدان** ، جـ ١ ص ١٥٠ ، سالم ، العبادي : **تاريخ البحرية الإسلامية** ، ص ١٧ ، ١٨ .
٤- الطبري : **تاريخه** ، جـ ٤ ص ٢٦٠
٥- ابن عبد الحكم : **فتوح مصر** ، ص ١٩٠ .

قيادة هذا الأسطول عبد الله بن سعد مستهدفاً مهاجمة الدولة البيزنطية في أراضيها ، ولما بلغت هذه الأنباء الإمبراطور قنسطانز - أخو هرقل - اتخذ أهبته لمعركة حامية ، وأعد أسطولاً بلغت عدته ٥٠٠ سفينة ، وقيل ٦٠٠ سفينة[١] ، وفي رواية المسعودي بلغ عدة الأسطول البيزنطي ١٠٠٠ سفينة حربية فيها الخيل والخزائن والعدد يريد الإسكندرية[٢] ، وذلك انتقاماً من المسلمين لما أصابهم على يديهم في أفريقية .

والتقي الأسطولين في البحر وفي معركة عنيفة ، فربط المسلمون سفنهم بعضها إلي بعض وحولوا المعركة البحرية إلي معركة برية ، وقتل من الجانبين أعدادا هائلة ، حتى انتهت المعركة بانتصار حاسم للمسلمين ، وسميت هذه الغزوة ذات الصواري لكثرة المراكب وصواريها واجتماعها[٣] ، وبهذا الانتصار الحاسم ثبت للمسلمين السيطرة على حوض البحر المتوسط والتفوق علي البيزنطيين[٤] .

واستفادت الدولة في هذه الفترة من خبرات سكان مصر القدامي واستعانت بما عندهم من المراكب في الغزوات التي قامت في البحر[٥] ، إلا أن الدولة لم تركن إلي ذلك طويلا بل باشرت إقامة دور الصناعة البحرية ووظفت فيها خبرات الذين صاروا من رعاياها من الأمم ذات الخبرة البحرية السابقة[٦] .

وقد ازدادت أهمية الأسطول الإسلامي منذ أن أسس مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر ٤٧/ ٦٢هـ - ٦٦٧/ ٦٨١م[٧] من قبل معاوية دار صناعة بجزيرة الروضة سنة ٥٤هـ/ ٦٧٢م ، وكانت تسمي بدار صناعة الجزيرة ، ثم سميت بدار صناعة الروضة في

١- سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ٢٨ .
٢- المسعودي : التنبيه ، ص ١٣٥ .
٣- الكندي : ولاة مصر ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٩٠ .
٤- سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ٣١ .
٥- إبراهيم العدوى : الأساطيل العربية ، ص١٨ .
٦- البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ ١ ص ١٤٠ .
٧- عبد الله الشرقاوي : تحفة الناظرين يمن ولي مصر من الملوك والسلاطين ، ص ١٣٤ .

العصر الفاطمي ، وذلك نتيجة لمهاجمة البيزنطيين بلدة البرلس سنة ٥٣هـ/ ٦٧١م . وقتل جمع كثير من الناس[١] .

وكانت صناعة السفن في مصر ذات شأن عظيم خلال العصر الأموي حيث شجع الوليد بن عبد الملك الصناعة البحرية وازدهرت في عهده صناعة السفن في جزيرة الروضة والقلزم والإسكندرية[٢] .

وكان والي مصر قرة بن شريك ٩٠/ ٩٦هـ - ٧٠٨/ ٧١٤م ، يهتم بإنشاء الأسطول ، حيث كان يطلب من صاحب كوره أشقوه أن يرسل إليه عمالا وصناعا وملاحين للعمل في دور الصناعة والمساهمة في إعداد الأسطول المصري الحربي ، وكان يفرض على الكور قدرا من الأدوات والآلات اللازمة لصناعة السفن ، وكذلك يفرض عليها تمويل الملاحين الذين يشتغلون في الأسطول[٣] .

وعندما آلت الخلافة إلي بني العباس واتخذوا العراق مركزا للدولة ، بدا أن اهتمام العباسيين بأمور البحرية كان أقل من اهتمام الأمويين ، إلا أن حكام البلاد التي كانت تطل علي البحر المتوسط سواء من كان منهم نائبا عن بنى العباس أم من كان منهم أمير مستقلا عنهم قاموا بالاهتمام بأمور البحرية وحماية السواحل الإسلامية من الاعتداءات البحرية التى كانت تقع عليها .

وقد ازدهرت صناعة السفن بمصر خلال العصر العباسي ، فقد أبدي الخلفاء العباسيون ابتداء من عهد الرشيد اهتمامهم بالشئون البحرية ، حيث أقام من الصناعة ما لم يقم قبله ، وقسم الأموال في الثغور والسواحل ، وقمع الروم ، وعين حميد بن معيوف على سواحل بحر الشام ومصر وذلك سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥م ، فغزا جزيرة قبرص كما غزا جزيرة أقريطش[٤] .

١- سالم والعبادي : البحرية الإسلامية ، ص ٢٥ .
٢- محمد ضيف الله بطاينة : تاريخ الحضارة الإسلامية ، جـ ١ ص ١٢٥ .
٣- سيدة كاشف : فجر الإسلام ، ص ٩٢ .
٤- ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ١٥٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٨ .

وأمر المتوكل على الله العباسي علي الله العباسي ٢٣٢/ ٢٤٧هـ - ٨٤٦/ ٨٦١م بترتيب المراكب في جميع السواحل وأن تشحن بالمقاتلة[1] ، وأثناء ولاية عنبسة بن اسحق ٣٨/ ٢٤٢هـ - ٨٥٢/ ٨٥٦م ، على مصر من قبل المتوكل كان الاهتمام بأمر الأسطول وأنشأت الشواني[2] برسم الأسطول ، وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هي لغزاة البر ، وانتدبت الأمراء له الرماة فاجتهد الناس بمصر في تسليم أولادهم للرماية وجميع أنواع المحاربة ، وانتخب له العارفون بمحاربة العدو ، وكان لخدام الأسطول حرمة ومكانة خاصة [3].

وقام أحمد بن طولون نائب العباسيين في مصر ثم في الشام بتقوية القواعد والحصون الساحلية والاهتمام بإنشاء قوة بحرية يعتمد عليها في حماية سواحل مصر من جيش الموفق بالله أخي الخليفة المعتمد العباسي ، بجانب أنه كان يهدف إلي استخدام هذا الأسطول لصد غارات البيزنطيين على سواحل مصر والشام ، فاعتني ابن طولون بدار الصناعة في جزيرة الروضة ، حيث أسند الإشراف على إحدي دور الصناعة إلي أبي شجاع كامل وابن أسلم الحاسب [4] ، وأنتخب دار الصناعة بالروضة أنواعا كثيرة من السفن ، منها مائة مركب كبار ومائة مركب حربية سوى العلابيات والحمائم والعشاريات والصنادل وقوارب الخدمة[5] .

وورث خمارويه عن أبيه الاهتمام بالأسطول ، حيث زاد في عدد وعدة الأسطول[6] ، وفي عهد خلفاء خمارويه قل الاهتمام بالأسطول فكان عدته لا تتجاوز عددا محدوجا من السفن ، ولم يكن للقوة البحرية دورا في تاريخ الأسرة الطولونية ويدل على ذلك أن الخلافة

1- البلاذري : فتوح البلدان ، جـ ١ ، ص ١٩٣ .
2- الشواني : من أهم قطع الأسطول وأكبر سفينة ، وأكثر استعمالا عمل المقدمة للجهاد وكان قيامه فيها أبراج وقلاع للدفاع والهجوم ومفردها شونة .
3- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٩٣ .
4- البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٣٣٦ .
5- البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٧٨ .
6- سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ٥٨ .

العباسية لم تستعن للقضاء على الدولة الطولونية إلا بقوة صغيرة من الأسطول العباسي المرابط بثغر طرسوس بقيادة أمير البحر دميانة البحري[١] .

أما عن الأسطول في عصر الدولة الإخشيدية ، فقد أمر محمد بن طغج الإخشيدي بضم دار صناعة الجزيرة إلي دار خديجة بنت خاقان زوجة أحمد بن طولون علي ساحل الفسطاط ، وأصبح يطلق عليها اسم الصناعة الكبري ، وكان ذلك سنة ٣٢٥ هـ/ ٩٣٦م[٢] .

ولم تكن البحرية الإخشيدية على قدر من القوة حيث أنها لم تستطع الاشتراك في مساعدة أهل أقريطش [٣] أو الدفاع عن مصر ضد الغزو الفاطمي .

وقد اهتم الفاطميون بالأسطول على نحو يتماشي مع الأوضاع السياسية حيث ترتب على انتقالهم إلي مصر ، أن أصبحت الدولة الفاطمية تنقسم إلي قسمين ، شرقي يضم الشام ومصر ، وغربي يضم بلاد المغرب وكانت أساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالإسكندرية[٤] ودمياط وغيرها ، وقد بلغ عدد مراكب الأسطول الفاطمي في خلافة المعز ما يزيد على ٦٠٠ قطعة بحرية متنوعة ، وأنشأ دار لصناعة السفن في المقس[٥]، وانشئت المراكب البحرية بالقاهرة والإسكندرية ودمياط ، وصارت تنتقل إلى مدن الشام الساحلية مثل صور وعكا وعسقلان[٦]

ومن اهتمام الفاطمين بالأسطول إنشائهم ديوان الجهاد أو العمائر وخصص للأسطول ، وكان مقره دار صناعة الإنشاء بمصر[٧] ، وكان يختص هذا الديوان بإنشاء

1- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ١٠٩ .
2- المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ص ١٧ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ص ١٢ .
3- سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ٢٩٦ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٥٠ .
4- القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ص ٥١٩ .
5- أطلق المقس علي القرية القديمة التي عرفت عند الفتح الإسلامي باسم أم دنين ، وهي محلة ظاهر القاهرة على شاطئ النيل ومكانها اليوم محطة باب الحديد وشارع كلوت بك إلي حديقة الأزبكية . وظلت المقس ثغرا هاما للقاهرة ، كما ظلت دار صناعة حتى بداية العصر الأيوبي ، المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ١٨٥ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٣ ص ١٢٢ ، سعاد ماهر : البحرية الإسلامية ص ٣١٦ .
6- محمد بطانيه : تاريخ الحضارة ، ص ١٢٧ .
7- القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ، ص ٤٩٢ .

مراكب للأسطول ، وحمل الغلال السلطانية والأحطاب وغيرها والنفقة على رؤساء المراكب ورجالها[١] .

وقد تجدد هذا الديوان في وزارة رضوان بن ولخشي سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م[٢] ، وكان بمصر خلال العصر الفاطمي أربعة دور صناعة منها دار للصناعة في الإسكندرية[٣] التي كانت مقامة بها منذ الفتح الإسلامي ، وقد أنتجت هذه الدار عددا كبيرا من السفن لحساب معاوية بن أبي سفيان ، والثانية دار الصناعة بدمياط التي كانت تصنع فيها وفي دار صناعتي مصر والإسكندرية الشواني الحربية والشلنديات والمسطحات خلال العصر الفاطمي[٤] ، والثالثة دار صناعة الروضة وهي أول دار للصناعة أسست بفسطاط مصر ، حيث أقيمت كما ذكرنا سنة ٥٤هـ/ ٦٧٣م [٥] ، أما الدار الرابعة لصناعة السفن خلال العصر الفاطمي فهي صناعة مصر التي أقامها محمد بن طغج الإخشيدي في دار خديجة بنت الفتح بن خاقان سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م[٦] ، واتسعت دار صناعة مصر علي يد المأمون البطائحي إذ أضاف إليها الدار المعروفة بدار الزبيب وزودت بدهليز ممتد وكان يحرم على أحد من الناس الدخول من باب هذه الصناعة راكبا باستثناء الخليفة والوزير يوم فتح الخليج عند الاحتفال بوفاء النيل[٧] .

وقد جدد العزيز بالله الفاطمي دار صناعة المقس بالبناء ، وقامت هذه الدار بإنتاج أسطول ضخم كان يعده الخليفة في سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م ليرسله إلي طرابلس الشام بقصد عرقلة البيزنطيين ومنعهم من التوغل في بلاد الشام ، وتعرضت دار المقس للحريق وأتلفت عدد كبير من السفن علي يد عدد من الروم الذين قبض عليهم وقتل منهم البعض[٨] .

1- سالم والعبادي : البحرية الإسلامية ، ص ٨٧ .
2- المقريزي : الخطط ، ص ١٣٨ .
3- سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ١٠٩ ، ٤٩٤ .
4- ابن مماتي : قوانين ، جـ ١ ص ٣٤٠ .
5- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ٤ ص ٢٢٢ ، المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ١٩٤ .
6- سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ٩٠ .
7- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ٢٥٢ .
8- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٤ ص ١٥١ ، سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ٩٢ .

أما عن رجال الأسطول فكان معظم الملاحين في أول الأمر من أهالي البلاد المفتوحة، وإن كان المقاتلة من العرب ، ولما أسلم أهالي البلاد أصبحت الخدمة في الأسطول مهمة ، وكانت قائمة في غالب الأحيان على المتطوعة ، وذلك لأن الخليفة عثمان بن عفان ﷺ عندما أمر بإنشاء الأسطول قرر ذلك بقوله " فمن اختار الغزو طائعا فأحمله " [(١)] ، وحتى في القرن الرابع الهجري خلال عصر الدولة الفاطمية لم تكن الدولة تجبر أحدا على العمل في الأسطول ، ومن يعملون فيه يسمون " المجاهدين في سبيل الله والغزاة في أعداء الله " . وكانت الخدمة في أسطول الفاطميين غاية في التنظيم ، فقد كان عدد قوات الأسطول المدرجين في ديوان الجهاد يزيد على خمسة آلاف ، وعلى رأسهم عشرة من أعيان القواد البحريين يرأسهم جميعا رئيس عرف باسم " رئس الأسطول " ، وكان يغلب على من يقود الأسطول اسم " أمير البحر " [(٢)] .

ومن هؤلاء الذين تولوا قيادة الأسطول في مصر الإسلامية عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة (٣٤هـ / ٦٥٤م) ، وعقبة بن عامر الجهني سنة (٤٧هـ / ٦٦٧م) ، و شريح بن ميمون من قبيلة مهرة كان من قادة الأسطول المصري سنة (٩٥هـ/ ٧١٦م) في ولاية قرة بن شريك (٩٠هـ -٩٦هـ / ٧٠٨ - ٧١٤م) [(٣)] . وأيضا المثنى بن زياد الخثعمي قائد أسطول الإسكندرية سنة (١٣٦هـ / ٧٥٣م) أثناء ولاية أبو عون عبد الملك بن يزيد الخرساني في المرة الثانية من قبل الخليفة أبو العباس السفاح [(٤)] ، وكان أبو السرور عسامة بن الوزير الشيباني قائد الأسطول أثناء ولاية عبيد الله بن السري بن الحكم على مصر (٢٠٦-٢١١هـ/ ٨٢١- ٨٢٦م) [(٥)] ، وأيضا على بن الجوروي الذي أسندت إليه قيادة الأسطول

١- عبد المنعم ماجد : الحضارة ، ص ٧٩.
٢- عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٨٠ .
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١١٨ ، خورشيد : القبائل العربية ، ص ٢٣٠ .
٤- سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ٤٥، ٤٦ .
٥- الكندي : ولاة مصر ، ص ٢٠٤ ، رضوان الجناني : القبائل ، ص ٩٩.

العباسي من قبل عبد الله بن طاهر الذي أرسله الخليفة المأمون للقضاء على الثورة بها سنة ٢١٠هـ / ٨٢٥م (١) .

وخلال عهد أحمد بن طولون كان قائد الأسطول أبو شجاع بن أسلم الحاسب الذي أسندت إليه رئاسة دار الصناعة (٢) ، وفي عهد المعز لدين الله الفاطمي قاد الأسطول المصري بشارة النوبي (٣) ، وخلال حكم المستنصر كان قائد الأسطول المصري شرف المعالي بن الأفضل ، ثم قدم على الأسطول رجل يقال القاضي بن قادوس ، وذلك سنة ٤٩٦هـ / ١١٠٢م(٤) ، ومن قادة الأسطول المتجه لنجدة طرابلس سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م (٥) ، وخلال عهد الأمر (٤٩٥- ٥٤٢هـ / ١١٠١- ١١٢٩م) عين حسام الملك البرني مقدما على الأساطيل ، وخلع عليه وأمره بأن ينزل دار الصناعتين بمصر والجزيرة (٦) .

أما عن أسلحة الأسطول فنجد أن الأسطول كان يستخدم في حروبه في البحر الأسلحة التي كان يستخدمها الجيش في حروبه في البر ، وقد استخدم الأسطول في حروبه القسي والرماح والسيوف والتروس (٧) والكلاليب – وهي نوع من الخطاطيف الحديدية كان يستخدمها البحريون للرمي على مراكب العدو لجذبها وشدها والعبور إليها عن طريق ألوح خشبية أوسلالم من الحبال لمقاتلة ملاحيها (٨) .والأقواس والنشاب ، والفئوس – وهي سلاح له رأس نصف مستدير مبطط حاد النصل ومقبضه خشبي مستدير وأحيانا يتخذ من الحديد وتسمى الفأس بلطة أو طبر (٩) .

١- الكندي : ولاة مصر ، ص ٢٠٤ ، رضوان الجناني : القبائل ، ص ٩٩.
٢- ابن سعيد : المغرب ، جـ١ ص ٩٥.
٣- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣١.
٤- سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ١٠٩.
٥- المقريزي : اتعاظ الحنفا، ص ١١٥.
٦- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٣٧٦.
٧- القلقشيدي : صبح ، جـ٣ ص ٥٠٨.
٨- سالم والعبادي : تاريخ البحرية ،ص ١٤١.
٩- عبد الرحمن زكي السلاح في الإسلام ، القاهرة ١٩٥١، ص ٣٩.

وكذلك اللتوت والدبابيس والمستوفيات – وهي عمد من الحديد مربعة الشكل طويلة يبلغ طول العمود منها ذراعين وله مقبض مستدير، وهذه الأسلحة تستخدم فيتهشيم الخوذات المعدنية [١] ، ومن أسلحة القتال البحري التوابيت – وهي عبارة عن صناديق مفتوحة من أعلاها تنصب بأعلى الصواري – يصعد إليها البحريون ومعهم قطع حجرية يضعونها في مخلاة تعلق إلى جانب التابوت ويرمون بها الأعداء ، ثم يختبئون في التوابيت، وقد يحملون معهم قوارير من النفط [٢] .

أما النفط البحري فهو من الأسلحة الخاصة بإحراق المراكب ، ويجهز من قطران وكبريت ومواد أخرى شديد الالتهاب ، وكان يسير على الماء دون أن ينطفئ وكان يستعمل منذ العصر الأموي ، ولا ينطفئ إلا بالرمال والخل ، وكانت هناك وسائل لتفادي حريق هذه النار حيث كان الرجال يدهنون أجسامهم بدهن البلسان [٣] .

وكانت المواد الخام متوفرة لصناعة الأسطول ، فالأخشاب التي كان يصنع منها ألواح السفن والصواري والمجاديف كانت متوفرة بمصر، ويستورد أنواع منها من جبال لبنان مثل الصنوبر والأرز والبلوط والعرعر [٤] ، وكانت أشجار السنط والجميز والأثل واللبخ التي تصنع منها المجاديف متوفرة بمصر في البهنساوية وسفط والشمونيين والأسيوطية والأخميمية والقوصية [٥] ، هذا بجانب المواد الأخرى التي كانت تدخل في صناعة السفن مثل الحديد من مصر الشام واليمن لعمل المسامير والمراسي والخطاطيف والفئوس ، أيضا القطران الوارد من ليبيا [٦] ،ونبات الدقس الذي كانت تصنع منه جبال السفن [٧] .

١- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٨٠.
٢- سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ١٤٢ .
٣- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٨٠، ٨١ ، سالم والعبادي : تاريخ البحرية ، ص ١٤٢ .
٤- سعاد ماهر : البحرية في مصر ، ص ١٧٠.
٥- المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص ١٨٥ .
٦- الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ١٣٦ .
٧- سالم و العبادي : تاريخ البحرية ، ص ٢٤ .

هذا وقد أنتجت دور الصناعة العديد من أنواع السفن المختلفة كان لكل منها مهام خاصة في القتال، وكذلك أنواع خاصة بنقل التجارة منها: الشواني، والحراريق، والبطس، والأغربة، والمسطحات، والطرائد، والشلنديات والقراقير، والحمالات، والفلايك، والزوارق وغيرها من المراكب الخاصة بالأنهار [1].

النظام المالي في مصر الإسلامية :

لم ينظر الإسلام إلى المال على أنه غاية بل على أنه وسيلة تمكن المسلم والمجتمع الإسلامي بصفة عامة من أن يمارس وظائفه في الحياة بالصورة التي يسرها الله له، وقد أقام الإسلام نظامه المالي على قاعدة هامة هي عدم الاستغلال مهما بدا من وراء ذلك أحيانا من اختفاء بعض المصالح المادية العاجلة، كما أدار الإسلام نظامة المالي حول غاية أساسية هي تحقيق التكامل بين أفراد المجتمع الإسلامي.

والموارد الأساسية لبيت المال في مصر هي :

الزكاة، والجزية، والخراج، والمكوس، رسوم الصناعة والتجارة، وموارد أخرى لبيت المال.

وكانت سياسة الخلفاء بعضهم عن البعض الآخر من حيث درجة الاستغلال، فكان عصر الخلفاء الراشدين وبعض الخلفاء الأمويين عهد عدل سبيل المثال يشتط ولاة مصر في جميع الإيرادات إلا في أواخر العصر الأموي فعلى سبيل المثال الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩ هـ / ٧١٤- ٧١٧م) الذي أمر متولى خراج مصر أسامة بن زيد التنوخي قائلا له : " أحلب الدر حتى ينقطع وأحلب الدم حتى ينصرم " [2]، ولنبدأ بتفصيل عن مورد من موارد بيت المال.

١- ابن مماتي : قوانين ، ص ٣٤٠ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٧٧، ٧٨، سالم العبادي : تاريخ البحرية ص١٣٢، ١٣٩ ، محمد ضيف الله : تاريخ الحضارة الإسلامية ، جـ١ ص١٢٩، ١٣٠ .
٢- أبو المحاسن : النجوم ، جـ١ ص٢٣١ .

١- الزكاة :

نبرز هنا أهمية الزكاة ومكانتها في إطار النظام المالي في الدولة ، والأصل اللغوي لهذا الكلمة هو " زكا " الذي يعني " طهر " أو " نما " .

قال تعالى :

﴿ ... وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ... ﴾[١] .

والزكاة في الاصطلاح هي مقدار معيد من المال – نقدا كان أم عينا- يدفعه المسلم بفئات معينة بشروط خاصة ، وقد ثبت شرعيتها بنص القرآن الكريم في عدة آيات منها قوله تعالى :

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ... ﴾[٢] .

وأيضاً قوله تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ ﴾[٣] .

وغير ذلك من الآيات ، ولا زكاة في مال حتى يبلغ نصابا ويحول عليه الحول ، وفرضت الزكاة على الذهب والفضة ، زكاة النقد ، زكاة عروض التجارة ، زكاة الزروع والثمار ، زكاة السوائم – الأبل والبقر والغنم إذا كانت سائمة أي ترعى الكلأ في المراعي .

ومصارف الزكاة حددتها الآية الكريمة في قوله تعالى :

﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾[٤] .

١- سورة البقرة : من الآية ١٢٩ .
٢- سورة البقرة : من الآية ١١٠ .
٣- سورة المؤمنون : الآيات ١ : ٤ .
٤- سورة التوبة : الآية ٦٠ .

فهذه مصارف ثمانية للزكاة وقام عليها النظام المالي لتحقيق العدل والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع .

٢- الجزية [١] .

ثبتت الجزية بنص القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[٢]

وقال أبو حنيفة :" لا يترك ذمي في دار الإسلام بغير خراج رأسه "[٣] .

وكانت الجزية من أهم الضرائب في مصر ، حيث فرضت على أهلها بعد معاهدة بابليون الأولى وذلك في النص الآتي : (فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاه وأسفلها من القبط دينارين عن كل نفس شريفهم ووضيعهم ومن بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء شيء ....) [٤] .

وكانت الجزية في مصر تدفع نقدا بالدنانير وكسور الدنانير ، وكان المصريون يعرفون تلك الضريبة باسم دمزيا [٥] ، وكانت تتناسب مع ثروة الشخص فشخص يدفع دينارا ن وآخر يدفع ونصفا ، وثالث يدفع ثلثي دينار ... وهكذا ، ويؤكد ذلك كتابقرة بن شريك والي مصر (٩٠هـ/٧٠٨م) إلى صاحب كورة أشقوة نجد يأمر بان يرسل كشفا بالأماكن المختلفة لمعرفة عدد الرجال في كل مكان والجزية الواجب عليهم أداؤها ، وما يمله كل رجل

١- الجزية في اللغة مشتقة من الفعل (جزي) الذي يعني كافا أو قضى ، ومنه قوله تعالى :(...تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ...) (البقرة : من الآية ٤٨) والجزية بالكسر خراج الأرض وما يأخذ من الذمي وهي فعلة من الجزاء كأنها جزت عن قتلة ، الفيروز ابادي: القاموس المحيط ، جـ٤ ، لسان العرب ، جـ١٨ .

2- سورة التوبة : من الآية ٢٩ .

٣- أبو يوسف : الخراج ، ص ١٣٢

٤- يوحنا النقيوس : تاريخ مصر ص ٢١١، ٢١٢، سيد كاشف : فجر الإسلام ، ص ١٢.

٥- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٤١.

من الأراضي وما يقوم به من الأعمال ، ويطلب من صاحب الكورة ألا يوجد أي مجال للشكوى أو الاستياء منه [1] .

وهذا المبلغ الضئيل الذي يدفعه القادرون من أهل الذمة وهو الجزية مقابل الكف عنهم وحمايتهم ، أي أنها ضريبة دفاع وحماية الممتلكات ، ولما كانت الجزية مرتبطة بالوضع الديني لدافعها – أي بصفته ذميا – فإنها تسقط بالإسلام ، وقد اهتم الخلفاء بجمع الجزية، حتى أن سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ) كتب إلى متولي خراج مصر أسامة بن زيد التنوخي بالتشدد في جمع الجزية [2] ، وقيل أيضا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر حيان بن سريح عامل الخراج على مصر بأن يجعل جزية موتى الأقباط على أحيائهم[3] ، ولما تناقصت الجزية أواخر العصر الأموي أشار والي مصر أيوب بن شرحبيل على الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) استمرار تحصيل الجزية على من أسلم من أهل الذمة ، فأرسل إليه الخليفة يعنفه ويقول له : " قبح الله رأيك فإن الله إنما بعث محمد ﷺ هاديا ولم يبعثه جابيا " [4] .

وقد كان تحول كثير من أهالي البلاد المفتوحة إلى الإسلام سببا في أن الجزية لم تعد مصدرا عاما للدخل ، بحيث أصبحت تعرف بـ " الجوالي " وهي مأخوذة من جالية ، وهذا يدل على أن دافعي الجزية قد قل عددهم [5] .

ولما تضخمت شئون الخلافة وكثرت مطالبها وضعفت إيراداتها بإسلام الكثير من أهالي البلاد ، ظهرت ضرائب جديدة تفرض على الإنتاج منها :

١- أبو المحاسن : النجوم جـ١ ص ٣٣١.
٢- أبو المحاسن : النجوم جـ١ ص ٧١.
٣- هويدا رمضان : المجتمع المصري ، ص ١٣٢.
٤- المقريزي : الخطط جـ١ ص ٧٨ ، ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية ص ٢٣١ .
٥- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٠.

٣- ضريبة الخراج :

نتيجة كثيرة الفتوحات في المشرق الإسلامي بالاستيلاء على أقاليم الإمبراطورية الفارسية ، وفي المغرب بفتح مصر ، ظهرت مشكلة كبرى وهي مصير هذه الراضي الشايعة التي خضعت للمسلمين ، وأيضا مصير أهلها المقيمين عليها ولحل هذه المشكلة نشأ نظام الخراج في عهد الخليفة عمر ﷺ .

والخراج هو الضريبة المفروضة على الأراضي المفتوحة سواء أن كانت فتحت صلحا أو عنوة .

وهناك فرق بين الخراج وبين الجزية يتمثل فيما يلي :

- أن الجزية نص ، وأن الخراج اجتهاد .
- أن أقل الجزية مقدر بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد ، والخراج أقله وأكثره مقدر بالاجتهاد .
- أن الجزية تؤخذ مع بقاء الذمي على ديانته ، وتسقط بدخوله الإسلام ، أما الخراج فيؤخذ في كلتا الحالتين [١] .

وكان هناك ديوان للخراج ، كان يتولى تنظيم الخراج وجبايته والنظر في مشكلاته ، وفيه بيان بحالة الأراضي التي فتحت صلحا والتي فتحت عنوة من حيث الخراج ، نجد أن لأراضي التي فتحت صلحا بدون قتال وبمقتضى عهد يتفق مع أهلها على مقدار الجزية والخراج دون أن يمس الفاتحون الأراضي أو يأخذونها عنوة .

أما الأراضي التي تفتح عنوة فتكون فيحكم الغنيمة وتقسم بين الفاتحين طبق الآية الكريمة :﴿ ۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ... ﴾[٢] .

١- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٤٠.
٢- سورة الأنفال : من الآية ٤١ .

وكان الخراج في مصر يجبي نقدا وعينا ، وتعرف الضريبة العينية باسم ضريبة الطعام ، وكان القمح أهم ما يجبى من ضريبة الطعام ، وكانت هذه الضريبة تشمل أحيانا غير الغلال مثل الزيت والعسل[1] .

وكانت قيمة الخراج في مصر تجبي على أساس مساحة الأراضي التي يمتلكها الشخص ، وكان يراعي في ذلك حالة فيضان النيل في كل عام ، لارتباطه بالزراعة ، وقد وضح ذلك في نص الصلح الذي أوطاه عمرو بن العاص لأهل مصر فكان يراعى في تقدير الخراج كمية المحصول التي تنتجها الأرض ، وكذلك نوع المحصول وطريقة ري الأرض ، بجانب قربها من الأسواق[2] .

وكانت مصر ترسل الخراج إلي عاصمة الخلافة في المدينة عقب الفتح الإسلامي مباشرة ، ويتضح ذلك من الكتاب الذي أرسله الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/ ٦٤١م يخبره بما فيه أهل المدينة من الشدة ويأمره أن يرسل إليها ما يجمع من الطعام في الخراج فكان يحمل إليها ومعه الزيت[3] ، ويذكر أ ن عمرا ﷺ جباها أثنى عشر ألف ألف دينارا ، وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة عشر ألف ألف دينارا في عهد الخليفة عثمان ﷺ [4] ، وفي سنة ٣٠هـ/ ٦٥٠م بلغ خراج مصر ٤٠.٠٠٠.٠٠٠ درهم [5] .

وانقطع الخراج أثناء الفتنة في عهد عثمان بن عفان ﷺ ، ثم أرسل إلي عاصمة الخلافة الأموية في عهد معاوية ، وبلغت قيمة الخراج في عهده ٦٠٠.٠٠٠ دينار[6] ، وظل الخراج يحمل إلي دمشق في عهد يزيد وعهد الخلفاء الأمويين ، وفي عهد هشام بن عبد الملك

١- سيدة كاشف : عصر الولاة ص ٤٢ .
٢- الماودى : الأحكام السلطانية ، ص ١٤٢ .
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٠٢ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٢٣ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٩٨ .
٥- ضياء الريس : الخراج والنظم المالية ، ص ١٥٧ .
٦- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٠٢ .

١٠٥/ ١٢٥هـ ، مسحت الأراضي الزراعية في مصر على يد عامل الخراج عبد الله بن الجنحاب فكانت مساحتها ٣٠٫٠٠٠ فدان وكانت قيمه الخراج أربعة ملايين دينار (١)

وفى خلافة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) بلغت قيمة الخراج فى مصر ٤٫٧٥٢٫٠٠ دينار ، ويذكر ابو المحاسن " ان احمد بن المدبر عامل خراج مصر (٧٤٢-٥٥٢ هـ /١٦٨-٨٦٨ م) الذى تولى خراج مصر بعد سليمان بن وهب سنة (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) ضاعف الخراج ، وبلغ الخراج فى عهده ٨٠٠٫٠٠٠ دينار (٢)

وعن خراج مصر فى عهد الاخشيد فقد ذكر ابن سعيد والمقريزى " ان خراج مصر بلغ فى أيام الإخشيد ألفى دينار فضلا عن ايراد ضياعه الخلاصة (٣) ويذكر أو صالح الآرمنى " أن خراج مصر فى سنه من حكم كافور قد بلغ ثلاثه ملايين ومائتى وسبعين الفا من الدنانير (٤)

أما خلال العصر الفاطمى فكان مقدار الخراج حين قدم جوهر الصقلى لمصر سنه ٨٥٣ هـ /٨٦٦ م ٢.٢٠٠.٠٠٠ دينار (مليونى ومائتى الف دينار ، وفى رواية اخرى جباء ٣.٤٠٠.٠٠٠ (ثلاثه ملايين وأربعمائه الف دينار) والتقدير الاول هو الآصوب لآن مصر كانت فى حالة اضربات وقحط ووباء اواخر عصر الدولة الاخشيدية (٥)

وفى سنه ٣٥٩ هـ/ ٩٦٩ م بغت قيمة الخراج ٣.٤٠٠.٠٠٠ دينار لآن جوهر الصقلى رفع قيمه الضريبة على الفدان من ثلاثة دنانير ونصف الى سبعة دنانير (٦) وفى سنه ٠٦٣هـ/ ٠٧٩ م كان خراج مصر ٣.٢٠٠.٠٠٠ دينار، وفى سنه ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م ، بلغت قيمة الخراج أربعه مليون دينار، وفى سنه ٤٦٢ هـ/١٠٦٩ م بلغت قيمة الخراج ٦٠٠.٠٠٠

---

١ ـ سيدة كاشف : عصر الاخشيديين ص ٢٦٤ ، المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٩٩
٢- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ص ٤٧
٣- ابن سعيد : المغرب ، ص ٣٦ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٩٩ ، سيده كاشف : عصر الاخشيديين ص ١٠٥ ، ٣٤١
٤- أبو صالح الأرمنى : تاريخ الكنائس ، ص ٣٠
٥-ابن ظهيرة : الفضائل ، ص ١٢٦ ، أمينة الشوربجى : رؤيه الرحالى ، ص ١٥
٦ - البراوى : حاله مصر ، ٣٣٣ ، ابراهيم رزق ايوب : التاريخ الفاطمى السياسى ص ١٦٤

دينار وهذا رقم صغير إذ ما قورن بالمبالغ السابقة ، وذلك نظرا لحدوث أزمة اقتصادية كبرى[١] وخلال عهد البازورى بلغ الخراج ٢ مليون دينار [٢]

وفى سنه ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م بلغت قيمه الخراج ٣.١٠٠.٠٠٠ دينار وذلك فى وزارة بدر الجمالى الذى استطاع أن ينشر الامن ويتغلب على الشدة العظمى التى ألمت بالبلاد خلال عهد المستنصر بالله [٣] وفى عهد المستعلى بالله ووزيره الافضل ابن امير الجيوشى بدر الجمالى بلغ الخراج خمسه ملايين دينار ، وكان ذلك الى ان جباها القاضى الموافق أبو الكرم بن معصوم العاصمى التنيسى مليون ومائتى الف دينار ، وذلك بعد مقتل الافضل[٤]

وبعد سنه ٥٤٠ هـ انخفضت قيمة الخراج حيث وصلت فى سنه ٥٤٤ هـ ١.٠٠٠.٠٠٠ (مليون دينار) وذلك نتيجة الاضطرابات والفتن التى عمت البلاد أواخر العصر الفاطمى [٥]

وبصفة عامة كانت قيمه الخراج فى الدولة الفاطمية عالية ويدل على ذلك وفرة الاموال التى ساعدت الخلفاء على إنشاء العديد من المنشآت المعماريه وكذلك مصروفات الجيش والاسطول بجانب ماكانوا يدفعونه من مرتبات لكبار رجال الدولة ويدل على ذلك حياه الترف التى ظهرت فى احتفلاتهم الدينيه والقومية

وكانت جباية الخراج تتم على اقساط حسب المحاصيل وموعد نضجها وتبدأ منذ الشهر الرابع من السنة الشمسية اى شهر كيهك فيستخرج العمال ثلث الخراج[٦]وهو القسط الآول وقد ذكر المقريزى " أنهم كانوا فى شهر برمهات يطالبون الناس بالربع الثانى والثمن من الخراج وكان فى هذا الشهر ينضج الفول العدس والكتان وفى برمودة

---

١ - البراوى حاله مصر ، ص ٣٣٤ ، ٢٢٢٧
٢ - ابن ميسر : اخبار مصر ، ص ٥٩ ، يمنى ضوان : الأسرة الجمالية
٣ - ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٥٩
٤ - ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٥٩ أمينه الشوربجى : روزيه الرحالة ص ٨٧ راشد البراوى : حاله مصر ص ٢٣٧
٥ - ابراهيم رزق أيوب : التاريخ الفاطمى السياسى
٦ - ابراهيم رزق أيوب : التاريخ الفاطمى السلسى ، ص ١٦٤

كانوا يطالبونه بدفع النصف الباقى من الخراج وفى ابيب ثلاثة أرباع الخراج ، وفى مسرة أى الشهر الاخير من السنه الشمسية ينهى الفلاحوان خراج أرضى زراعتهم(١)

وهذه الضريبة كانت تدفع مالا محددا كل سنة على الاراضى ازراعية وقيمة عينية غلال وحنطة وعسل وزيت وغيرها من منتجات القية وكانت الآراضى تقدر بالجريب(٢) والقفيز والعشير والذراع والقبضة والقصبة ، وكان ما يدفع نقدا مقداره ديناران عن كل فدان ومايدفع عينا يختلف بإختلاف المحصل فقد ذكر ابن مماتى ان الضريبه على كل من القمح والشعير والفول والحمص والجلبان العدس عبارة عن ثلاثة أردب ثم اصبحت اردب ونصف على الفدان الواحد (٣) فى المتوسط يبلغ ثلث دينار فإن الضريبة تعادل دينار احد ولكى يتم جباية الخراج بسهولة وضع نظام المزايدة ونطام القبالات والضمان بحيث يثبت المزاد على هؤلاء الضامنون والمتقلبين ويقومون هم بدورهم بدفع قيمه الخراج المفروضة على المساحه الزراعيه التى فى حوزتهم للدولة ثم يقومون هم بتحصيلها من الفلاحين (٤)

ضرائب الصناعة التجارة

كانت حكومة العرب فى مصر منذ الفتح الاسلامى تفرض ضرائب عى الصنع والاجراء وتقدر هذه الضريبه بقدر طاقتهم (٥) واتخذت هذه الضرائب اسماء مختلفة منها هلالى لانها كانت تحصل على البضائع الموجوده فى الاسواق على حسب الشهور الهلالية(٦)

---

١ - المقريى : الخطط ، جـ ١ ص ٨٦
٢ - المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٢٧ : ابراهيم أيوب : التاريخ السياسى الفاطمى ١٦٠
٣ - الجريب ١٠٠ قضه والفقير ١٠ قضبة زالعتبر قضبة ، القضبة سته اذرع بذراع اليد والذرع يساوى ست قبضات والقضبضة ابع اصابع وقد غلب على القضبه اسم لحاكمية نسبه الى الخليفه الحاكم ويبلغ طول القضبة ٦٥ر٣ سم .
٤ - المقريى : الخطط ، جـ ١ ص ١٣١
٥ - البراوى : حالة مصر ، ص ٣٤٥
٦ - المقريزى :: الخطط ، جـ ١ ص ١٦٦

وكن يطلق عليها اسم المكوس[1] وهو اسم ظهر بدل الهلالى خلال العصر الفاطمى ، وهى فى مهناها ضريبة تفرض على التجار من حيث الصادر والوارد وتفرض على كل شئ فيذكر المقيزى " ان ضريبة امكس كانت تفرض على كل شئ وان الهواء وحده اهلى سبيله[2] فمثلا كان هناك :

١. رسوم تفرض على البائعين مقابل استخدام الاماكن المخصصة للبيع والشراء
٢. ضريبة تفرض على المتاجر والمصانع المخازن وكانت تفرض على الات النسيج نفسها .
٣. رسوم على السفن فى النيل .
٤. حراسه الغلال .
٥. ضريبه على المسالخ والمذابح وكذلك الأماكن المعدة لحفظ احيوانات قبل الذبح .
٦. المعديات التى كانت موجودة فى النيل
٧. استعمال الميزان المسمى بالقبانى[3]

وكانت هناك قيمة محددة لهذه الضرائب وكانت تفرض على التجارة الداخلية وكان مقر إداره هذه الضرائب فى منطقة لمقس وهى قرية ام دنين بالقرب من الفسطاط وسميت بذلك لأن صاحب المكس كان مقره بها وقلب فقيل المقس وكانت هذه الضرائب تفرض مرة احدة فى السنة وكان التجار سأخذون كتابا يدل على دفعهم هذه الضريبة .

وكان ربيعه بن شرحبيل بن حسنه واليا لعمر بن العاص على المكس فى مصر[4] ورزيق بن حيان كان على المكس زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز[5]

---

١ ـ المكوس : مفردها مكس ـ (كلمه مكس اصلها فى اللغة الجبايه ، يقال مكسه بمكسه مكسا المكس داهم كانت تؤخذ من بائع السلع فى الاسواق فى الجاهلية والماكس هو المشار وهو صاحب المكس المقريزى · الخطط . جـ ٢ ص ١٢١، سيدة كاشف : فجر الاسلام ص ٥٥
٢ ـ امينه الشوربجى ، ص ٨٤
٣ ـ المقريزى الخطط : جـ٢ : ص ١٢١ ، سيده كاشف : عصر الولاه ص ٥٥
٤ ـ المقريزى الخطط : جـ٢ ص ١٢١
٥ـ سيده كاشف : فجر الاسلام ، ص ٥٦

المواريث الحشرية :

كان من اهم موارد بين المال ماعرف بالمواريث الحشرية ، وهي مال من يموت وليس له اث شرعى ، او اباقى من مال من يموت بعد توزيع التركة ، وكانت هذه اموال تؤول الى بيت المال ، فإذا كانت تلك الأموال فى صورة عقارات او اراضى زراعيى تقوم الحكومه باستثمارها عن طريق التاجير[١]

وقد اتخذ الفاطميون للمواريث ديونا عرف يديوان المواريث الحشرية لا يتولاه الا شاهد عدل يساعد جماعة من الكتاب يقومون بمتابعه تلك الاموال ، وكان هناك كاتب خاص لتدوين أسماء من يموتون بمصر والقاهره كل يوم وتفصيله من رجال نساء وصغار وتفصيل ديانته وتكتب منه نسخ للديون وكانت التقارير تستمر طوال اليوم والاتحسم الا عند صلاه العصر[٢] ومن يموت بعض العصر يضاف اسمه على لوائح اليوم التالى

وبطبيعه الحال كانت الاموال تكثر فى هذا الديوان فى فتره انتشار الأوبئة بسبب كثره الموتى وانتقال اموالهم وثوراتهم الى بيت المال[٣]

وبعد عصر الوزير الآفضل بن بدر الجمالى من ازهى العصور بالنسبة للمحافظة على المواريث الحشرية ، حيث امر بحفظها لآربابها[٤]

المعادن :

كانت من الموارد المهمة التى تغذى خزانه الدوله حيث كانت تفرض عليها رسوما مختلفه ، ومن أهم تلك المعادن الشب ، الذى كان يستخرج من صعيد مصر[٥] وكذلك النطرون (كربونت الصوديوم) الذى كان يتم استخراجه من منطقه الطرانه بالبحيره بمنطلقه الفاقوسيه وهو على نوعين اخضر واحمر .

١- امسنه الشوبجي رووسه الرحاله المسليمن للاحوال الماليه ص ٩٠
٢- اين ثمانى ثوانين ، ص ٣٤٢ البراوى حاله مصر ، ٣٥
٣- اين ميسر أخبار مصر ص ٥٩
٤- سيده كاشف : فجر الاسلام ، ص ٥٦
٥- اين ثمانى ثوانين ، ، ص ٣٤٢

وقد كان احمد بن محمد بن المدبر عامل خراج مصر هو اول من فرض المكوس على المعادن وحجر عليها وبعد ماكنت مباحه للتاجر[1] وقد اتبعت الدولة الفاطمية مبدأ التضمين بالنسبة لمحصول النطرون [2]

المصادرات :

كانت المصادرات من الموارد المهمة لبيت المال ، حيث كانت الحكومه تصادر أموال المغضوب عليهم من رجال الدولة وكذلك المحكوم عليهم بالاعدام وتوضع هذه الأموال فى بيت المال ، وكان هناك ديوان يشرف على اموال المصادرات عرف بـ " ديوان المفرد " ويتصل هذا الديوات اتصالا مباشرا بديوان المواريث الحشرية .

وكانت المصادرات عى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد حذا الخلفاء الراشدون حذو الرسول صلى اله عليه وسلم فكان سبب مصادراتهم لعمالهم هو حجب بعض الولاة لجزء من مال الخراج او اشتغالهم بالتجارة وانصرافهم عن مصالح الرعيه [3]

وممن شاطرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى اموالهم عمرو بنالعاص والى مصر[4] وهو اول ما طبق قانون الكسب غير المشروع وفى عهد بنى اميه كانت المصادره احدى وسائل الانتقام من الخصوم دون ان يتعرضوا لأذى.

اما المصادرات فى الدوله العباسيه فهى تظر بوضوح فى مصر خلال عصر الدوله الطولونيه حيث شهد عهد أحمد بن طولون الكثير من حالات المصادرة منها مصادرته للبطريرك ميخائيل احد بطاركه الاسكندريه بمبلغ ٢٠٫٠٠٠ دينار[5] وكذلك صادر كاتبه ابن المفضل بمبلغ ٢٠٫٠٠٠ دينار بسبب تاخر مال المطبخ عنده ورفضه السداد[6] وكذلك صادر ممتلكات احمد بن اسماعيل بسبب سوء سيرته فى الاملاك وظل فى الحبس حتى

---

١ - المقريزى المخطط ، جـ ١ ص ١٠٣
٢- ابن ممات : قوانين ، ص ٤٣٣ ، ٥٣٣
٣- البيومى اسماعيل : مصادر الاملاك ، جـ ١ ص ٣٤
٤- القلقشندى : صبح ، جـ ٦ ص ٣٨٧
٥- المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ١٥٢ قاسم عبده : اليهود ص ٨٩
٦- البيومى اسماعيل : مصادر الاملاك ، جـ ١ ص ٣٤

مات والزم متولى الخراج بإعداد دفتر للمصادرين[1] وكان يهدف من ذلك ضبط جمله المال المتحصل من المصادرات وحسابه فى موازنه الدولة

وبعد انتهاء الدوله الطولونيه ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م أرسل المكتفى بالله اليا على مصر. محمد بن سليمان . لمصادره اوال أل طالون [2] ، وحكم مصر الإخشيد واسرته سنه ٣٢٣هـ/ ٩٣٤ ، وفى عهد محمد بن طغج الإخشيدى وحدث عدة مصادرات كان معظمها يأخذ صفة العقوبة نتيجة الاختلاس او الاستبداد بأمور لدوله أو الثراء المفاجئ وكان المنفذ للمصادره فى معظم الاحيان هو الوزير سواء بأمر الوالى اومن تلقاء نفسه ومن امثلة هذه المصادرات الاتى :

فى عهد محمد بن طغج صادر الكثير من رجال دولته بحجه سد متطلبات الجيش ومعاقبه المرتشين ، ومنها مصادرة املاك الماذرائين حيث صودر الوزير ابى بكر محمد الماذرئى وحده بمليون دينار وصودر جزء من اموال احد التجار يدعى عثمان بن سليمان البزاز بلغت حوالى ١٠٠,٠٠٠ دينار وصودر بار شكور احد خدام الوالى بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ دينار وتاحد الحجاب ويدعى عمران بن فارس وأخذ غلمانه سلاحهم وثيابهم وغير ذلك من امصادرات التى شهدتها اواخر الدولة الاخشيدية .

اما خلال العصر الفاطمى فكانت هناك الكثير من حالات المصادرات التى تعرض فيها الرعايا للعسف والمصادرات ، والسبب فى ذلك كثره مصادره الخلفاء للوزراء فقام الوزراء بجمع مادفعوه من اموال ممن يليهم من العامة .

وقد امتلآت خزانة الدولة . يوان المفرد . بالآموال المصادره ففى عهد الخليفه المعز قام بمصادرة وسجن احد امراء الإخشيديين ويدعى تبر لآنه قاوم جوهر الصقلى وحاربه اثناء دخولة مصر [3] ، كما امر المعز يعقوب بن كلس بأن يستخرج من العامة المال الذى

١ـ حسن محمود : الدولة الطولونيه ، ص ١
٢ـ السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٠
٣ـ المقريى الخطط ، جـ ٢ ص ٤١٣

أنفقه على حملته فى طريقها لمصر واستخرج يعقوب خلال أيام من الفسطاط وتنيس ودمياط والآشمونيين مبلغ ١٩٠٠٠٠ دينار معزى [١]

اما العزيز بالله فقد قام سنه ٣٧٣ هـ / ٩٨٤م بمصادرة أملاك الوزير يعقوب بن كلس ، وأخذ منه نصف مليون دينار ، ولما توفى هذا الوزير صودرت تركته [٢] كما صودرت اموال الوزيران منشأ اليهودى وعيسى بن نسطورس المسيحى عندما أساء هذان الوزيران معاملة المسليمن وبلغت قيمة المصادرات من عيسى ٣٠٠.٠٠٠ دينار ومن منشأ مبلغ كبير [٣]

اما الحاكم بأمر الله فقد صادر أموا كثيره من رجال دولته المشكوك فى امرهم والمغضوب عليهم ، ففى سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م قام بمصادرة املاك المحتسب بن أبى نجده بسبب سوء معاملته للعامة ، وفى سنه ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م بعد قتل برجوان صادر الحاكم ممتلكاته [٤] ولم يكتف الحاكم بمصادرة أموال رجال الدوله بل امتدت مصادرته الى الأملاك العقاريه لوالته وأخته وزوجته وعماته وخواصه من النساء [٥] وانشأ ديوانا خاصا للمصارات عرف بديوان المفرد

اما فى عهد الأمر فقد ازدادت المصادرات فعندما احس الآمر بأحكام الله بالقوة تامر على قتل وزيره الأفضل بن بدر الجمالى سنه ٥١٥ هـ / ١١٢١م وصادر املاكه وأمواله من مراكب وبغال وخيل ورقيق وحلى وجواهر ، واستغرق نقلها من داره الى بيت المال اربعين يوما وقدرت هذه الثروه بسته ملايين دينار [٦] وكذلك صادر للعامة سواء كانوا مسليمن او اهل ذمة ، حيث صودرت أموال من القبط قدرت بمبلغ ١٠٠.٠٠٠ دينار ،

١- البيومى اسماعيل : مصادره الاملاك ، جـ١ص٤٥، ابراهيم أيوب : التاريخ السايسى الفاطمى، ص ١٧٨
٢- العينى: السيف المهند ص ١٥٤ امقريزى : تعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ٢٠٠
٣- السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ص ١٣ قاسم عبده اهل الذمه فى مصر ص ٥٢
٤- ابن سعيد الانطاكى تاريخه ص ٢٠٦ المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ٥
٥- ايمنه الشورنجى : رؤسيه الرحالة المسليمه للأحوال المالية والاقتصاديه لمصر فى العصر الفاطمى ، الهيئه المصريه العامه للكتاب ص ٩٢ ابراهيم أيوب : التاريخ السايى الفاطمى ص ١٧٩
٦- المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ، ص ٦٦

وايضا مجموعة من المسلمين صودرت أموالهم ، وخلال عهد الخليفة الفائز صودرت أملاك الوزير عباس الصنهاجي بسبب تعامه بقتل الخليفة الظافر بالله (1)

دار العيار :

كانت دار العيار تمد خزانة الدولة بمبالغ طائلة لانها المكان الوحيد الذى يشرف على مراقبه النمكاييل والموازين ، وكانت هذه الدار تقوم بإصلاح الموازين والمكاييل ، ودفع الصنج الموازين ولمكاييل الجديده وختمها بختم الدوله وكانت الحكومة تحصل على مبالغ طائلة مقابل ذلك (2)

ضريبة الجسور

وهى كانت ضريبة مقررة على عدة نواحى تحددها الحكومة من اهل المنفعة العامه والاهتمام بما فى هذه النواحى من الجسور واصلاحها وصيانتها ولذا كانت تشتمل على العلف والمؤن والحبوب والحسائش والالبان على كل قطيعة ، وقدرت بعشرة دنانير يقوم الفلاحون بتسديدها الى بيت المال ومانها جزء من الخراج (3)

ضريبة الانتاج الحيوانى :

كانت الحكومة تحصل ضريبة على الماشية التى ترعى فى ارض المراعى فضريبة الجاموس على كل رأس فىالسنة من ثلاثة الى خمسة دنانير ، اما الأبقار التى تربى من اجل الحصول عى اللبن ، فيحصل على كل رأس دينارين ، والأغنام دينارًا فى السنه(4)

اما النحل فضريبتة عن كل مائة خلية عشرة ارطال عسل بالمصرى ، ومقدار مايتحصل منه فى السنة من خمسه قناطير عسل الى سته قناطير ، وعشرين رطلا من الشمع(5) وكانت هناك ضرائب على مصايد الأسماك منذ عهد عامل الخراج ابن المدير

1 - البيومى اسماعيل مصادرة الأملاك ، جـ 1 ص 46
2- مينه الشوربجى : روؤية الرحالة ، ص 98 ، 99
3- مينه الشوربجى : روؤية الرحالة ، ص 98 ، 99
4- امينه الشوربجى : روؤيه الرحالة ، ص 102
5- امينه الشوربجى : روؤية الرحالة ، ص 98 ، 99ص 102 ، البراوى : حالة مصر ، ص 340

سنه ٢٤٧ هـ ، وقد ابطلها ابن كولون الا ان الدولة الفاطمية أعادتها وحصلت من ورائها على اموال طائلة[١]

العملة فى مصر الاسلامية :

كانت دار الضرب بالاسكندرية من اهم دور الضرب فى مصر قبل الفتح الأسلامى وذلك منذ أن اعاد الامبراطور دستنبان الآول (٥٢٧ - ٥٦٥ م) ضرب نقود مصرية فى عاصمة البلاد المصرية .

وبعد الفتح الإسلامى ظلت دار الضرب بالأسكندريه تصك بها النقود وكانت العملة المتداولة فى الدولة العربية الاسلامية هى الدراهم الفارسية وكانت من الفضة ، والدنانير البيزنطية من الذهب ، حيث اقر هذه العمله الرسول صى الله عليه وسلم وكذلك اقرها الخليفه أبو بكر الصديق عليه السلام[٢] وأول من ضرب النقود فى الاسلام هو الخليفه عمر بن الخطاب عليه السلام سنه ١٨ هـ وكانت على نقس النقود الكروية وزاد فيها الحمد لله محمد رسول الله وعلى جانب منها اسم الخليفه عمر رضى الله عنه[٣]

وفى عهد معاوية بن ابى سفيان (٤١ - ٦٠ هـ / ٦٦١ - ٦٧٩ م) بدأ الصناع يضربون سكة ذهبيه من دراهم ودنانير على الطراز البونطى بدار الاسكندريه كما حدث فى العاصمة الاموية دمشق[٤]

وعندما خرج عبد الله ابن الزبير بالحجاز ضرب مكه دراهم مستديرة وضرب أخاه مصعب النقود أيضا فى الكوفة بأمر منه وذلك سنه ٧٠ هـ / ٦٨٩ م وقد ابطلها الحجاج بن يوسف الثقفى عندما أتى واليا على العراق من قبل عبد الملك بن مروان[٥]

١- امقبى الخطط ، جـ ١ ص ١٠٣ ، ١٠٤ البراوى حالة مصر : ص ٣٤٠ ، ٣٤٨
٢- الماردى الاحكام : ص ١٤٨ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٤٧١ ، عبد الرحمن فهمى : فجر السكة : ص ٣٣، السيد ابو سديرة الحرف والصناعات ص ١٨٠
٣- عبد الرحمن فهمى : فجر السكة ، ص ٣٦
٤- حروهمان : أواق البردى ، جـ ٦ ص ١٥٧
٥- المقريزى : النقد ، ص ٤ - ٦

ولكن هذه النقود التى صكها خلفاء الدولة الاسلاميى وامراؤها لم تثبت على وزن واحد ، بل كنت متغيرة الاوزان[1] بجانب انها كانت تستعمل مع النقود الاجنبيه جنبا الى جنب ، حيث لم تقض هذه العمله على النقود الآجنبية حتى جاء عبد الملك بن مروان الذى اراد ان يصلح العمله ويوحدها فى جميع انحاء الدولة الاسلامية ويستغنى عن النقود الاجنبيه[2] أما دار الضرب التى تم تاسيسها فى القسطاط بالقرب من جامع عمرو فأغلب الظن أن الوالى عبد العزيز بن مروان اول من اتخذ ذلك ، حيث ارسل الخليفه عبد الملك بن مروان الى اخية عبد العزيز واليه على مصر سنه ٧٦ هـ / ٦٩٥ م أن يأمر الصناع المشرفين على دور الضرب بسك العملات بالصبغه الاسلامية[3]

وقد بدأ عبد الملك اصدار العمله الاسلامية سنه ٧٤ هـ / ٦٩٣ م حيث اصدر دنانيرة الذهبية التى عرفت بأسم الدمشقية ، ثم أمر بضرب الدراهم سنه ٧٥هـ / ٦٩٤ م ثم أمر بتعميم العملة الاسلامية فى جميع الولايات سنه ٧٦ هـ / ٦٩٥م[4]

وكان أقدم نقد وردت عليه كلمة (مصر) هو فلس ضربه الخليفه عبد الملك بن مروان ، وفلس ضربه والى مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان (٨٤ ـ ٩٠ هـ / ٧٠٣ - ٧٠٨م) وهو يحمل مكان الضرب مصر ، وفلس من عهد مروان بن محمد أخر الخلفاء الامويين ضرب على يد والى مصر عبد الملك بن مروان اللخمى سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م [5]

وقد وردت مصر على انها القطر كله مع اسماء المدن التى ضربت فيها الفلوس مثل مدينه الفرما ، ونبروه ، والفيوم واتريب واهناس وغيرها ، وكانت بمثابة دور ضرب مساعدة تخصصت فى ضرب الفلوس النحاسية[6] وضرب فلس بمصر سنه ١٣٣ هـ /

١- سيدة كاشف فجر الاسلام ص ٦٦ ، الريس : الخراج ، ص ٣٤٢
٢- البلاذرى : فتوح ابلدان ، ص ٢٤٠ المقريزى : النقود ، ص ٦
٣- عبد الرحمن فهمى : النقود العربية : ماضيها وحاضرها ، ص ٤٤
٤- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ص ١٧٦
٥- محمد أبو الفرج العش : مصر القاهره علي النقود العربية الاسلامية بحث ضمن ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهره ١٩٦٩ دار الكتب القاهره ١٩٧١ جـ٢ ص ٩٠٨
٦- محمد العش : مصر القاهره على لنقود ، ص ٩٠٩ ، السيد أبو سديرة حرف والصناعات ص ١٨٣

٧٥٠م على يد عبد الملك بن يزيد والى مصر (١٣٣ . ١٣٦ هـ / ٧٥٠ . ٧٥٣ م) ثم فلس أخر عباسى سنه ١٦٧ هـ / ٧٨٣م على يد ابراهيم بن صالح والى مصر (١٦٥ . ١٦٧ هـ)

وفى عهد الطولونيين انعكس الرواج الاقتصادى الذى شهدته مصر على عملتها فقد سك أحمد بن طولون دينارا ذهبيا خالصا به ومستقلا عن الدينار العباسى وذلك سنه ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م عف بالدينار الآحمدى [١]

وقد اهتم الإخشيد بأمر دار الضرب وكان يشرف عليها بنفسه أحيانا عنى بالنظام فيها وقد حسن حال مصر على يديه وامر بضرب الدينار الإخشيدى[٢] وذلك سنه٣٢٩هـ / ٩٤٠ م حينما فكر في الاستقلال التام عن الخلافة العباسية واتخاذ نقش السكة كإحدي شارات الملك .

أما خلال العصر الفاطمي فقد أراد جوهر الصقلي أن يفتح عهداً جديداً بضرب الدينار المعزي منذ دخوله البلاد سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م الذي نقش عليه في أحد وجهيه : دعي الأمام لتوحيد الإله الصمد . المعز لدين الله أمير المؤمنين . ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وعلي الوجه الثاني : لا إله الله محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، علي أفضل الوصيين ، وزير خير المرسلين[٣]. ولكن الناس ظلوا يتعاملون بالراضي – نسبة إلي الخليفة الراضي بالله العباسي – فلما قدم المعز من بلاد المغرب سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م عهد إلي يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن بالإشراف على الخراج فامتنع الوزير أن يأخذ إلا الدينار المعزى ، فاتضع الدينار الراضي وانحطت قيمته بمقدار الربع[٤] .

١- المقريرى النقود الاسلامية ص ١٢ STANLY CATALOGUE OF THE COLLECTION OF Arabic coins p 135
٢- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ص ٢٠٤
٣- القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ، ص ٤٦٨ ، إبراهيم أيوب : التاريخ السياسي الفاطمي ، ص ١٧٢ .
٤- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٢ ، ١٩٩ الكرملي : النميات ، ص ٥٨ .

وكان المعز لدين الله قد حمل معه السبائك الذهبية في هيئة أحجار الطواحين المستديرة وذلك حين قدومه لمصر سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م ، وقدرت هذه السبائك بنحو ثلاثة وعشرين مليون دينار أعاد المعز ضربها من جديد في دار الضرب بالفسطاط ، وهكذا نشطت حركة سك الدنانير والعملات الأخري بعد أن حملت الحكومة الفاطمية الناس على التعامل بالدنانير الفاطمية[١] .

وفي عهد الحاكم بأمر الله تم ضرب دراهم جديده واتخاذها وحدة للتعامل وأن تكون مساعدة فقط ، وكانت قيمة هذه الدراهم ثمانية عشر درهماً بدينار [٢] وكان الهدف منها تيسير التعامل في السلع القليلة الثمن .

وقد أمدنا ابن مماتي بعيار الدراهم التي كانت تضرب بمصر حيث كان يتم سبك ٣٠٠ درهم من الفضة مع ٧٠٠ درهم من النحاس الأحمر ويسبك ذلك حتى يصير ماء واحد، ثم يصب قضباناً ويقطع من أطرافها خمسة عشر درهماً ثم تسبك فإن خلص منها أربعة دراهم ونصف درهم من كل عشرة دراهم،وإلا أعيدت إلي أن يصح العيار ثم تختم [٣].

وقد هبطت القيمة الشرائية للدراهم سنة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م ، حيث بيعت ٣٤ درهماً بدينار [٤] ، وفي عهد الخليفة الأمر ضرب بمصر نوعاً من المسكوكات الفضية المشهورة بالآمرية ، وذلك سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م ، وقام الآمر بتأسيس دارين للضرب ، في القاهرة سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م بجهة القشاشين قرب الجامع الأزهر سميت بالدار الآمرية ، وفي مدينة قوص سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م[٥] .

١- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٢ ، أبو سدرة : الحرف ، ص ١٩١ .
٢- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٦٤ ، ٦٥ ، الكرملي : علم النميات ، ص ٥٩ .
٣- ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٣١ ، راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٣٠٥ .
٤- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٦٤ .
٥- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٤ ص ٥٣ ، المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ١٩٤ .

وتعددت دور الضرب أواخر أيام الفاطميين فأصبحت في الأسكندرية والفسطاط والقاهرة وتنيس وقوص ، واستمرت دور الضرب في عملها إلى أن بدأت موارد الذهب في النضوب بمنطقة العلاقي وذلك في عهد الخليفة العاضد ، كما حرمت خزانة الدولة من الأموال التي كانت تحصل من مدينة تنيس سنوياً لما كانت تصدره من الثياب ، وذلك نتيجة لنهب الصليبيين لها في أواخر العصر الفاطمي(١) .

وكان انعدام الذهب والفضة السبب الرئيسي في تعطل دور الضرب المصرية ، ولم تجد من المعادن النفيسة أو من المقادير ما يسمح لها باستمرار نشاطها وضربها للدنانير الذهبية والدراهم الفضية ، ولذا ضربت الدراهم السود التي صنعت من النحاس مع قليل من الفضة(٢).

١- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٦٥ .
٢- راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٣٠٨ .

الفصل التاسع

مظاهر الحياة الاقتصادية

الفصل التاسع

مظاهر الحياة الاقتصادية

إن ارتفاع مستوى الفرد وانتعاش الأحوال الاقتصادية يساعد على بناء المجتمع القوي الذي يتسم بالاستقرار والثقة ، فتتوفر الأموال في أيدي الأفراد فيدفعهم ذلك إلي بناء الحضارة الإنسانية حيث يأخذون بأسبابها في شتى مناحي الحياة من مأكل وملابس ويضفي ذلك علي حياتهم لونا من البهجة والمتعة فيتقدمون في الفنون بأنواعها[1] .

ويرتبط النشاط الاقتصادي دائما بحالة الأمن والاستقرار التي تسود البلد ومدي ما يحققه حكام ذلك البلد لرعاياهم من عدالة وبعد عن المغالاة في جمع الأموال وفرض الضرائب والمكوس ، وقد ساعدت سياسة العرب التي اتسمت بالتسامح الدينى والعدالة الاجتماعية على انتعاش الحياة الاقتصادية بمصر ، حيث شعر المصريون والعرب معا بجو من الطمأنينة يساعد كل من الزارع والصانع والتاجر على الانصراف إلى عمله ومباشرة إنتاجه دون أن يخشى تعسفا أو ظلما [2] وتشمل الحياة الاقتصادية الزراعة والصناعة والتجارة .

الزراعة :

أتي العرب مصر لفتحها ولنشر الدين الإسلامي بها وهم يعلمون بمدي ثرواتها وخيراتها الزراعية ، وكثيرا ما أظهر إعجابهم بتلك الخيرات والنعم التي حظي بها الله مصر فقد ذكرت مكرمة بهذه النعم في القرآن الكريم .

في قوله تعالي : ﴿ ... ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ... ﴾[3]

١- حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ٣٠٢ .
٢- سعيد عاشور : مصر في العصور الوسطى ، ص ٦٦ .
٣ - سورة البقرة : من الآية ٦١ .

ويقال في التوارة : "مصر خزائن الله ، فمن أرادها بسوء قصمه الله" [١]

وكانت الزراعة في مصر على مدى العصور التاريخية بمثابة العمود الفقري للحياة الاقتصادية بما يقدم النيل من طمي يكسب الأرض خصوبة وماء يروي الأراضي الزراعية ريا طبيعيا ، وكانت مصر تقدم من خيراتها للفاتحين المسلمين ما يحتاجون إليه من طعام وعلوفة لخيلهم[٢] .

كما ظلت مصر ترسل الحبوب والقمح إلي مركز الخلافة الإسلامية في الجزيرة العربية ، بل استمرت في إرسالها بعد أن أصبحت مركزا للخلافة الفاطمية[٣] بعد أن فتح المسلمون مصر واستقرت بها العديد من القبائل العربية،حيث ترك الولاة أرضها في أيدي أهلها وفرضوا عليهم الخراج ، وقد تشدد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ في نهي العرب عن الزراعة وذلك في قوله : "فلا يزرعون ولا يزارعون"[٤]،وذلك لكي يستمروا أجنادا على استعداد تام للغزو والجهاد[٥] .

وفي أوائل القرن الثاني الهجري عدلت الخلافة الإسلامية عن تشددها في منع العرب عن العمل بالزراعة ، حيث أخذت تشجع العرب وتسمح لهم بمزاولة الزراعة[٦] ، ثم جاء قرار الخليفة العباسي المعتصم بالله بإسقاط العرب من الديوان ومنع أعطياتهم سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م [٧] ، ليدفع بهم إلي النزوح والانتشار إلي الريف والعمل بالزراعة بجانب المصريين .

زرع العرب والمصريون معا العديد من الحاصلات الزراعية يأتي في مقدمتها القمح، الذي يعد من أهم الحاصلات الزراعية على الإطلاق لأنه ولا يزال الغذاء الأساسي للأهالي

١ - القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ص ٣٠٦ .
٢ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٧٤ ، ٧٥ محمد أحمد أمين : دراسات اقتصادية ، ص ٥٦ .
٣ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٧٥ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٥٢ .
٤ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٦٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ١٥٥ .
٥ - محمد محمد أمين : دراسات اقتصادية ، ص ٥٠ .
٦ - الكندي : ولاة مصر ، ص ١٧٥ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ١٢٩ .
٧ - الكندي : ولاة مصر ، ص ١٩٤ .

وكانت زراعته منتشرة في جميع أنحاء البلاد ، وكان يشغل الجزء الأكبر من الأراضي الخصبة . وكان الشعير ضمن الحاصلات التي تزرع بكثرة في جميع أنحاء البلاد من أسوان جنوبا حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالا [١] .

وكان الكتان من الحاصلات التي انتشرت زراعتها في مصر وإن تركزت بكثرة في الدلتا . وكان يزرع بمصر نوع الكتان ورد ذكره في أوراق البردي العربية . ومثال لذلك ما ورد في بردية مؤرخة سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م ما نصه "أربعة عشر فدانا أرضا طيبة سوداء من أرض مفطول على أن تزرع قمح وكتان" كما جاء في نفس البردية "من أراضي المتعة تزرع كتان"[٢] وذكره السيوطى ضمن زراعات مصر[٣]. وكذلك انتشرت زراعة الفول حيث كان يزرع بكثرة في مصر وورد ذكره أيضا في أوراق البردي العربية [٤] . وكان يزرع مع القمح والشعير . وهو يلي القمح في الأهمية ويطلق عليه البقول ويعد غذاء أساسيا للإنسان بجانب استخدامه كعلف للحيوانات [٥] .

هذا بجانب المحاصيل العديدة منها الصيفى مثل قصب السكر حيث يذكر ان العرب هم الذى نقلوا زراعته لمصر [٦] ويذكر عن الامام الشافعى قوله " لولا قصب السكر ما أقيمت بمصر " [٧] وكانت زراعته منتشرة فى انحاء مصر وان كثر فى جنوبها على حافتى النيل وفروعه [٨] وكانت هناك محاصيل اخى عديدة ومتنوعه مثل القطن والارز والسمسم والنيلة والقلقاس واللوبيا والبصل والعدس والبرسيم والجلبان والفجل واللفت والكرنب والمقاتى وغيرها

١ - جروهمان : أوراق البردي العربية ، جـ ٢ ، ص ٤٦ .
٢ - السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ، ص ٤٦ .
٣ - جروهمان : أوراق البردي ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .
٤ - أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ص ٣٠٣ ، ريسلر : الحضارة العربية ، ص ١٠٣ .
٥ - طه عبد العليم رضوان : في جغرافية العالم الإسلامي
٦- السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢
٧ - السعودى : التنبية والاشراف ، ص ٢٠ ، ٢١
٨- ناصر حسرو : سفر نامه ، ص ١١٨

اما عن الفاكهه فقد اشتهرت مصر بإنتاجها الوفير من الفاكهه المختلفة مثل الكرون واللوز والرمان والزيتون [١] وكان بمصر فى وقت واحد من الفاكهه ماهو صيفى او ربيعى او شتوى حيث وجد بها فى يوم واحدا النارنج والليمون والتفاح والرمان والكمثرى والبطيخ والموز والزيتون والرطب والتمر والعنب [٢] وانتشرت زراعه البساتين بمصر ويذكر ذلك ابن حوقل بقوله " وبمصر نخيل كثيرة وبساتين واجبة صالحه وزروعهم بماء النيل من حد أسوان الى حد الاسكنرية[٣]

ويذكر الادريسى : " أيضا وعلى حافتى النيل كله معمور بالبساتين والاشجار [٤] وقد شهدت زراعة البساتين عناية بالغه من الولاة وكان الآهالى يزجون اليها يقضون اجازتهم حيث يتنزهون ويمرحون[٥]

وكانت البساتين منتشرة فى العديد من مدن وقرى مصر المختلفة وبلغت العناية بها الى درجة كبيرة حيث كانت تنتج الكثير من الفاكهة[٦] وتميزت الزراعة بمصر انها كانت تحقق الاكتفاء الذاتى للسكان بل كانت تمد الحرمين الشريفين بالغلال والحبوب توسع على سكان الحجاز [٧]

واهتم الحكام المسلمون فى مصر خلال عصر اللاة بشئون الزراعة من حيث تحسين الجسور والطرق مشروعات الرى وظهر ذلك من خلال بناء مقاييس للنيل ليتعرفوا على ارتفاع النيل نظرا لعلاقته الوثيقة برى الاراضى وتحصيل الخراج[٨] ولم يكن العرب هم اول من بنو المقاييس فعندما دخلها وجدوا بها عدا من المقايسس اذ كان هناك مقايس بأهنسا- ومقياس بمنف - ومقياس بقصر الشمع.

١- ناصر حسرو : سفر تامه ، ص ١٨
٢ - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٣٨
٣- ابو حوقل : صره الارض ، ص ١٣٨
٤- الادريسى : نزهة لمشتاق ص ٣٢٤
٥- حسن محمود : حضاره مصر فى العصر الطولون ، ص ٢٠٦ ، عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ض١٦٥
٦- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٢٧
٧- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٥٠
٨- محمد محمدى المناوى : نهر النيل فى المكتبة العربية - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٤٧

وتشير المصادر العربية الى العديد من المقاييس التى انشأت بمصر بعد الفتح الاسلامى لها . بعضها انشاها الوالى عمرو بن العاص مثل مقياس اسوان ودندرة[١] وبعضها من انشاء معاويه بن ابى سفيان مثل مقياس اسنا الذى ظل مستخدما حتى كانت لايه عبد العزيز بنمروان وشيد غيره بحلوان سنه ٨٠ هـ / ٦٩٩م[٢] ، كما شيد أسامة بن زيد التنوخى عامل الخراج فى خلافة الوليد ابن عبد الملك بن مروان مقياسا كبيرا فى جزيرة الروضة سنه ٩٢ هـ / ٧١١م وقد أبطل الخليفة سليمان بن عبد الملك العمل به ، فأقام أسامة بن زيد مقياسا أخر سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ [٣] ثم بنى المأمون مقياسا بالبشرود[٤]

وفى سنه ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م أمر الخليفه المتوكل على الله لعباسى بإنشاء مقياس اروضه [٥] وقد شيده أحمد بن محمد الحاسب [٦] فى ولاية يزيد بن عبد اله التركى [٧]

وكان بلوغ النيل ستعة عشر ذراعا يعد مؤشرا بوفاء النهر وإيذانا ببدء الاحتفال الذى اختلف من عصر لاخر ، حيث جرت العادة أن ينادى على زياده النيل كل يوم منذ أواخر شهر يونية [٨] حتى امر الخليفة المعز لدين الله الفاطمى بإبطال المناداه سنه ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م حتى تصل الزيادة الى سته عشر ذراعا وذلك منها لاحتكار الأقوات وتخزينها فى حالة عدم الوفاء[٩]

وقد نظم الفلاحون بمصر طرقا لرى وزرعة اراضيهم وفقا لفيضان النيل الذى كان يتم بشكل ثابت ويؤكد ذلك المقريزى بقوله : " لولا ماجعل الله فى نيل مصر من حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد ، وهو هبوك الماء فيها عند بدء

١- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٧٥ ، القلقشندى : صبح : جـ ٣ ص ٣٢٧
٢- ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٥٧ ، ٧٦ ، القلقشدى : صبح ، جـ ٣ ص ٢٩٤
٣- المقريزى : الحطط ، جـ١ ص ٥٧ ، ابو المحاسن : النجوم ، جـ٢ ص ٣١٠
٤- هويدا رمضان : المجتمع المصرى ، ص ١٥٠
٥- ابن حلكان : وفيات الاعيان ، جـ ١ ص ٤٤١
٦- المقريزى : الخطط ، جـ١ ، ص ٥٧ ، فيد شافعى : العماره العربية ، جـ١ ص ٣٩١
٧- ابن رمته : الاعلاف النفيسة ، ص ١١٦
٨- المقريزى : الحطط ، جـ ١ ص ٦٠
٩- المقريزى : الحطط ، جـ ١ ص ٦٠

الزراعة لفسد اقليم مصر " وفى ذلك ايضا يذكر الكندى : " ان النيل كان يزيد يترتيب مما يساعدهم على تنفيذ نظام الرى "[1]

وبالنسبه للملكية الزراعيه ، فكانت الآراضى ازراعية ملكا للآهالى يحق لهم التصرف فيها بالبيع والشراء والتوريث والهبة [2]

وكان النظام السائد فى توزيع الاراضى هونظام القبالات ، وكان متولى حراج مصر يجلس فى جامع عمر ويكتب ماينتهى اليه مبالغ الكور على متقلبها من الناس [3]

وكان المتقلبون من الامراء والاشراف وغيهم وكانت القبالات تتم لمدة اربعه سنات حتى تتعادل سنوات المحصول الضعيفة مع المحصول الطيب [4]اما عن وحدة المقاييس الزراعية فكان الفدان هو الاساس المعتمد عليه فى الضريبة العقارية فى مصر منذ الفتح الإسلامى حتى وفتنا الحالى[5] وكانت الوحدة الزراعية هى القبالة وكانت تعرف بإسم صاحبها ثم قسمت الاراضى بعد ذلك الى أحواض وصار الحوض هو الوحدة الزراعية بدلا من القبالة ، وعرف كل حوض باسمه[6] وكانت الاراضى تقاس بالقصبة وبلغ الفدان ٤٠٠ قصبه حاكمية [7]

الثروة الحيوانية :

قام الفلاحون بمصر بتربية الماشية كالبقر فى الصعيد والجاموس بالدلتا[8] حيث اعتنوا بتربيه الاغنام فى شتى نواحى البلاد ، هذا يجانب تربيه الخيل لمكانتها فى الغزو

١- الكندى : فضائل مصر ، ص ٦٣

٢- محمد رفعت : الحضارة العربية ، ص ٩٣محمد رمز : الحضاره اعربيه ، ص ٩٣محمد رمزى : القاموم الجغرفى ، جـ ١ ص ١٧

٣- محمد رمزى : القاموس الجغرفاى ، جـ ١ ص ١٧

٤- سيد كاشف : عصر الاخشيدين ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧

٥- ابن عبد الحكيم : فتوح مصر ، ص ١٥٢ ، محمد رمزى القاموس الجغرفى ، جـ ١ ص ١٠٠٩

٦- المقريرى : الحطط ، جـ ص ١٠٣

٧- كانت القصه عباره عن عود من الغاب طوله ٣٨٥ سم الفلقشندى : صبح ، جـ ٣ ص ٤٤٦ : سعاد ماه محافظات مصر ص ٦

٨- امينه الشوربجى : ص ٢٠٦

والقوة على عدوهم[١] وقد اولى امير مصر عبد العزيز بن مروات الاهتمام بتربية الحيوانات وادخل السلالات القوية واتخذ الفحلة لتحقيق ذلك [٢]

وازدهرت الثروة الحيوانية خلال العصر الفاطمى ، وذلك لما لاقته من اهتمام الخلفاء بتربية انواع عديده من الحيوانات لاستخدامها فى اعمال الحرث والزراعة مثل الإبل والآغنام والماشية والماعز والابقاء التى انتشر تربيتها فى منطقة الصعيد للاستفاده منها فى مجالات عديده[٣]

انتشرت تربية الجاموس فى مصر وخاصة فى الدلتا لعدم تحمله حرارة الجو حيث اتى العرب به من الهند موطنه الاصلى[٤] هذا بجانب تربية البغال والحمير التى كانت منشرة فى شتى انحاء البلاد وكانت تستخدم فى النقل ويذكرها ابن حوقل بقوله " بمصر بغال وحكمير لايعرف فى شئ من بلدان الإسلام والكفر اسير منها ولااحسن ولااسمن غير انها مخطفة الخلق غير عابلة الأبدان ولا رطبة الجسوم ، وقد تجلب الى بعض الاماكن فتتغير وتملأ ابدانها ، وهى الغاية فى السرعة والسير وحسن المشى والوطأه[٥]

هذا بجانب تربية أنواع عديده من الطيور يأتى فى مقدمتها الدجاج والحمام[٦] وقد عرفت مصر نظام تربية الدواجن متبعة نظام الحضانات الخاصة ، حيث يتم التفريخ بطريقة لترقيد الصناعى فى معمل كالتنانير، وتخرج الفراريخ من البيض بكميات كبيرة ويذكر المقريزى:"ان هذه الطريقة هى الطريقة المثلى لانتاج الفراريخ فى مصر الاسلامية[٧] وكانت معامل تفريخ البيض منتشرة فى انحاء مصر ، وزاد اهتمم الفاطمين بها وشجعا

١- ابو عبيد مص بن المنسى : كتاب الخليل ص ١٠٧
٢- بن عبد الحكيم : فتوح ص ١٤٥ القلقشندى : صبح ، جـ ص ٣٤٦
٣- راشد البراوى : حاله مصر الاقتصادية ، ص ٧٥
٤- ادم متر : احضارة الاسلامية ، جـ ٢ ص ٣٤٦
٥- ابن حوافل :صرة الارض ، ص ١٥١ ، ١٥٢
٦- ابن اياس : بدافع الزهور ، جـ ١ ص ٥ ، القلقشندى : صبح ، جـ ٣ ص ٣٤٧
٧- المقريزى : الخطط ، جـ ١

على انتشارها للحصول على الكميات الكافيه من الداواجن لموائد قصورهم ومطابخهم حيث كان الدجاج من الوجبات الرئيسية فى لاسمطة (١)

تربية النحل

عرف عسل النحل بمصر منذ اقدم العصور وكان لعسل النحل المصرى شهرة كبيرةى وقد اعجب الرسول صلى الله عليه سلم بالعسل الذى اهدى اليه من المقوقس حكم مصر، وبارك فيه . وبعد الفتح الاسلامى لمصر كان العسل يدخل ضمن مايدفعه الأقباط لمصريون من جزيه . وقد اهتم المسلمون خلال عص الولاة بتشجيع اقامة المناحل وكذلك خلال العصرين الكولونى والإخشيدى وقد اشتهر ت مدينة بنها خلال العصر الإسلامى ببيعها العسل(٢)

وخلال العصر الفاطمى كانت تربية النحل واستخراج العسل من الآعمال التى مارسها الكثيرون فى مختلف انحاء القطر، وخاصة الاماكن التى تجود فيها زراعة الازهار، وكانت اكبر مراكز انتاجة الفيوم ، وضواحى الفسطاط ، وقليوب لوفرة البساتين بها ، وكان قطف العسل من النحل يبدأ فى شهر برمودة ، ويستمر فى بؤنه ، واخيرا تقطف بقاياه فى ابيب(٣)

وكان الكلب على العسل شديدا خلال العص الفاطمى ، وذلك لاحتياج الحكومة لكميات وفيرة منه لاستخدامه فى صنع الحلوى فى المناسبات المختلفة (٤)

١- البغدادى : الافادة ، ص ٨٠
٢- امينه الشروخى : رؤية الرحالة ، ص ٢١١
٣- ابن مماتى : القوانين ، ص ١٦٥
٤- راشد البراوى : حالة مصر ، ص ٧٧

الصناعة

اشتهرت مصر بجانب انتاجها الزراعى بالعديد من الصناعات الهامة مثل صناعة النسيج والزجاج والبلور ، صناعة الورق البردى والصناعات الخشبية والمعدنية وصناعه الفسيفساء ، الصناعات الغذائية ، وعمل الحصير غيرها

وكانالمصريون عماد الصناعت كلها ساء من اسلم منهم او من بقى على دينه ، وقلما اشتغل العرب بالصناعة خلال القرنين الاول والثانى الهجريين نظرا لانهم احتفظا خلال هذه الفتره بالاعمال الادارية وشئون الحرب ، واستمر ذلك حتى عهد الخليفة المعتصم بالله عندما أسقط العرب من الديون ومنعهم العطاء مما جعل العديد منهم يمارسون الصناعه كمورد للرزق [1]

وعملوا جنبا الى جنب مع المصريين مما زاد من تقدم الصناعات فى مصر وبرعوا فى كافه الصناعات .

صناعة المنسوجات :

كانت مصر بإجماع المؤرخين والرحاله الذين زاروها خلال عصر الولاة ذات شأن عظيم فى صناعة المنسوجات [2]حيث كانت منسوجاتها موضع تقدير فى الدقة والروعه بعد ان اضفى عيها المسلمون مايناسب دينهم الاسلامة[3] وبلغت صناعه النسيج تحت ظل العرب المسلمين درجه من الكمال اذ حرص الخلفاء والاولاه امويون وعباسيون وفاطميون ان يضمنوا لمصر احتكار نسج كسوه الكعبة المشرفة مما ساعد على تطور هذه الصناعه[4]

١- اسيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٥٧ رلشد البراوى : حاله مصر الاقتصادية ، ص ١٣٦
٢- لكندى فضائل مصر ، ص ٩٧ ، ٦٨ ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٥٦ ، ناصر خسرو : سفر نامه ص٩٢،٩٤
٣- سعاد ماهر : النسيج الاسلامى ، ص٧
٤- زكى محمد حسن : بعض التاثيرات القبطية فىالفنون الاسلامية ص ١١

وكانت مصانع النسيج ودور الطراز سواء العامة او الخاصة منتشرة فى شتى المدن حيث اشتهرت كل مدينة بإنتاج منسوجات تنسب اليها ، فقد اشتهرت الاسكندرية بإنتاج القصب الذى تصنع مهنه العمائم وملابس النساء[١] وكذلك الشرب من الكتان [٢] والنبيق والبقلمون[٣] بجانب انتاج المنسوجات الصوفية والمنسوجات الحرارية [٤] واشتهرت دمياط ديبق بإنتاج المنسوجات بشتى انواعها حيث كانت تنتج الثياب المصقلة العمائم والشرب الملونه والمنسوجات التى كان يطلق عليها ديبقى وشطا ودميرة وتونه التى كان يصنع بها كسوة الكعبة[٥]

وفى الوجه القبلى اشتهرت البهنسا التى كانت تنسج بها الستور المعروفة بالبهنسية وقد كان من فضائل مصر طراز البهنسا من الستور والمضارب مما يفوقون به طرز اهل الدنيا[٦] والاشمونين التى كانت تنتج المنسوجات تصنع الثياب وتصدرها الى مدينه الفسطاط وتباع بأسواقها[٧] وانتجت اسيوط المنسوجات الكتانيه والصوفيه بجانب الثياب الثقيلة والدقيقة وكانت تصدر من اسيوط الى خارج مصر كما انتجت نوعا من المفروشات الامنيه التى تشبة القرمز والمفروشات الارمنية من حيث الجودة والدقة [٨]ومدينة شطا التى كانت مشتهرة بصناعة النسيج الشوطى ، وكان يعمل بها من الثياب القصب وكسوة الكعبة [٩]

واشتهرت مدينة أخميم بإنتاج العديد من المنسوجات الحريرية وكانت مشهوره بعمل الملاءات القطنية والحرارية [١٠] وايضا يعمل بها المفروشات القطوع الاخميمية .

١- عبد امنعم سلطان : المجتمع المصرى ص ١٣٥
٢- حسن محمود : حضارة مصر فىالعصر الطولون : ص ٢١١
٣- امقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٣٨
٤- اشد البراوى : حاله مصر،ص١٣٥،سيجه كاشف:عصر الولاة،ص١٦٢،سالم:تاريخ الاسكندرية ص٢٠٨، عطية القوصى تجارة البحر الاحمر ، ص٢١٩
٥- ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ص ٢٦٢
٦- ابن ظهره : الفضائل الباهرة ، ص ٦٣
٧- عاصم محمد زق : مراكز الصناعه فى مصر ص ٢٧٤ ، ٢٧٥
٨- عاصم محد رزق : مراكز الصناعه ، ص ٢٨١
٩- المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ جـ ٢٧
١٠- الاصطحرى : لمسالك والممالك ، ص ٠

ومدينه قوص - احدى مدن محافظة قنا . كانت ضمن المدن اشهيرة بإنتاج المنسوجات الكتانيه والقطنية والحريريه وكانت تباع فى جوانب المدينه [١] ومدينة اسوان راجت بها صناعه الحبال من الصوف والقطن وصنعت بها القطع النسيجية التى كانت تلف اجساد الوتى من الكتان[٢]

صناعة الأصباغ

ومن الصناعات المرتبطة بالنسيج صناعة الاصباغ حيث استخدم المصروين والعرب اجود انوع الصبغة من مواد الصباغة الطبيعيه سواء كانت نباتيه أو حيوانيه أو معدنية مثل الكركم وفشر الرمان والحناء والنيلة واشب [٣] وكانت الالوان ضروية فى كثير من الاحيان قد امكن الحصول على اللون الاحمر من ماده اللهلى التى جلبها العرب من الهند والقرمز من بلاد أرمينيه[٤] اشتهرت مدينه اخيم باستخلاص العصاره الحمراء من نبات السلجم الذى كان ينمو بالقرب منها وكانوا يستخرجون اللون الاحمر ايضا من معدن الزرنيخ الاحمر والزنجر الرمانى[٥] اما اللون الآزرق فكان يستخرج من شجرة النيلة وكان متفرا بمصر ، وكانت الشبة تستخدم فى تثبيت الالوان[٦] وكان الزعفران والعصفر والكركم يستخدم لحصول على اللن الاصفر[٧]

صناعه الحصير

كانت صناعة الحصير صناعه يدوية وتقوم على نبات البوص أو السمار أو سعف النخيل المجدول بحبال القنب او نبات البردى والحلفا ، والأليفاف الكتانية وقش الارز [٨] وكان استعمال الحصير مهما لفرش المساجد والمدارس والكتاتيب وادور السكنية كما

١- السيد طه ابو سديره الحرف والصناعات ، ص ٤١
٢- المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ جـ ٢٧
٣- الاصطحرى : المسالك والممالك ص ١١٠
٤- السيد طه ابو سديره الحرف والصناعات ص ٤١
٥- المقريرى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٧٢
٦- ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٢٨
٧- السيد ابو سديرة : الحرف والصناعات ص ٤٣
٨- سعاد ماهر النسيج الاسلامى ص ١٣٥ سعاد ماهر الحصير ص ٢٥ ، ٢٦

استعمل نوع من الحصير السميك فى تغطيه جثث المزتى او فوق توابيت الموتى بجانب تغطيه الوسائد والارانك[١] ومن المدن التى اشتهرت بصناعة الحصير مدينة الاسكندريه التى كان بها مناسج للحصر السامانى والعبدانى [٢]، كمان كانت الفساط من المدن الشهيره بصناعة الحصير وكان بها تسعمائة منسج للحصير[٣]، كما اشتهرت مدينة منوف والفيوم وكدلك ادفو وارمنت وكل من اسيوط واخميم والبهنسا والاشمونينين [٤]

صناعة الفخار والزجاج

اشتهرت مصر من قديم الزمان بصناعة الاوانى الفخارية وذلك لسد حاجتها المحلية استمرت هذه الصناعه فى ظل الحكم الاسلامى وظلت البلاد تنتج الاوانى الفخاريه مثل المسارج [٥] كما صنعت من الفخار القوارير التى كانت تستخدم للاضاءه او الزينه وصنج للوزن ، بجانب استخدامها فى حمل ماء زمزم اثناء عوده الحجاج بجانب صناعه القلل الفخاريه [٦]

وصنعت من الفخار الأوانى والاوعية لحفظ الخل والعسل والنبيذ بجانب صناعة الانابيب الفخارية لاستخدامها فى توزيع المياه داخل الدور والمنازل فى المدن المصريه وقد بلغ من انتشار صناعه الفخار او الفخارين كانوا يصنعون مجموعات من لعب الاطفال بأشكال العرائس والفرسان والحيونات[٧] وصنعت من الفخار بعض ادوات المكاييل والاختام[٨] وقوارير النفط الفخارية من عجينه الفخار بعض أدوات المكاييل والأختام[٩].

١- ابن عبد ربه العقد الفريد ، جـ٢ ص ١٨٤ سعاد ماهر · الدصير ص ١٣، ٨٩
٢- ابن ظهيرة الفصائل الباهرة ،ص٢٨ ، محمد عبد العزيز سالم . تاريخ الاسكندريه ، ص ٥٢٩
٣- البغدادى : الافادة ص ٥٧
٤- السد طه ابو سديره : الحرف والصناعات ، ص ٣٧٦
٥- كانت المسارح عباره عن اشكال بيضاية او مستطيله ترتكز على ارجل صغيره استخدمت للاضاءة ، عبد اب يد : احوال المجتمع فى حواضر مصر ص١٩١
٦- عبد العزيز مرزوق : الحياة الفنيه فى مصر الاسلامية ص ٦٠١
٧- زكى محمد حسن : الفنون ، جـ ١ ص ٦٦
٨- السيد أبو سدير : الحرف والصناعات ، ص ١١١ ، ١١٢
٩- عيد محمد على : أحوال المجتمع في حواضر مصر ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

وقوارير النفط الفخارية من عجينة سميكة عل أشكال مختلفة في بعض أجزائها بروز حتى يسهل مسكها[١] .

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الفخار الإسكندرية والأقصر ومدينة قنا وقوص[٢]

صناعة الزجاج :

استمرت صناعة الزجاج في مصر كما كانت عليه قبل الفتح ، حيث وجدت الرمال الجيدة التي استخدمت في الصناعات الزجاجية بالقرب من الإسكندرية وأرمنت وسقارة، وأنتجت البلاد الكثير من الأواني والقوارير والكئوس والأكواب والأطباق والزهريات والدوارق للاستعمال المنزلي أو لحفظ الزيوت والعطور ، والأختام والمصابيح مخروطة الشكل[٣] . هذا بجانب إنتاج المصابيح والقناديل وألواح الزجاج والشمسيات[٤] .

ومن المدن التي اشتهرت بالمنتجات الزجاجية الإسكندرية والبهنسا والفيوم والأشمونيين[٥] . وكانت الفسطاط من أهم مراكز صناعة الزجاج واستمرت حتى أواخر القرن السابع الهجري[٦] .

صناعة الورق :

قامت صناعة القراطيس في مصر علي نبات البردي الذي كان ينمو بكثرة حول مستنقعات الدلتا والفيوم[٧] . وذكر المقريزي أن البردي كان ينمو في صعيد مصر[٨] . وكثر استخدام البردي في الدولة الإسلامية ويذكر ابن الفقيه - من علماء القرن الثالث الهجري- أنه كان لأهل مصر القراطيس التي لا يشاركهم فيها أحد[٩] .

١- زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص ١٧٣ .
٢- السيد أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ١١٣ .
٣- ديماند : الفنون الإسلامية ، ص ٢٣ ، عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية ، ص ٢٢٧ .
٤- ديماند : الفنون الإسلامية ، ص ٢٤ ، نعمت إسماعيل علام : الفنون الإسلامية ، ص ٢٥١ .
٥- زكي محمد حسن : أطلس الفنون ، ص ٢٥١ ، أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، ص ٢٧٢ .
٦- ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ص ٣٦ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٤٢ .
٧- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ١٣٦ ، محمد دراز : نباتات مصر ، القاهرة ، جـ ١ ص ٢ ، ٣ .
٨- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٤٣ .
٩- ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ٦٦ .

ومن المدن التي اشتهرت بصناعة الورق من البردي مدينة الأسكندرية [١] ومدينة بورة [٢] ، ومن مراكز هذه الصناعة أيضا أسوان وأوسيم[٣] .

وكان الصناع المصريون يجيدون عمل أنواع البردي منه ما نعم وغلا ثمنه وما خشن ورخص وقيل أن المصانع المصرية كانت تنتج سبعة أصناف من ورق البردي[٤] ، وظلت مراكز الصناعات تنتج من القراطيس أو الطوامير طيلة ثلاث قرون بعد الهجرة ، وكان الصناع يعملون منها ما يبلغ طوله ثلاثين ذراعا وأكثر[٥] .

وتعرضت صناعة البردي إلي التدهور والاضمحلال وذلك خلال العصر الإخشيدي ، حيث ظهرت صناعة الورق في مصر سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م وحلت محل ورق البردي[٦] ، كما أحل الكاغد الذي يصنع في سمرقند والصين وبعض مدن الشام محل البردي[٧] ، وكان يصنع من الكتان ، وكانت قراطيس سمرقند لأهل المشرق وقراطيس مصر لأهل المغرب[٨]

وانتشر الكاغد في مصر خلال القرن الرابع الهجري وكان بالفسطاط سوق كبير للوراقين[٩] .

ومن مراكز صناعة الورق في مصر مدينة أسيوط بالصعيد ، وكذلك كان بالإسكندرية مصانع للورق[١٠] .

الصناعات الغذائية :

احتلت الصناعات الغذائية مكانتها بين الصناعات الأخرى ، وتميزت مصر بوفرة خيراتها وكثرة إنتاجها الزراعي والحيواني مما ساعدها كثيرا في قيام العديد من هذه

١- صفي على محمد : مدن مصر الصناعية ، ص ١٩٤ .
٢- اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٣٣٨ .
٣- محمد الكندي : فضائل مصر ، ص ٢٣ ، ابن ظهير : الفضائل الباهرة ، ص ٥٦ .
٤- أرشيبالد لويس : دراسات إسلامية ، جـ ٢ ، ص ٣٦٥ ، أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جت ٢ ص ٣٣٦ .
٥- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٩١ .
٦- أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٥٧ .
٧- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٢٣٨ .
٨- ابن النديم : الفهرست ، ص ٢١ .
٩- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٢٣٨ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٣٠ .
١٠- هويدا رمضان : المجتمع ، ص ١٧٨ .

الصناعات ، ويذكر المقريزي مصر بقوله "فأهلها يستغنون بها عن كل بلد حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا بسور ، لإستغنى أهلها بما فيها عن جميع الأرض"(١)

ويأتي في مقدمة الصناعات الغذائية صناعة السكر والعسل وقد اعتمدت هذه الصناعة على قصب السكر الذي كان يمثل العمود الفقري لهذه الصناعة ، وقد أدخل العرب هذه الصناعة إلى مصر بعد الفتح الإسلامي بعد أن عرفوها من شرق أسيا (٢) ، وكانت زراعة قصب السكر منتشرة في مصر كما ، كرنا ، وقد زرعه قرة بن شريك والي مصر في عهد الوليد بن عبد الملك (٩٠/٩٦هـ - ٧٠٨/٧١٤م) في بركة الحبش بعد استصلاحها (٣) .

وكانت صناعة العسل واسعة الانتشار في المناطق التي اشتهرت بزراعة القصب(٤) ، أما صناعة السكر (٥) فقد كانت منتشرة في مناطق عديدة حيث كانت له مصانع خاصة أطلق عليها المسابك أو المطابخ ، ولم تقتصر صناعة السكر مثل الفسطاط ، كما اشتهرت بصناعة السكر مدينة أسيوط التي كان بها سائر أنواع السكر ومنها كان يحمل إلي جميع الدنيا (٦) ، ويذكر الأدفوي ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م أن مدينة قوص كانت أكثر بلاد الله قصبا ومنها يجلب السكر إلى بلاد مصر والحجاز والحبشة (٧) ، وأضاف أن فقط كان بها أربعون مسبكا للسكر (٨) .

وكانت ترنوط – إحدي قري غرب الدلتا – من أهم مراكز صناعة السكر في مصر خلال العصر الإسلامي ويذكرها ياقوت الحموي بقوله : "وبها معاصر للسكر"(٩)، واشتهرت رشيد بصناعة السكر وكان يجلب منها إلي جميع الممالك(١٠) .

١- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٨ .
٢- نعيم زكى فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٢٠٨ .
٣- الكندي : الولاة ، ص ٦٥ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٨ .
٥- صناعة السكر : فكانوا إذا حل شهر هاتور بدءوا في جمع القصب للمعاصر وتجميع الاتبان وترتيب العمال لعمل القصب حزم وتجهيز الأمطار وهو ما يستخدم في وزن السوائل وفي شهر كيهك كان العمال يعصرون القصب بالمعاصر الخاصة حيث كان يوجد بها أحجار خاصة لأعتصارها ، وكان يوجد في كل معصرة ما بين حجر أو أربعة حجارة وتدار بها الأبقار أو الأنفار ، النابلسي : تاريخ الفيوم ، ص ٧٠ ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٢٤ .
٦- القزوينى : آثار البلاد ، ص ٤٧ .
٧- الإدفوي : الطابع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد ، القاهرة ١٩١٤م ، ص ٨ ، ٤٤ .
٨- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٨ .
٩- محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص ١٢٧ .
١٠- محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص ١٢٧ .

ومن مراكز هذه الصناعة أيضا الفيوم ، حيث كان بها معاصر ومطابخ للسكر بجهة سنورس ، وكانت مدينة ملوي تضم عدة أحجار لاعتصار القصب ، وأيضا مدينة سمسطا التي كانت تقع بالقرب من البهنسا والأشمونيين وسمهود ، ويدل على كثرة إنتاج العسل والسكر في مصر قول الرحالة ناصر خسرو الذي زار مصر خلال العصر الفاطمي "أن مصر تنتج عسلا وسكرا كثيرا" .

صناعة الخمور :

كانت صناعة الخمور منتشرة ف مصر بعد الفتح الإسلامي لها ، هذا وقد تم تحريم الخمور في القرآن الكريم في قوله تعالي : ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ (1)

وقد انتشرت حانات خمور من الفسطاط وفي الأديرة ويدل على ذلك أوامر الولاة خلال القرنين الأول والثاني الهجريين بإغلاقها ، فعلي سبيل المثال أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز رسائل إلى أهل الأمصار يأمرهم فيها بترك الشراب ، فأرسل عامله على مصر - أيوب بن شرحبيل ٩٩/١٠٦هـ - ٧١٧/٧٢٤م ولأهل مصر في النهي عن الخمور فحرمت وكسرت آلاتها وعطلت حاناتها(2) ، وفي ولاية على بن سليمان على مصر ١٦٩/١٧١هـ - ٧٨٥/٧٨٧م أمر بإغلاق الملاهي ومنع بيع الخمور(3) .

وكانت الأديرة المنتشرة بمصر مركزا من مراكز صنع الأنبذة من الكروم(4) مثل دير القصير ، ودير نهيا ودير مرحنا(5) ، وكان يجتمع في قاعات شراب الأديرة وبساتينها أهل البطلان واللهو وكان بعض الأمراء يعقدون مجالس الشراب واللهو بالأديرة ، ومثال لذلك خمارويه الذي أمر أن يبنى له في أعلي دير القصير طبقة لها أربع طاقات على الجهات الأربع(6) .

١- سورة المائدة : من الآية ٩٠ .
٢- الكندي : الولاة والقضا ، ص ٦٨ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ص ٢٣٨ .
٣- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٢ ص ٦٢ ، ١٣٢ .
٤- حبيب زيات : الديارات النصرانية في الإسلام ، بيروت ١٩٣٨ ، ص ٣٥ .
٥- صفي على محمد : مدن مصر الصناعية ، ص ٢١٦ .
٦- ابو صالح الأرمني : كنائس مصر وأديرتها ، ص ٢٦١ .

واشتهرت بصناعة الخمور مريوط والجيزة وقليوب والفيوم ، حيث كان ينمو بها الكروم بكثرة وكان النصارى هم القائمين على هذه الصناعة[١] .

ومن المواد الغذائية شراب العسل – الفقاع – كان يعرف باسم الشراب العسلي أو نبيذ العسل وكان لا يعمل إلا بمصر [٢]،واشتهرت بصناعته شبرا الخيمة ودمنهور[٣]، وكان شراب المزر (البوظة) من شراب العوام في مصر وكان يتخذ من القمح[٤]،واشتهر بصناعته أهل السودان الذين كانوا يقيمون في مصر[٥].

صناعة الزيوت والصابون والشمع :

كانت أنواع الزيوت الجيدة تأتي البلاد الإسلامية من الشام وشمال أفريقية[٦] هذا بجانب الإنتاج المحلى حيث اشتهرت بعض المدن المصرية باستخراج الزيوت من بذور اللفت والفجل والسلجم والخس والقرطم والحنظل ، بالإضافة إلى ذلك استخراجه من الزيتون ، حيث كان يستخرج منه زيت رخيص يستخدم فى الطعام والإضاءة[٧] .

وكان من أهم أنواع الزيت ما كان يستخرج من السمسم وكان يعرف باسم الشيرج وكان مرتفع الثمن ، وعلى الرغم من قلة السمسم فإن زيته كان غزيرا[٨] .

وقد اشتهرت العديد من المدن باستخراج الزيوت يأتي في مقدمتها مدينة الفسطاط وما حولها ، حيث يذكر ابن دقماق : "إن هذه الصناعة قامت بدرب المعاصر بالفسطاط"[٩] . كما أضاف أنه كان بكل من شبرا الخيمة وقليوب معاصر سيرج[١٠] ،

١- المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٧ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ١٣٠ .
٢- المسعودي : التنبيه والإشراف ، جـ ١ ص ٢٠ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٣٣ .
٣- المسعودي : التنبيه والإشراف ، جـ ١ ص ٢٠ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٣٣ ، ياقوت : معجم البلدان، جـ ١ ص ٦١ .
٤- البغدادي : الإفادة ، ص ٤٣ .
٥- خسرو : سفر نامه ، ص ١٢٩ .
٦- راشد البراوى : حالة مصر ، ص١٨٠ .
٧- جروهمان : أوراق البردى ، جـ٥ ص٥٢ ، ٥٣ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٥ ص ١٢٢ .
٨- ناصر خسرو : سفر نامه ، صـ١٢٥ .
٩- ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ص ٤٦ ، ٤٨ .
١٠- ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ص٤٧ ، ٤٨ .

وكان زيت الفجل فى مدينة سخا[١] ، وكانت سندفا – إحدى مدن المحلة – من أهم مراكز عمل الزيت حيث كان بها سوق زيت حسن [٢] ، كما اشتهرت ترنوط – إحدى قرى غرب الدلتا بمعاصر الزيوت[٣] ، وكانت أهم معاصر الزيت البهنسا ، وفى مدينة الفيوم[٤] .

قامت صناعة الصابون على الزيوت المستخرجة من بذور النباتات ، هذا بجانب أن العرب كانوا يصنعونه بمزج الصودا بشحم الأغنام أو الزيت[٥] ، ويذكر الإدريسى مدينة قفط أنه كان بها مزارع كثيرة للبقول مثل اللفت والخس ، فكانوا يجمعون بذورها ويطبخونها ويستخرجون أدهانها ويصنعون منها أواني من الصابون يتصرفون به في جميع أرض مصر ، ومنها يتجهز إلى كل الجهات[٦] .

وكان بمدينة الفسطاط والإسكندرية مطابخ للصابون ويذكر البغدادى أن صابونه أحمر وأصفر وأخضر[٧] .

صناعة الشمع :

اشتهرت مصر بصناعة الشمع على اختلاف أحجامه بما فيه الصغير يحمله الأطفال وكبير تزن الواحدة منه بضعة أرطال[٨] ، ويذكر ابن ظهيرة : "أن بمصر الشمع الذي يفضل شمع الدنيا"[٩] ، وكان الشمع يستخدم فى الإضاءة داخل المساجد ، والقصور ، والمنازل ، وكذلك في الطرقات والحوانيت[١٠]

وقد ارتبطت صناعة الشمع بتربية النحل ، وكان صالح بن على والي مصر سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م هو أول من اتخذ الشموع الكبيرة ، وكان للمصريين مهارة كبيرة في عمل

١- ابن حوقل : سورة الأرض ، ص ١٣١ .
٢- المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٤٦٢ .
٣- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٢ ص ٢٧ .
٤- أبو سديرة : الحرف والصناعات ، ص ٣٢٨ .
٥- عطية القوصي : الحضارة الإسلامية ، ص ١٢٤ ، راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٨٢ ، ٣٨٢ .
٦- الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ٤٨ ، ٤٩ .
٧- البغدادي : الإفادة والاعتبار ، ص ٤٢ .
٨- المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٤٦٥ ، ٤٩١ .
٩- ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص ١٣٣ .
١٠- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٥ ص ١٢٢

الشمع حيث كانوا يستخلصونه من خلايا النحل[١]، وكانت الإسكندرية أكبر مراكز صناعة الشمع في مصر الإسلامية[٢]، حيث توفرت بها مقومات صناعته من مواد خام بجانب رطوبة الجو الذي يؤثر في تماسك المواد المصنوعة منها الشمع[٣]، هذا بجانب انتشار صناعته في دمياط وتنيس فضلا عن الفسطاط[٤].

صناعة الروائح العطرية :

اشتهرت مصر أيضا بالزيوت العطرية التى كانت تستخرج من الأزهار لصناعة الروائح من الياسمين والبنفسج، وكان زيت الياسمين من العطور المشهورة، وكان من أهم أنواع هذه الزهور النرجس والورد والياسمين وغيرها وكانت الفيوم مركزا لاستخراج ماء الورد[٥]. كما كان يستخرج بمصر زيت يعرف بزيت الخردل يفيد في علاج بعض الأمراض[٦]

الصناعات الخشبية :

برع المصريون خلال العصر الإسلامي في العديد من المصنوعات الخشبية وذلك بالرغم من قلة الأخشاب في مصر، وكانوا يستوردون من البلاد المجاورة ما يلزمهم من خشب الأرز والصنوبر والأبنوس والساج وغيرها[٧].

وكان يوجد بمصر من الأخشاب المحلية ما يصلح لأعمال النجارة البسيطة مثل شجر الجميز والتوت والسنط والبندق والزيتون والسرو والنخيل والأثل

وهذه الأخشاب منها المستورد ومنها المحلي، وأنتجت مصر العديد من المصنوعات الخشبية، يأتى في مقدمتها صناعة السفن بأنواعها المختلفة، وصناعة أثاث المنازل من

١- أبو سديرة : الحرف والصناعات، ص ٣٤٢ .
٢- راشد البراوي : حالة مصر الإقتصادية، ص ١٨٢ .
٣- حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية، ص ٥٩٥ .
٤- ابن الكندي : فضائل مصر، ص ٦٩ .
٥- صفي على محمد : مدن مصر الصناعية، ص ٢١٣ .
٦- السيوطي : حسن المحاضرة، جـ٢ ص ١٩٣، ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية، جـ٢ ص ٣٥ .
٧- زكى محمد حسن : بعض التأثيرات القبطية، ص ٦٣، سيدة كاشف : عصر الولاة، ص ١٦٨ .

دواليب وموائد وكراسي وسراير وعمل سقوف البيوت والأبواب والنوافذ[١]، وكذلك صناعة محاريب الجوامع والمساجد والمنابر وربط القوائم بعضها ببعض، وعمل القباب وتدعيمها[٢].

هذا بجانب صناعة أدوات الطهي مثل القدور وأدوات المائدة من خشب الخلنج والجزع[٣]، وكذلك عمل السواقي وآلات رفع المياه، والمحاريث والطواحين والمعاصر، والأنوال المستخدمة في عمل النسيج والحصير[٤]، وأيضا صناعة المكاييل المستخدمة تقدير المحاصيل الزراعية[٥]، وكانت هذه الصناعات منتشرة في شتى أنحاء البلاد بمصر خلال العصر الإسلامي.

الصناعات المعدنية:

اشتهرت مصر بالصناعات المعدنية قبل الفتح الإسلامي وظلت صناعات المعادن قاعدة لمصر بعد الفتح، وقد استخدمت الصناعات القائمة على خام الحديد أساس لاحتياجات الأهالي من المصنوعات البسيطة إلى جانب بعض آلات الحرب كالسهام والسيوف والرماح والبلطة.

وكان الحديد يستخدم في عمل السروج ولجم الخيل والخوذ[٦]، وقد اشتهرت مدينة دلاص بصناعة اللجام الدلاصية[٧]، ويذكر الادريسي ت سنة ٥٦٠هـ "أنه كان بدلاص ثلاثمائة حداد يعملون هذه اللجم[٨]، وكان بالقاهرة سوق يسمي سوق اللجمين[٩].

١- أبو المحاسن : النجوم ، جـ٣ ص ١٦ ، المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٣١٥ .
٢- ابن دقماق : الانتصار ، جـ٥ ص ٦٢ ، ٦٣ .
٣- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ١٦٩ .
٤- راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٧ .
٥- المسبحي : أخبار مصر ، ص ٢١٣ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ١ ص ٢١٨ .
٦- حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٣ .
٧- اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص ٢٣١ ، أبو صالح الأرمني : تاريخه ، ص ١١٦ .
٨- الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٥١ .
٩- المقريزى : الخطط ، جـ٢ ص ٩٨ .

ومن الصناعات المعدنية صناعات الذهب والفضة حيث صناعة الحلى والأساور والقلائد وغيرها ، بجانب استخدام الذهب والفضة في تزيين السروج والسيوف والمصاحف وتزين الملابس والعمائم[1] .

وتمثلت الصناعات المعدنية أيضا في صنع بعض الآلات الزراعية البسيطة مثل المنجل والفأس والسواقي والمحراث بجانب استخدامه في صنع المكاييل[2] ، ومن المعادن أيضا صنعت بعض أدوات الترف مثل المباخر[3]واستخدام الحديد في عملية بناء السفن[4]

وكانت صناعة التكفيت [5]من الصناعات المعدنية الرائجة ، حيث كان للنحاس المكفت رغبة عظيمة فلا تكاد تخلو دار في مصر من بعض قطع النحاس المكفتة ، حيث كان لازما وجود دكه تشبه السرير مصنوعة من خشب مطعم بالعاج والأبنوس وفوق هذه الدكة دست من النحاس الأصفر مكفت بالفضة[6]، وكان بالفسطاط مسابك النحاس الأصفر والفولاذ بأرض الحسينية خارج القاهرة[7].

ومن المعادن أيضا صنعت العملة بأنواعها المختلفة وهي الدنانير الذهبية والدراهم الفضية بجانب بعض النقود النحاسية والبرونزية[8] .

١- المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٢٢٦ .
٢- حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٢٥٣
٣- أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، ص ٢٨٣ .
٤- راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٧٢ .
٥- التكفيت : هو تطعيم التحفة بمعدن أغلى من المعدن المصنوعة منه ، وذلك بأن يحفر على سطحها أماكن تملأ بالذهب أو الفضة أو غيرها . عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ص ١٤٩ .
٦- راشد البراوي : حالة مصر ، ص ١٧٤ ، عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية ، ص ١٤٩ .
٧- المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٤١٣ .
٨- المقريزى : شذور العقود في ذكر النقود الإسلامية ، ص ١٣ ، الكريملي : النقود ص ٨٩ .
Stanly : Calalogue Arabic Coins, P. 195 , 197 .

التجارة

عندما دخل العرب والمسلمين مصر ، عملوا على استغلال الوضع التجاري المزدهر فيها لصالحهم ، فساروا على نفس السياسة السابقة لعهدهم ، وهى سياسة حرية التجارة .

وساعد موقع مصر الجغرافي منذ أقدم العصور على احتلالها مركزا تجاريا مهما ، وكانت مصر خلال القرن الأول الهجري - السابع الميلادي مزدهرة تجاريا ويذكر أن الإسكندرية خلال هذه الفترة كانت ملتقى تجارة العالم كله ، وتوافدت عليها أعداد غفيرة من التجار لشراء ما بها من بضائع[1] .

وقد زاد الاهتمام بالتجارة بصورة كبيرة خلال عصر الولاة من سنة ٢٠ - ٢٥٤هـ/ ٦٤٠- ٨٦٨م ، ويظهر ذلك بوضوح في الاهتمام الذي نتج عنه إعادة حفر قناة أمير المؤمنين التي كانت تصل البحر الأحمر بالنيل[2] ، وبلغت التجارة أوجها في عصر الدولة الطولونية ٢٥٤ - ٢٩٢هـ إذ اهتم أحمد بن طولون بالتجارة اهتماما كبيرا ، وجعل مصر مركزا للتجارة العالمية في عهده ، ويؤكد ذلك قول الرحالة ابن خرداذبة عن التجارة في أواخر القرن الثالث الهجري ، فقد تحدث عن التجار اليهود الراذانية الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية ، وذكر : "أنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق برا وبحرا ، ..." [3] .

وفي عصر الدولة الإخشيدية وفد إلى مصر مجموعات أخرى من التجار اليهود من سوريا ، فقاموا بدور هام في تجارة المرور بين مصر والشرق ، هذا بجانب جالية كبيرة من الفرس[4] .

١- هويدا رمضان : المجتمع ، ص ١٩٥ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٧١ ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٧٥ .
٣- ابن خرداذبة : المسالك ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .
٤- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٧٩ .

وكان من أشهر تجار مصر خلال العصر الطولونى التاجر محمد الجوهرى صديق ابن طولون ، والذي كان له وكلاء كثيرون في أسواق الشرق كلها[1] ، ومن أشهر التجار في الدولة الإخشيدية أبو بكر محمد بن على المادرائي ت سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م ، والتاجر اليهودي "يعقوب بن كلس" الذي قدم من سوريا سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٢م ، وأقام بالفسطاط واشتغل بتجارة الشرق[2] .

ومن التجار "عفان بن سليمان بن أيوب أبو الحسن" الذي أقام مصر ، وأوقف بها أوقافا كثيرة على أهل الحديث وعلى سلالة العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم ، وكان بزازا ، ولما توفي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م استطاع الإخشيد أن يأخذ من ماله نحو مائة ألف دينار[3] .

وخلال العصر الفاطمي ازداد النشاط التجاري في الفسطاط والقاهرة حيث يقيم بها الأعيان وأصحاب الإقطاعات ، ويكثر توافد الناس ، وكانت الفسطاط من أهم مراكز مصر التجارية لموقعها على النيل وتوسطها بين الوجهين القبلي والبحري[4] .

هذا بجانب المراكز التجارية الأخرى مثل مدينة دمياط التي تميزت عن غيرها من المدن بازدهار التجارة ، وأصبحت الميناء الوحيد لمصر في الجزء الشرقي من البحر المتوسط، وكذلك مدينة قوص كانت من مراكز التجارة الداخلية فقامت بها الأسواق الكبيرة لوقوعها عند نهاية طريق القوافل بين البحر الأحمر والنيل ، وكان للأسواق شأن كبير في التجارة الداخلية[5] .

١- هويدا رمضان : المجتمع ، ص ١٩٦ .
٢- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٨٠ .
٣- ابن سعيد : المغرب ، ص ١٧ ، الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٥٤٣ .
٤- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٥٨ .
٥- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٦٠٠ .

وبالنسبة للتجارة الخارجية كانت مدينة الإسكندرية أهم ثغور مصر الإسلامية مما جعلها سوقا تجارية مهمة وحلقة الاتصال بين طرق التجارة العالمية ، ويصفها المقدسي بأنها "قصبة نفيسة على بحر الروم"[1] ، ويذكرها الإدريسى بقوله : "وهى بلدة كثيرة العمارة رائجة التجارة وأسواقها كثيرة الاتساع"[2] ، وقال عنها القلقشندي : "وإليها تهوى ركائب التجار في البر والبحر وتمير – تأخذ – من قماشها جميع أقطار الأرض"[3] ، وكانت محطًا للأساطيل التجارية القادمة من بلاد المغرب والأندلس وجنوب أوربا[4] ، هذا بجانب مدينة تنيس ، التى كانت مركزًا هامًا من مراكز التجارة في مصر[5] ، والفرما التي كانت من المراكز التجارية الداخلية الهامة وكانت تستقبل تجارة سورية وسائر أقاليم شرق البحر المتوسط[6] .

الطرق البرية :

١. الجسور والمعديات :

كانت هناك العديد من الجسور بجانب دورها الأساسي في تسهيل عملية النقل والحفاظ على البلاد من الفيضانات ، كانت تستعمل كطرق للتجارة الداخلية بين القرى والمدن[7] ، هذا بجانب العديد من الطرق البرية الأخرى منها :

- الطريق البري الذي يصل بين الفسطاط والقاهرة وأسوان مارا بقوص وعيذاب ومنها تنقل التجارة بواسطة المراكب النيلية عبر نهر النيل[8] .

١- المقدسي : حسن التقاسيم ، ١٩٦ .
٢- الإدريسى . نزهة المشتاق ، ص ٣١٩ .
٣- القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص ٤٧٢ .
٤- سالم : تخطيط مدينة الإسكندرية ، ص ٧٧ ، ٧٨ .
٥- ناصر خسرو : سفر نامة ، ص ٦٠ .
٦- أمينة الشوربجي : رؤية الرحالة ، ص ٣٢٥ .
٧- راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٢٨٤ .
٨- المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ٨٧ ، ٨٩ .

- الطريق البري الذي يربط بين القاهرة والإسكندرية مارا بمدينة وردان - إحدى مدن الجيزة - وترنوط وكوم شريك ، والدلنجات ، ودمنهور ، ومدينة سلطيس والكربون ومنها إلى الإسكندرية وهذا الطريق كان على الجانب الغربي لفرع رشيد[1] .

- وكان هناك طريق بري يربط بين الفسطاط ومدينة الإسكندرية مارا بمدينة ذات السلاسل ، وترنوط ، وكوم شريك ثم الكريون . ثم إلي الإسكندرية ، وكانت المسافة بين الفسطاط والإسكندرية تستغرق حوالي ستة أيام[2] .

أما المعديات فكانت تقام عند المدن التجارية الكبرى مثل الفسطاط والروضة وبين روضة الجيزة ، وكان الجسر عبارة عن مراكب مصطفة بعضها بجوار بعض[3] .

وكانت هناك العديد من الطرق البرية الدولية التى تربط بين مصر والمدن الأخرى منها :

- الطريق البري بين القلزم ومكة يمر بالطور إلى الحجاز.
- الطريق البري بين مصر والشام والعراق ، ويبدأ من الفسطاط مارا بفاقوس والفرما والعريش ورفح وغزة أما الطريق إلى دمشق فيبدأ من الفسطاط ويمر ببلبيس ثم إلي الفرما فالرملة ومنها إلي طبرية وينتهى في دمشق[4] .
- الطريق البري الذي يربط بين الأسكندرية وثغور الشام وبيروت وصور وصيدا ويرتبط بالطريق البري حتى جزيرة فيلكه إلى إيران والهند والصين[5] .
- الطريق البري الذي يربط الفسطاط وبلاد المغرب مارا بالإسكندرية[6] .

١- بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٧٣ ، ٢٦٧ .
٢- الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ٣٦٦ .
٣- المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٢٧ .
٥- ابتسام مرعي : علاقة الخلافة الموحدية بالمشرق ، ص ٢٨٠ .
٦- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١١٦ .

الطرق النهرية والمائية :

- الخلجان والقنوات والترع وكانت تستخدم كوسيلة لنقل البضائع بواسطة النهرية ، مثل خليج الإسكندرية ، حيث كان يربط الإسكندرية وباقى مدن مصر[١] .
- الطريق المائى بين القلزم والإسكندرية ، حيث كانت القوافل التجارية تسير فى خليج أمير المؤمنين – ثم تصل إلى الآسكندرية [٢] ، وكانت نهاية هذا الخليج على يد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي أمر عامله على مصر بردم الخليج سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م أثناء ثورة محمد النفس الزكية فى الحجاز ، فانقطع اتصال البحر الأحمر بالنيل منذ ذلك الوقت [٣] .
- خليج دمياط الذي كان يربط بين الفسطاط وتنيس[٤] .

ومن الطرق المائية التى كانت تربط مصر بالعالم الخارجي الآتي :

- الطريق البحري من غرب أوربا إلى المشرق حيث كانت السفن تأتى من بلاد الغال وترسو فى الفرما ، ثم تحمل تجارتهم على الدواب إلي القلزم ، وتنقل عبر البحر الأحمر مارة بموانيه مثل جدة ، ثم تتجه إلى الهند والصين والعكس [٥] .
- الطريق البحري بين القسطنطينية والإسكندرية [٦] .
- الطريق البحري بين مصر وبلاد المغرب العربي ، وكان يبدأ من الإسكندرية مارا بالسلوم وطبرق وطرابلس ، وسوسة وصفاقص ، والمهدية ، وكان ينتهى بمراكش ، ويبدأ أحيانا من دمياط ورشيد [٧]

١- ابن شاهين الظاهرى : زبدة كشف الممالك ، ص ٤٠ ، المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٢٧٣ .
٢- المقريزى : الخطط ، جـ٢ ص ١٤٣ .
٣- ابن عبد الحكيم : فتوح مصر ، ص ١٦٤ .
٤- الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص ١٥٤ .
٥- هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢ ص ٤٠١ .
٦- هايد : تاريخ التجارة ، جـ١ ص ١٣٩ .
٧- راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ١١٠ .

- الطريق البحري الذي يربط بين الإسكندرية وجزر البحر المتوسط مثل صقلية وقبرص واقريطش وكريت ، وكان يستغرق عشرين يوما .

هذه الشبكة من الطرق البرية والنهرية والبحرية نالت اهتمام الخلفاء ولولاة من خلال الحصون ، والمحارس ، وحفر الآبار ووضع العلامات الدالة على المسافة على هذه الطرق ، فسهلت التجارة الداخلية والخارجية .

وكانت هناك الكثير من المنشآت التجارية التي شجعت التجارة الداخلية يأتى فى مقدمتها الأسواق ، حيث كانت أهم مراكز تسويق المنتجات الصناعية داخليا ، وكثرت هذه الأسواق فى المدن التجارية الهامة مثل الفسطاط ، والإسكندرية والقاهرة ، وأسوان، وقفط ، وعيذاب بجانب منتجات أسواق المدن الأخرى ، فقد كانت توجد سوق واحدة فى كل مدينة وإن لم يكن في كل قرية [١] .

وكانت الأسواق والمصانع فى جميع مدن العالم الإسلامي تقع غالبا بالقرب من منطقة الجامع الكبير بالمدينة [٢] ، وكانت هناك أيام معينة يقام فيها سوق لكل مدينة [٣] فعلى سبيل المثال كان بشبرا الخيمة سوق جامع يوم الثلاثاء [٤] ، وكان للجيزة سوق يوم الأحد[٥] .

ومن أشهر هذه الأسواق أسواق القاهرة والفسطاط ، وأسواق مدينة القطائع – وكان بها لكل من الباعة سوقها الخاص وكان لكل صنف من جميع الصنائع سوق [٦]

١- سيدة كاشف : مصر في عصر الإخشيديين ، ص ٢٨٠ .
٢- حسن عبد الوهاب : ورقات من الحضارة الإسلامية ، فـ٢ ص ٣١ .
٣- المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ .
٤- ابن دقماق : الانتصار ، جـ٥ ص ٤٧ .
٥- المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٢٠٥ .
٦- البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٥٣ .

وكذلك أسواق المدن مثل سوق أتريب التي اشتهرت بالعسل الذي كان يجلب من بنها [١] وأسواق منوف، وطنطا وسخا التي حفلت أسواقها بالكتان وزيت الفجل [٢]، وترنوط التي اشتهرت بإنتاج السكر وبيعه [٣].

وكانت أسواق الأشمونين وأخميم وأهناس وبوصير تعرض منتجات الحرير والكتان [٤]، وقد اشتهرت أسواق الصعيد بالقفاف والحبال من الليف في غاية الجودة والصوف والحصر بجانب المصنوعات الجلدية التي كانت تسوق في مدنها [٥]، كما اشتهرت بأسواقها العامرة[٦]، وكذلك قوص واسنا وقفط وأسوان التي تميزت بنشاط حركة البيع طوال أيام السنة باعتبارها أهم ثغور مصر على البلاد الجنوبية [٧].

وبجانب الأسواق كانت هناك القيساريات التي كانت تختص بالاتجار بأنواع معينة من البضائع، فعلى سبيل المثال قيسارية هشام بن عبد الملك التي كان يباع فيها البز الفسطاطى، وقيسارية عبد العزيز بن مروان، وتخصصت في بيع البز أيضا[٨]، وقيسارية البز التي أنشأها الإخشيد في سوق الحمام [٩].

وكان بالقياسر أماكن خاصة لمبيت التجار والصناع، كما كان بها أماكن للصناع لمزاولة أعمالهم، كما كان لهم مقرا للوكلاء والصيارفة بل كافة المعاملات المالية والتجارية، وكان في بعض القياسر مساجد لتجار المسلمين [١٠].

١- اليعقوبي : كتاب البلدان، ص ٣٣٧.
٢- المقدسي : أحسن التقاسيم، ص ٢٠٣.
٣- البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص ٢.
٤- اليعقوبي : البلدان، ص ٢٣١، الاصطخري : مسالك الممالك، ص ٥٣.
٥- المقدسي : أحسن التقاسيم، ص ٢١٣.
٦- ابن جبير : الرحلة، ص ٣١.
٧- ابن جبير : الرحلة، ص ٥٣، ٥٩.
٨- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٣٦، ١٣٧.
٩- الكندي : الولاة والقضاة، ص ٥٦٢.
١٠- ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص ١٣١.

أما عن الصادرات والواردات :

فكانت مصر تصدر القمح والحبوب إلى الحجاز [١]، وإلى صور وعسقلان حيث كان يصدر إليها ما مقداره مائة وعشرون إردب من الغلال [٢] ، كما كانت تصدر الورق البردي والزجاج ، بجانب تجارة بلاد النوبة وأثيوبيا المتمثلة في البهار والفضة والجواهر وغيرها [٣]

أيضا جوز الطيب والقرنفل والفلفل والشب والنطرون إلى بلاد الروم[٤] ، هذا بجانب المنتجات الخزفية التي كانت تصدر من مصر لبلاد المغرب [٥] ، بجانب الكتان والأقمشة المختلفة [٦] .

الواردات :

كانت مصر تستورد العديد من منتجات البلاد الأخرى ، فمن الجزيرة العربية كانت تستورد الخيول العربية والجمال والخشب القسي[٧] ، والجلود المدبوغة ، والدروع والعقاقير والكركم الذي كان يستخدم في الأدوية ، ومن أشجار عمان كانت مصر تستقبل أجود أنواع العنبر واللبان والبخور والمستكة[٨] .

ومن بلاد الشام كان يرد أسواق مصر الكثير من الفاكهة كالتفاح والبرتقال بجانب الأخشاب اللازمة لبناء السفن والمراكب والأثاث [٩] ، أما بلاد المغرب العربي فكان يرد منها زيت الزيتون وبعض الفاكهة والأصواف والعسل والقطران ، والبغال والجلود [١٠].

١- سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٧٩ .
٢- المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٤٦٥ .
٣- سيدة كاشف : أحمد بن طولون ، ص ٢٠٥ .
٤- حسن إبراهيم حسن : الدولة الفطمية ، ص٦١١ ، ٦١٥ .
٥- القلقشندي : صبح ، جـ٣ ص ٢٤٧ ، المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ١٦٣ .
٦- صابر دياب : دراسات إسلامية ، ص ٨٧ ، البراوي : حالة مصر ، ص ٢٦٢ .
٧- كان القسي يتخذ من القانة ، وجمعها القان وهو شجر جبلي ينبت بشبه الجزيزة العربية ، عطية القوصي : تجارة البحر الأحمر ، هامش ص ٢٠٧ .
٨- عطية القوصي : تجارة البحر الأحمر ، ص ٢٠٧ .
٩- المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٨ .
١٠- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص ٢٠٧ .

وكانت مصر تستورد من الصين البهار والقرفة والزنجبيل والكافور الذي كان سعره في أسواق مصر مرتفعا[1] ، هذا بالإضافة إلى الورق "الكاغد" والحبر "المداد" والسروج واللباد والذهب والفضة والسجاد والحلي وبعض العقاقير والجواري[2] .

ومن الهند كانت تأتى أسواق مصر الياقوت والصندل والعود والفلفل ، وجوز الهند، والزعفران والقرفة ، وخشب الأبنوس ، والأحجار الكريمة[3] .

ومن المدن الإيطالية كانت مصر تستورد الأخشاب والمواد اللازمة لبناء السفن ، والحديد والنحاس ، والجبن الرومي ، والفراء والرقيق الأبيض [4] .

وكان يرد مصر من بلاد النوبة الرقيق وذلك بموجب معاهدة البقط التي عقدت بين الطرفين في خلافة عثمان بن عفان ﷺ وولاية عبد الله بن سعد بن أبى سرح [5] ، هذا ولم تكن كل الحاصلات والمنتجات الآتية مصر من البلاد الأخرى تستهلك في أسواق مصر محليا فحسب ، بل كان الكثير منها يحتفظ به التجار المصريون لديهم حين ورود سفن تجار الفرنج وتجار الروم ويبيعون لهم بأسعار عالية ، حيث كان معظم تجار مصر يقومون بدور الوسيط التجارى بين الشرق والغرب .

١- راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٢٥٧ .
٢- أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ١ ص ٣٦٥ ، عطية القوصي : الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٨٥ ص ١٣٢ .
٣- هايد : تاريخ التجارة ، جـ٢ ص ٣١٢ .
٤- ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .
٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٢ ، المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٢٠٠ .

الفصل العاشر

الحيـــاة الثقـــافيـــة

الحياة الثقافية

حثنا الإسلام على النهوض بالعلم، ورفع من شأن العلماء وطلاب العلم وقدرهم، وجعل لهم منزلة خاصة فى الدنيا والآخرة[١]، وقد شهدت مصر ازدهارا كبيرا في الحياة الثقافية منذ الفتح الإسلامي لها حتى نهاية العصر الفاطمي، حيث أتى مع جيش الفتح العديد من الصحابة واستفادوا بها ثم تلاهم التابعون وتابعوهم حتى صار العلم إلى الموالي، وكان أكثرهم علماء دين، أما العلوم الأدبية والفلسفية فقد كان شأنها ضعيفا في بداية الأمر، ثم بدأت تزدهر مع مرور الزمن.

وكان هدف المسلمين الأول هو نشر الإسلام، ولذا نجد الخلفاء والولاة يهتمون منذ القرون الأولى بنشر تعاليمه وتعليم اللغة العربية في معظم أنحاء البلاد[٢]، ولذا كانت الدراسات الدينية أولى المجالات الثقافية بمصر، وبالإضافة إلى العلوم الدينية شهدت البلاد اهتماما بالعلوم الأدبية والعلمية التي كانت تدرس بالمساجد والكتاتيب والمدارس وبعض المؤسسات التعليمية الأخرى كما سنرى.

الدراسات الدينية:

قامت الدراسات الدينية على تفهم معاني القرآن الكريم، ورواية الحديث وأقوال الأئمة، واستنباط الأحكام، وقد شملت علم القراءات، والتفسير، وعلوم الحديث والفقه.

١. علم القراءات:

كان علم القراءات يدور حول كيفية قراءة ألفاظ القرآن الكريم، وتهجي كلماته، إعجازه وبلاغته[٣]، وعلى عالم القراءات أن يكون على قدر عال وعلم تام بقواعد اللغة وأصول التفسير حتى يتسنى له قراءة ألفاظ القرآن الكريم بدقة[٤]، وفائدة ذلك هو صون كلام الله تعالى من التغيير والتحريف.

١- سورة الأنعام: آية ١١٤، الإسراء: آية ٨٥، فاطر: آية ٣٨، المجادلة: آية ١١.
٢- سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة، ص ١٤٤، ١٤٥، أحمد مختار عمر: تاريخ اللغة العربية، ص ٤٨، ٤٩.
٣- سيدة كاشف عصر الولاة: ص ١٨٤، خضر أحمد عطا الله: الحياة الفكرية في مصر، ص ٢٩٠.
٤- السيوطى: حسن المحاضرة، جـ١ ص ١٠٣، ١٠٤، عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية في مصر في العصريين الأيوبي والمملوكي، ص ٢٣١.

ولذا اتفق بعد البحث والاستقصاء على قراءات معينة ، وقصد من تنوعها التسهيل نتيجة لاختلاف اللهجات ، وقد أصبحت هذه القراءات علما مدونا توضع فيه المصنفات ، وكانت كل بلد تأخذ من القراءات ما يلائم طبع أهلها ، فبعضهم جعلها سبع قراءات ، وبعضهم جعلها عشر ، والبعض الآخر جعلها خمسا وعشرين قراءة ، وإن رجحت سبع قراءات وهى قراءة نافع من المدينة ، وابن كثير من مكة ، وابن عامر من الشام ، وأبى عمر من البصرة ، وعاصم وحمزة والكسائي من الكوفة [1] .

وكان أول من علم القرآن بمصر هو عبيد بن محمد أبو أمية المعافرى وهو أحد الصحابة الذين شهدوا فتح مصر [2] ، ومن الصحابة أيضا عمرو بن العاص القائد العربي وفاتح مصر ، وكان عمرو أحد كتاب الرسول ﷺ [3] ، ومن الصحابة القراء بمصر أيضا أبو ذر الغفارى المتوفى سنة ٣٢هـ ، وعبد الرحمن بن ملجم المرادى المتوفي سنة ٤٠هـ الذي كلفه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعليم أهل مصر القرآن وأمره أن يقرب داره من المسجد الجامع [4]، ومن هؤلاء الصحابة عبد الله بن عمرو بن العاص مؤسس مدرسة مصر الدينية .

ومن قراء مصر سقلاب بن شنينة أبو سعيد المصري ت ١٩١هـ - ٨٠٦م قرأ القرآن على نافع ، وكان يقرئ فى أيام ورش [5] ، ومن القراء المصريين الذين ذاع صيتهم في القراءات داخل مصر وخارجها عثمان بن سعيد الملقب بورش لشدة بياضه ، ولد سنة ١١٠هـ/٧٢٨م وتتلمذ على يد نافع بن عبد الرحمن أحد القراء السبعة المشهورين بالمدينة المنورة [6] ، وكان ورش قبطيا مصريا ، وكان مولى لآل الزبير بن العوام ، وانتهت إليه رئاسة الإقراء في مصر ولم ينازعه فيها منازع [7] ، وقد ذاع صيته داخل البلاد فأتاه الطلاب وكان يقرئهم من داره ، وبمسجد أبى عبد الله من الفسطاط والإسكندرية ، وقد توفي ورش سنة

١- ابن الجزرى : طبقات القراء ، جـ١ ص ٢٢٠ .
٢- المقريزى : الخطط ، جـ١ ص ٣٣٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١ ص ٩٢ .
٣. ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٤٩٢ ، القلقشندي : صبح ، جـ١ ص ٩٢ .
٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٤٢٨ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ص ١١ .
٥- هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع المصري ، ص ١٣١ .
٦- هويدا رمضان : المجتمع المصري ، ص ١٣١ .
٧- ابن الجزري : طبقات القراء ، جـ١ ص ١١٢ ، سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٩٨ .

١٩٧هـ/ ٨١٢م بعد أن حمل قراءته كثير من تلاميذه الذين صاروا فيما بعد من أئمة علم القراءات في مصر وخارجها.

ومن القراء أيضا داود بن أبى طيبة المصري أبو سليمان بن هارون بن يزيد مولى آل عمر بن الخطاب ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م، قرأ على ورش [١] ، وأبو يعقوب الأزرق توفي سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م لزم ورشا مدة طويلة وأتقن عنه الأداء، انفرد بتغليظ اللامات، وترفيع الراءات [٢]، وأبو بكر بن عبد الله بن مالك التجيبى المقرئ المصري شيخ مصر في القراءات فى زمانه ت ٣٠٧هـ/ ٩١٩م قرأ القرآن على أبي يعقوب الأزرق [٣] ، ومحمد بن أحمد ن عبد العزيز بن منير أبو بكر الإمام ويعرف بابن أبي الأصبغ الحراني ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م [٤]، وعبد العزيز بن على بن محمد بن إسحاق بن الفرج، وأبو عدى ويعرف بابن الإمام ت ٣٨١هـ/١٩٩١م عاش تسعين سنة وكان مسند القراء بمصر في زمانه [٥]، وأيضا الحسن بن خلف بن عبد الله بن سليمه القيرواني الذي اشتغل بآراء بمدينة الإسكندرية وتوفي بها سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م عن عمر يناهز ٨٧ سنة [٦]، وكذلك عبد الرحمن بن أبى بكر بن خلف المعروف بأبي القاسم الفحام الصقلي المقرئ الذي تولى رئاسة الإقراء فى زمانه، وله العديد من المؤلفات فى علم القراءات ولد سنة ٤٢٢هـ، وتوفي سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م [٧]

علم الحديث :

الحديث النبوي الشريف [٨] هو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية لأنه يتضمن أحكاما وقوانين للمجتمع الإسلامي، على الرغم من أنه لم يدون إلا في أواخر القرن الأول الهجري لأن الصحابة كانوا يحفظونه في صدورهم، وكان يكتب في صحاف متفرقة [٩].

١- هويدا رمضان : المجتمع ، ص ١٣٣ .
٢- السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١ ص ٢٠٧ ، ابن الجزرى : طبقات القراء ، جـ١ ص ١٠٩ ، ١١٤ ، سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ص ٢٨٨ .
٣- هويدا رمضان : المجتمع ، ص ١٣٤ .
٤- ابن الجزرى : طبقات القاء ، جـ٢ ص ٢٢١ .
٥- صفي على محمد : الحركة العلمية ، ص ١٤٠ .
٦- السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١ ص ٢٣٥ .
٧- ابن الجزرى : طبقات القراء ، جـ٢ ص ٣٧٢ .
٨- الحديث : هو العلم الذي يتناول سيرة الرسول ﷺ من أقواله وأفعاله في صورتها المدونة ، والمحدث هو الذي يتناول علم الحديث بطريقة الرواية ، والدراية والعلم بأسماء الرجال والمعرفة بالأسانيد ، القلقشندي : صبح ، جـ٥ ص ٤٣٦.
٩- السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون ، ص ١٧٤ .

وترجع أهمية دراسة الحديث إلى أنه يتعرض لكثير من الأمور المتعلقة بالحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية وغيرها في المجتمع الإسلامي .

ولذا كانت الحركة العلمية في الأمصار الإسلامية تكاد تدور على رواية والتفسير . ولذا نال علم الحديث اهتماما بالغا حيث كان يدرس في الجوامع والمساجد على يد أكثر من صاحبي وعالم يأتي في مقدمتهم القائد الفاتح عمرو بن العاص الصحابي الجليل الذي كان يقوم برواية الحديث في مدينة الفسطاط ، ولأهل مصر عن عمرو بن العاص أكثر من عشرين حديثا [١] .

وكان أكثر الصحابة رواية وأغزرهم علما وأعظمهم نفعا للمصريين عبد الله بن عمرو بن العاص الذي يعد بحق مؤسس مدرسة مصر الدينية ، وكان قد أسلم قبل أبيه عمرو بن العاص [٢] ، ولذلك كان الرسول ﷺ يقربه إليه ويفضله على أبيه [٣] ، وكان عبد الله بن عمرو يقول : "حفظت عن النبي ﷺ ألف مثل ...." [٤] وأخذ عنه علماء مصر حوالي مائة حديث ، توفي عبد الله بمصر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م [٥] .

ومن أهم العلماء المسلمين العرب الذين ذاع صيتهم في مصر الخليفة عمر ابن عبد العزيز الذي ولد بمصر سنة ٦١هـ/ ٦٨٠م ، وقد نال قسطا كبيرا من العلوم فيها ، وكان أول من تنبه إلى ظهور الكذب في الحديث ، ولذا وجه كتابه إلى الأمصار الإسلامية يأمر فيه ولاته بتقييد السنة ، وعمل على بعث أكابر المحدثين والعلماء إلى الأمصار الإسلامية ، فبعث إلى مصر نافع مولى عبد الله بن عمرو أبو عبد الله المدني – الذي كان كثير الحديث لتعليم أهلها السنن [٦] .

١- ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ٢٤٩ ، ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ٤ ص ٢٤٦ ، السيوطي : حسن ، جـ١ ص ٧٢ .

٢- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٢ ص ٣٧٣ ، ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ٣ ص ٣٤٨ . ابن حجر : الإصابة في تميز الصحابة ، جـ٤ ص ٢١٢ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ١ ص ١٧١ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ص ٧٣ ، سيدة كاشف : فجر الإسلام ، ص ٢٧٦ .

٣- الذهبي : تذكرة الحفاظ ، جـ١ ص ٤٢ .

٤- ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٢ ص ٣٧١ ، الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٣ ص ٥٤ .

٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٩ ، ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ٧ ص ١٨٩ ، السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص ١٨ .

٦- الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ٥ ص ١٠ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ص ٢٩٧ .

وكان لرواية الحديث طرق وألفاظ تنتهي بالسند إلى الرسول ﷺ من جانب المحدث مثل حدثنا أو أخبرنا أو عن فلان (١).

ومن العلماء الذين اشتغلوا بتدريس الحديث في مصر أيضا عبد الله بن لهيعة الحضرمي الغافقي المصري المتوفي سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م ، حيث كان يدرس في مساجد الفسطاط ، وكان الليث بن سعد الذي ولد في إحدي قرى مصر وهى قرية قلقشندة(٢) سنة ٩٤ هـ/ ٧١٢م من العلماء الذين اشتغلوا بتدريس الحديث والفتوى وكان يعتبر كبير الديار المصرية فى ذلك (٣) ، توفي الإمام الليث بن سعد سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م (٤) ، ويعد ضمام بن إسماعيل من أشهر علماء الحديث حيث عاش الإسكندرية ٩٧/ ١٨٥هـ ، وعمل بالتدريس بمساجدها ، وقد روى عن أبى المعافري ، وهو من مشاهير المحدثين (٥) .

وكان عبد الله بن وهب ١٩٧هـ/ ٨١٢م وهو من أوائل مدوني الحديث في العالم الإسلامي ، وكتابه الجامع في الحديث ، وقد عثر على جزء مخطوط من هذا الكتاب في مدينة إدفو ، وأيضا وليد بن بلال بن يحي الأسواني ويكنى أبا الحسن ، روي الحديث عن والده الذي كان يحدث عن مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن وهب – توفى سنة ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م ، والنسائى (٦) أبو عبدالرحمن بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الخرساني ٢٢٥/ ٣٠٣هـ - ٨٣٩/ ٩١٥م أستوطن مصر وأقام بزقاق القناديلى ، كان إمام عصره فى الحديث ، وله كتاب "السنن" وكان يسميه الصحيح ، وكتاب "الخصائص" في فضل على بن أبى طالب ﷺ (٧) ، ومحمد بن جميع الأسواني – حدث بأسوان ، وروي أن

١- ابن حجر : العبر ، جـ١ ص ٢٦٤ ، السيوطى : طبقات الحفاظ ، ص ١٠١ .
٢- قلقشندة : وهى بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة وهى قرية تابعة لمحافظة القليوبية .
٣- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ص ٢٤١ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ١ ص ١٣٨ .
٤- ابن خلكان : وفيات الأعيان : جـ١ ص ٤٣٨ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ١ ص ٨٢ .
٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٧ .
٦- النسائى : نسبة إلأى مدينة نسا – بفتح النون وفتح السين المهملة وبعدها همزة – وهي مدينة بخرسان .
٧- هويدا رمضان : المجتمع في مصر ، جـ٢ ص ١٤٦ .

ابن حسن المصري نزيل تنيس كان من علماء الحديث ولم يرحل عن تنيس حتى توفي بها سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م (١).

وكان الحافظ السلفي أشهر علماء الحديث في زمانه ، وقال عنه ابن الأثير : "كان حافظا للحديث ، عالما به ، سافر في طلب الكثير" (٢) ، وقام بتدريس الحديث بالإسكندرية وله مؤلفات عديدة في هذا المجال منها كتاب الأربعين البلدانية ، وسداسيات من أجزاء الحديث ، توفي الحافظ السلفى سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م (٣) .

علم الفقه :

اعتمد علم الفقه الإسلامي على القرآن والسنة النبوية ، واجتهاد العلماء المسلمين في بعض الأمور الدينية التي لا يتسنى استنباطها من القرآن والسنة (٤) .

وقد ازدهر علم الفقه في مصر على يد الكثير من العلماء ، يأتي في مقدمتهم عبد الله بن عمرو بن العاص وهو الفقيه الذي اتبع أهل مصر فتاويه ، وكان عبد الله يفتي في الصحابة ، وعقبة بن نافع الجهني الذي تولى إمارة مصر سنة ٤٤هـ/ ٦٦٤م من قبل معاوية بن أبى سفيان كان يفتى في المسائل التي يتعرض لها حيث اتصل بالمصريين وكان يفتيهم ، وكان عقبة عالما بالفرائض والفقه (٥) .

ومن أبرز الفقهاء في مصر أبو الخير مرثد بن عبد الله اليزني الحميري المتوفى سنة ٩٠هـ/ ٧٠٨م كان مفتي أهل مصر فى زمانه ، وكان عبد العزيز بن مروان والى مصر يحضر مجلسه ليسمع منه ، وكان يجالسه للفتيا (٦) ، وأيضا الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارس الفهمى المصري كان أكبر عالم فقيه شهدته مصر خلال القرن الثاني الهجري ، استغل بالفتوى فى زمانه بعد أن طاف البلاد فى طلب العلم ، ونبغ فى الناحية الفقهية ،

١- هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ٢ ص ١٤٧ ، ١٤٨ .
٢- السيوطي : طبقات الحفاظ ، ص ٢٧ .
٣- محمد زيتون : الحفاظ السلفي أشهر علماء الزمان ، ص ١٢٧ .
٤- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤١٠ .
٥- الكندى : ولاة مصر ، ص ٣٦ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٥٩ ، ابن حجر : الإصابة ، جـ١ ص ٤٨٢
٦- الذهبي : تاريخ الإسلام ، جـ٣ ص ٣٠٣ ، المقريزى : الخطط ، جـ٢ ص ٢٥٤ ، السيوطى : حسن ، جـ٢ ص ١١٨ .

وعرف بها حتى أن الأمام الشافعي كان يقول : "الليث بن سعد أفقه من مالك بن أنس ، إلا أن أصحابه لن يقوموا به" ، وكان أمراء مصر لا يقضون أمرا دونه وإذا خالفه أحد في شيء كاتب فيه الخليفة ، وقد أراد أبو جعفر المنصور أن يوليه مصر إلا أنه رفض [١] .

المذاهب الفقهية الأربعة :

المذهب الحنفي : [٢]

يعد المذهب الحنفي أقدم المذاهب الإسلامية ، وينسب إلى النعمان بن ثابت بن روطى ولد سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م بالكوفة ، وتوفي ببغداد سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م ، وهو إمام أهل الرأي والقياس [٣] .

نشأ هذا المذهب بمصر مدة تمكن العباسيين ، وكان أعظم فقهاء الحنيفية بمصر أبو جعفر الطحاوي المصري ٢٣٧/ ٣٢١هـ ، وانتهت إليه رياسة أصحاب أبو جعفر الحنفي بمصر [٤] ، وعلى الرغم من إيثار العباسيين للمذهب الحنفي لمدة طويلة إلا أن عامة أهلها لم يتبعوه ، وإنما كان حظه قليلا في مصر [٥] .

المذهب المالكي :

نسبة إلى مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحموي المدني ، أصله من اليمن ولد سنة ٩٣هـ/ ٧١١م عاش حياته بالمدينة المنورة ، وجمع السنة حتى صار حجة من حجج الله في أرضه ، وضرب به المثل فقيل : "لا يفتي ومالك بالمدينة" [٦] ، وقد لاقي مذهبه قبولا في مصر ، وهو ثاني المذاهب الأربعة من حيث القدم ، ويقال لأصحابه أهل الحديث [٧] ، توفي الأمام مالك سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م بالمدينة المنورة أثناء خلافة هارون الرشيد [٨] .

١- ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ١ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ١ ص ١٣٨ .
٢- الحنف في اللغة هو الميل ، والحنف المسلم لأنه مائل إلى الدين المستقيم والحنيف الناسك فقيل عن النعمان هذه الكنية لأنه مال إلى الشريعة ، عبد الحليم الجندي : أبو حنيفة بطل الحرية ، ص ١٦٣ .
٣- الشيرازي : طبقات الفقهاء ، بغداد ، المكتبة العربية ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م ، ص ٥٧ .
٤- ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٠٦ ، ابن خلكان : وفيات ، جـ١ ص ١٤٩ .
٥- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٨٠ .
٦- ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٤ ، ابن خلكان : وفيات ، جـ١ ص ٣٩ : المحاسن : النجوم ، جـ ص ٩٦ .
٧- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٤٦ .
٨- ابن خلكان : وفيات ، جـ١ ص ٣٤٩ ، ابن كثير : البداية ، جـ١ ص ١٧٤ ، السيوطي : حسن ، جـ١ ص ١١٠ .

ومن أبرز تلاميذ مالك الذين كان لهم أثر بعيد في نشر مذهبه بمصر عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري المتوفي بمصر سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م (١) ، وكان عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جناده المصري الذي ولد سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م ممن تفقه على مذهب مالك وشب على أصوله (٢) ألف الكثير من الكتب فى الفقه المالكى أشهرها "المدونة في فروع المالكية" (٣) .

وكان بنو عبد الحكم قد تعلموا المذهب المالكي وساعدوا على انتشاره في مصر ، فعميد هذه الأسرة هو عبد الله بن عبد الحكم ، ولد بالإسكندرية سنة ١٥٤ هـ/ ٧٧٠م ، وتوفي سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م ، وكأن فقيها على مذهب مالك وبلغ من ذلك مبلغا عظيما وانتهت إليه رياسة الطائفة الملكية في عهده (٤) .

ومن فقهاء المالكية هارون بن محمد بن هارون الأسواني ت ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م (٥) . ومحمد بن القاسم بن شعبان بن محمد أبو اسحق ويعرف بالقرطبى توفي سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م ، كان من أعيان العلماء المالكية ، وقد انتهت إليه رياسة المالكية بمصر ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن محمد الغافقي الجوهري القاسم المتوفى سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م كان أيضا من كبار فقهاء المالكية ، ألف كتاب "مسند الموطأ" (٦) ، ويعد أبو بكر الطرطوشى نسبة إلي طرطوشة – إحدى مدن الأندلس – أشهر علماء مصر في علم الفقه ، حيث أتي مصر خلال عهد المستنصر بالله الفاطمي ونزول مدينة رشيد وأقام بها واشتغل بتدريس الفقه ، ثم رحل منها إلى الإسكندرية وعمل بتدريس الفقه على مذهب الإمام مالك وله مؤلفات عديدة أشهرها كتاب "سراج الملوك" ، توفي سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م (٧) .

١- ابن خلكان : وفيات ، جـ٢ ص ٢٤٠ ، الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ١ ص ٢٤٧ .
٢- السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١ ص ١٢١ .
٣- حاجى خليفة : كشف الظنون ، جـ١ ص ٦٤٤ .
٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٢ ص ٢٤٠ .
٥- هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع المصري ، ص ١٥٩ .
٦- هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع المصري ، ص ١٥٩ .
٧- المقريزى : نفخ الطيب ، جـ٢ ص ١٩٧ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ١ ص ٢٣٢ .

المذهب الشافعي :

يعد المذهب الشافعي أكثر المذاهب الفقهية انتشارا بين أهل السنة وينسب إلى محمد بن إدريس الشافعي القرشي ويلتقي نسبه مع الرسول ﷺ في عبد مناف ، ولد في غزة سنة ١٥٠هـ/ ٨١٣م ، أتى إلى مصر سنة ١٨٩هـ/ ٨١٣م واستقر بها[١] ، وعمل على نشر مذهبه في شتى أنحاء البلاد ، فكان مذهبه وسطا بين أهل الرأي من أصحاب أبو حنيفة وبين أهل الحديث من أصحاب مالك ، وقد أحب المصريون المذهب الشافعي وصار له فقهاء ومريدون كثيرون ، توفي الأمام الشافعي بمصر سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م ودفن بها[٢] .

وكان من أبرز أصحاب الشافعي بمصر البويطى[٣] الذي خلفه في حلقة الدرس ، وعاصر البويطى محنة القول بخلق القرآن ، وقال : "هو كلام الله غير مخلوق"[٤] . وصنف العديد من الكتب على مذهب الشافعية ، توفي البويطي في سجنه ببغداد سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م ودفن بمصر[٥] .

وأيضا قحزم بن عبد الله أبو حنيفة الأسواني - المتوفي سنة ٢٧١هـ/ ٨٨٤م كان من كبار الفقهاء الشافعيين ، وكان مقيما بأسوان يفتي ويدرس بها[٦] .

ويعد الحافظ السفلي من أشهر الفقهاء الشافعيين ، حيث ولد بأصبهان سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م ، ورحل إلى الحجاز وانبصرة ، وهمدان والري ، وقصد دمشق ثم رحل إلى الإسكندرية وقضى بها نحو ٦٥ سنة اشتغل خلالها بتدريس الفقه على مذهب الأمام الشافعي[٧] . وأنشأ له الوزير الفاطمي أبو الحسن بن السلار خلال عهد الخليفة الفاطمي الظافر مدرسة خاصة لتدريس المذهب الشافعي وذلك سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م[٨] .

١- ابن النديم : الفهرست ص ٣٠٨ ، أبو المحاسن : النجوم جـ٢ ص ١٧٦ ، السيوطى : حسن المحاضرة جـ١ ص ٣٠٣ ، أبو الفدا : المختصر جـ٢ ص ٢٨ .
٢- المقريزى : الخطط ، جـ٢ ص ٢٦٧ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٢٢٩ .
٣- نسبة إلى بويط - إحدى قرى الصعيد بمصر ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ص ٣١١ .
٤- الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٤٤٣ .
٥- ابن النديم : الفهرست ، ص ٣١٢ ، ابن الزيات : الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة في القرافتين الكبرى والصغرى ، القاهرة المطبعة الأميرية بمصر ١٩٥٧م ص ٦٢ .
٦- هويدا رمضان : المجتمع المصري ، ص ١٦٣ .
٧- جمال الشيال : أعلام الإسكندرية ، ص ١٣٥ ، محمد زيتون : الحافظ السفلي ، ص ٧٩ .
٨- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ص ١٠٥ ، السبكي : طبقات الشافعية ، جـ٦ ص ٣٧ ، المقرزي : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ص ١٩٨ .

المذهب الحنبلي :

كان رابع مذاهب أهل السنة هو المذهب الحنبلي – نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المروزي ، ولد بمدينة مرو سنة ١٦٤هـ/ ٧٨٠م استنبط مذهبه من السنة مع شيء من القياس والرأي والمذهب الحنبلي كان أقل المذاهب الفقهية انتشارا[١] . وهذا يرجع إلى قلة الفقهاء الحنابلة بمصر ، وبدأ في الانتشار خلال القرن السابع الهجري وما بعده[٢] ، وذلك لأن الإمام أحمد بن حنبل كان في القرن الثالث ، ولم يبرز مذهبه إلا في القرن الرابع وخلال هذا القرن ملك الفاطميون مصر ، وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة قتلا ونفيا وتشريدا ، وعملوا على نشر مذهبهم الشيعي ، ولم يزولوا منها إلى أواخر القرن السادس الهجري[٣] .

المذهب الشيعي :

على جانب المذاهب الفقهية الخاصة بأهل السنة انتشر بمصر – لأسباب سياسية – المذهب الشيعي ، وكان انتشاره محدود للغاية ، ولم يحظ بقدر من الاهتمام قبل دخول الفاطميين مصر ، وأطلق لفظ شيعه على من شايعوا على بن أبي طالب ﷺ وقالوا أنه إمام المسلمين وخليفتهم ، ولفظ الشيعة في اللغة يطلق على الأتباع والمحبين والأنصار ، والواحد منهم شيعي ، ويقال تشيع الرجل – أي ادعي دعوة الشيعة .

وعمل الفاطميون على نشر مذهبهم في مصر ، فأرسلوا الدعاة إلى كافور يدعونه للطاعة ، وتمكنوا من أخذ البيعة للمعز من أكثر الإخشيدية والكافورية وسائر الأولياء والكتاب[٤] ، وظل الأمر يشتد بمصر حتى قدم إليها القائد جوهر الصقلي سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م ، وحينئذ فشا مذهب الشيعة بديار مصر وعمل به في القضاء والفتيا وأنكر ما خالفه ولم يبق سواه[٥] ، ولم يكن من السهل على الفاطميين أن يجعلوا المصريين جميعا يعتنقون

١- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٢٠٥ ، جاد الحق : الفقه الإسلامي ، ص ٢٣٨ .
٢- ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٤٨ .
٣- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٢٠٥ .
٤- المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ٣٤٠ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٣٨١ .
٥- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٣٣٤ .

المذهب الفاطمي لأن السواد الأعظم كان يدين بالمذهب السني ، وقد أكره الناس على ذلك[1] ، وأقاموا مذهب الرفض والشيعة وتراجعت الأئمة من سائر المذاهب ، نتيجة لما لقوه من التعذيب والتشريد[2] ، وتعصب الفاطميون لمذهبهم دون سواه حتى دان الناس بالطاعة للفاطميين لأسباب سياسية لا غير[3] .

الأدب :

ازدهرت الدراسات النحوية واللغوية والعربية لما كان لها من صلة وثيقة بعلوم القرآن والحديث ، وهي مفتاح لفهم القرآن والسنة وأداة لفهم الأحكام ، وتطرق الأدب إلى موضوعات كثيرة في مناحي الحياة من بينها وصف الحياة الاجتماعية ، والمدح ، وتناول وصف البيئة والطبيعة وغيرها[4] .

الشعر : [5]

ازدهر الشعر في مصر منذ العصور الأولى للفتح الإسلامي وسار في الإطار العام للشعر العربي ، وكان للشعراء الوافدين دور كبير في ازدهار الحياة الأدبية في مصر[6] .

وقد اهتم الولاة بالشعر والشعراء فقربوهم إليهم لما لهم من أثر بارز في الدعاية لهم وإظهار كرمهم ومجدهم ، وكان شعر المدح في مقدمة اهتمام الشعراء ، وقد نظم بعض الشعراء القصائد في بعض المناسبات المهمة[7] .

ويعد عهد عبد العزيز بن مروان من أزهى عصور ازدهار الحياة الأدبية بمصر ، حيث كان جوادا ممدحا ذا مروءة وكرم ، ولذا قصده كثير من الشعراء الذين كانوا يتكسبون بشعرهم ، ومن أبرز الشعراء الذين وفدوا على عبد العزيز بن مروان "عبدالله بن قيس

١- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٣٣٤ .
٢- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ص ٢٠٥ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٣٤١ .
٤- شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، ص ٣٧٣ .
٥- الشعر هو فن من فنون العرب الذي تضمن علومهم وأخبارهم وحكمهم ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٤ .
٦- محمد كامل حسين : أدب مصر الإسلامية في عصر الولاة ، ص ١٢٦ .
٧- ابن دقماق : الإنتصار ، جـ ٤ ص ٦٥ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ص ٦٧ .

الرقيات"[1] . وخلال العصر الأموي عامة اقتصر الشعر على وصف الحوادث الجارية في قالب شعري ، سواء كانت حوادث سياسية أو اقتصادية ، وكان سعيد بن عفير[2] أحد الشعراء المصريين الذين اتصلوا بالحوادث التي كانت تحدث بمصر وكان أول شعره الوطني يتصل بأحداث سنة ١٦٨هـ/ ٧٨٤م في ولاية موسى بن مصعب والي مصر سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٣م من قبل الخليفة المهدي العباسي ، والذي تشدد في الخراج وعاد إلى الرشوة[3] .

وفي أواخر القرن الثاني الهجري شهدت مصر نشاطا أدبيا واسعا ، ففي تلك الفترة زار مصر أكبر شعراء العراق - أبو نواس - الذي جاء ليمدح أميرها الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل الخليفة العباسي الرشيد[4] .

ومن الشعراء المشهورين الحسين بن عبد السلام المعروف بالجمل الأكبر في سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م الذي تلقى العلم بمصر ، ونسبت إليه الكثير من المقطوعات التي أنشدها خل محنة خلق القرآن[5] ، وأتخذه أحمد ابن طولون شاعره ، وقد مدح ابن طولون في شعره ، توفي سنة ٢٥٨هـ/ ٨٧١م[6] ، ومن الشعراء الذين اختصوا خمارويه بالمديح القاسم بن يحيى المريمي[7] .

وفي العصر الإخشيدي ظهر نوع جديد من الشعر هو فن شعر الديارات ، فقد كان الشعراء يخرجون إلى هذه الأديرة في أماكن هادئة عرفت بجمال طبيعتها ، فيصفونها ويصفون مظاهر الطبيعة حولها كما يصفون لهوهم فيها[8] .

١- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٥٠ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٠٩ .
٢- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ١٦٩ .
٣- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٢٥ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٠٥ .
٥- الكندي : ولاة مصر ص ١٩٣ ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، جـ ٤ ص ٥٦ ، سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ١٥٩ .
٦- ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ص ٢٧٠ ، اقوت الحموي : معجم الأدباء ، جـ ٤ ص ٧٦ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ص ١٤٨ محمد مصطفي الماجي : شعراء مصر من الفتح الإسلامي ، ص ١٠٨
٧- ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ص ٢٧١ ، هويدا رمضان : المجتمع المصري ، ص ١٩٤ ، مصطفي الماجي : شعراء مصر ، ص ٨٦ .
٨- من هذه الأديرة : دير القصير بالقرب من حلوان ، دير مرحنا على شاطيء بركة الحبش ، دير نهيا بالجيزة ، دير طموية بالقرب من حلوان .

ومن شعراء الدولة الإخشيدية أبو هريرة أحمد بن أبي العصام الموفقي كان من أصحاب النوادر والمجون والإدمان على شرب الخمر، وكان شعره في مجالس الشراب[١] ، وكانت له مجالس شراب ولهو في دير القصير[٢]، وأيضا أبو القاسم بن العقير الأنصاري ، الذي كان يتصدر الحياة الأدبية ويشارك في مجالس الأمراء والأعيان ، وكان من شعراء كافور[٣] .

اللغة[٤] والنحو من أبرز علوم اللسان العربي التي ازدهرت بمصر والنحو أهم العلوم اللسانية لأنه طبيعي على لسان كل متكلم لأن الإنسان يتكلم النحو وهو يتعلم النطق إذ بدونه لا يحس التعبير عن أفكاره[٥] .

وتشير بعض المصادر إلي أن على بن أبي طالب ﷺ هو أول من تنبه إلى تغير ملكة اللغة ، فأشار عليه أبي الأسود الدؤلي وهو بالمدينة بحفظها ، ففرغ إلى ضبطها وعرض ذلك على أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ ، فأستحسنه وقال : "ما أحسن هذا النحو الذي نحوته" ، فسمي لذلك نحوا[٦] .

كان القرآن الكريم هو المنبع الذي استقت منه الدراسات اللغوية والنحوية كما أخذ منه أول اتجاه لها ، وكانت قراءات القرآن الكريم هي الأساس في تتبع المواد اللغوية ، وكان أئمة القراءات يجيدون النحو والعربية[٧] ، وإلى جانب ما أسهم به أئمة القراءات من تعميق آثار اللغة العربية في مصر نبغت طائفة من الفقهاء ، فقد كان الليث بن سعد عربي اللسان فصيح البيان ، يحسن القرآن والنحو[٨] .

١- ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ص ٢٧٣ ، جـ ٢ ص ٥٠٢ .
٢- ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ص ٢٧٣ ، الماجي : شعراء مصر ، ص ١٠٣ .
٣- مصطفي الماجي : شعراء مصر ، ص ١٠٨ .
٤- اللغة : هي ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، أحمد السكندري : الوسيط في الأدب العربي ، ص ٣ ، ٤ .
٥- جورجي زيدان : تاريخ أدب اللغة العربية ، جـ ٣ ص ١٤٨ .
٦- ابن النديم : الفهرست ، ص ٦٠ .
٧- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٥ ص ٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ١٦٦ ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، جـ ٢ ص ١١٨ ، ابن الجزري : طبقات القراء ، جـ ١ ص ١١٨ .
٨- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ١١٨ .

ومن أئمة اللغة والنحو الإمام محمد بن إدريس الشافعي[١] ، ومن نحاة مصر عبد الرحمن بن داود المدني (ابن هرمز) الملقب بالأعرج ، صاحب أبو هريرة ، وهو تلميذ أبو الأسود الدؤلي[٢] ، قيل أنه أول من وضع العربية بالمدينة ، وقد جاء إلى مصر وأقام بالإسكندرية ، وكان أعلم الناس بالنحو ، وهو أول من وضعه في قول[٣] ، توفي بالإسكندرية سنة ١١٧هـ/ ٧٣٥م[٤] .

وأيضا عبد الملك بن هشام أبو محمد المعافري ، صاحب السيرة النبوية ، كان إمام في اللغة والنحو والعربية[٥] ومتقدما في علم الأنساب ، وقد كان له مجلس أدبي كبير في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، وكان للمصريين بمجالس ابن هشام وسيرته فرط غرام وكثرة رواية[٦] ، توفي ابن هشام سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م .

وكان أحمد بن جعفر الدينوري أبو على أحد النحاة المبرزين والمصنفين من نحاة مصر ، ألف بمصر كتابا للنحو سماه "المهذب" وله كتاب "إصلاح المنطق" وكتاب "مختصر في ضمائر القرآن" ، توفي سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠١م[٧] .

وخلال القرن الرابع الهجري تطورت الدراسات اللغوية والنحوية ، حيث تخلص علم اللغة من طريقة الفقهاء ومناهجهم ، ويعتبر هذا القرن فتحا جديدا في كل من الناحيتين الرئيسيتين لعلوم اللغة العربية وهما النحو وعمل المعاجم[٨] ، وتشير كثير من القرائن إلى شيوع العربية في مصر خلال القرن الرابع الهجري[٩] .

١- السبكي : طبقات الشافعية ، جـ ١ ص ٣٧٤ .
٢- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٣ ص ٥٣٥ ، جمال الشيال : أعلام الإسكندرية ، ص ٣٧ .
٣- أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي : طبقات النحويين واللغويين ، ص ٢٦ .
٤- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، جـ ١ ص ١٥٣ .
٥- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، جـ ١٧ ص ٣٠٣ ، القفطي : أنباه الرواة ، جـ ٢ ص ٢١١ .
٦- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٢٢٨ .
٧- هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع المصري ، جـ ٢ ص ١٧١ .
٨- جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ ٢ ص ٢٢٠ .
٩- متز : الحضارة الإسلامية ، جـ ١ ص ٤١٦ ، ٤١٧ .

وكان اللغويون والنحاة المصريون كثيرين يتفاوتون من حيث الشهرة وغزارة الإنتاج العلمي وفي مقدمة هؤلاء كراع النمل – أبو الحسن على بن الحسن الهناني الأزدي من أهل مصر، توفي بها سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م[١] ، وكانت كتبه في مصر مرغوبا فيها ومن مؤلفاته العديد ، حيث صنفها على وزن واحد في التسمية يأتي في مقدمتها المنجد في اللغة ، والمجرد، والمنظم ، والمنضد[٢] ، وقد بث كراع النمل في كتبه آراء ناضجة في كثير من مشكلات علم اللغة وأصوله[٣] .

ونبغ من النحويين أبو العباس بن ولاد المتوفى سنة ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م[٤] ، وكذلك أبا جعفر النحاس المصري النحوي المتوفي سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م[٥] ، وعبد الكريم بن سواد المصي الذي كان يقوم بتدريس النحو والإقراء ، توفي بالإسكندرية سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م[٦] .

علم التاريخ :

ازدهر علم التاريخ[٧] في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي ، حيث تناول في تلك الفترة دراسة السيرة النبوية الشريفة ، والفتوحات الإسلامية وغيرها من سير الصحابة .

ومن مؤرخي مصر :

يوحنا النقيوسي الذي كان أسقفا لابرشية نقيوس – إحدى مدن الجيزة في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي ، ومن أهم مؤلفاته المؤلف الذي وضعه في تاريخ مصر باللغة القبطية ، ويعد من أفضل كتب التاريخ لاحتوائه على الحوادث العديدة التي

١- القفطي : إنباه الرواة ، جـ ١ ص ٢٠٠ .
٢- السيوطي : بغية الوعاه ، ص ٣٢٣ .
٣- أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية في مصر ، ص ٦٣ .
٤- القفطي : إنباه الرواة ، جـ ١ ص ٩٢ ، السيوطي : بغية الدعاه ، ص ١٦٩ .
٥- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ص ٨٢ ، الزبيدى : طبقات النحويين ، ص ٢٣٩ .
٦- محمد زيتون : الحافظ السلفي ، ص ١٩٧ .
٧- التاريخ : هو معرفة أخبار الأقدمين وأحوالهم من حيث معيشتهم وسياستهم واعتقادهم وآدانهم ولغتهم ، أحمد السكندري : الوسيط في الأدب العربي ص ٣ .

جرت أثناء الفتح ومنها ما وقع في أيامه وشاهده بعينه . ونقل هذا الكتاب إلى العربية الشماسي غبريال المصري الراهب[١] .

- سعيد بن عفي ، أبو عثمان المصري المؤرخ ، ت سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م كان إخباريا علامة بالأنساب وأيام العرب والتواريخ[٢] .
- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أمين القرش المصري ، ولد بالفسطاط سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٢م ، وهو الذي خلف لنا أقدم مؤلف كتبه مؤرخ عربي مسلم في مصر الإسلامية وهو كتاب "فتوح مصر وأخبارها"[٣] .

ويعد كتاب فتوح مصر مصدرا أساسيا لتاريخ مصر منذ الفتح الإسلامى لها حتى سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م . وهو عبارة عن مجموعة مبوبة من الحكايات والنوادر ، والأشعار ، والأحداث التاريخية التي تناولها ، وقد وصلت إلى سبعة أبواب وتناول تاريخ الصحابة الذين دخلوا مصر مع جيش الفتح الإسلامي وبعده[٤] .

- سعيد بن البطريق ، وهو البطريق الروماني الملكاني ، نصب بطريركا على الإسكندرية سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م ، وقد عني بالتاريخ وكتب فيه مؤلفا مشهورا هو "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق"[٥] تحدث فيه عن التاريخ منذ الخليقة حتى العصر الذي عاش فيه ، حيث عاصر إمارة محمد بن طغج الإخشيدي ، وقد انتهى ابن البطريق بتصنيف مؤلفاته إلى خلافة الراضي[٦] ، توفي سعيد بن البطريق سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م[٧] .

١- السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون ، ص ٢١٠ .
٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٢٠٨ .
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، سيدة كاشف : عصر الولاة ، ص ١٩١ .
٤- انظر كتاب فتوح مصر وأخبارها لأبن عبد الحكم ، نشر مكتبة مدبولي .
٥- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٣٤٥ .
٦- ابن البطريق : التاريخ المجموع ، ص ٤١٥ ، المسعودي : التنبيه ، ص ١٥٤ .
٧- ابن أبي أصيبعه : طبقات الأطباء ، جـ ٢ ص ٨٦ .

- أحمد بن يوسف بن إبراهيم المعروف بابن الداية، كاتب ابن طولون برع في التاريخ بما ألفه في تاريخ الدولة الطولونية مثل سيرة أحمد بن طولون، وسيرة أبو الجيش خمارويه، وكتاب سيرة هارون بن خمارويه، وكتاب أخبار غلمان ابن طولون، وكتاب المكافأة[1].
- البلوى "أبو محمد عبد الله بن محمد" من قبيلة بلى من أهل مصر، عاش خلال القرن الرابع الهجري، ومن أهم مؤلفاته "سيرة أحمد بن طولون"[2].
- الكندي "محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن نصير أبو عمر التجيبي الكندي"، نسبة إلى تجيب إحدى بطون كنده الشهيرة ولد بمصر سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٧م[3]، وكان من رواة الأخبار والحديث والفقه عارفا بأحوال الناس وسير الملوك[4]، ومن أهم مؤلفاته "كتاب ولاة مصر" وهو نوع من التاريخ الإداري، يتناول تاريخ مصر من ناحية معينة هي ذكر الولاة الذين تعاقبوا على حكم مصر من قبل الخلافة منذ الفتح حتى عصر المؤلف مع ذكر أشياء من أعمالهم وحروبهم[5]، حيث يبدأ بولاية عمرو بن العاص سنة ١٩هـ/ ٦٤٠م، وينتهي سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م عند وفاة محمد بن طغج الإخشيدي، ويبدأ جزأ آخر من بداية ولاية أنوجور سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م حتى الفتح الفاطمي لمصر والخطبة للمعز بها سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م[6].

أما كتاب "قضاة مصر" فيتناول القضاة الذين تولوا قضاء مصر منذ الفتح إلى منتصف القرن الثالث الهجري ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م[7]، توفي الكندي سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦٠م[8].

١- ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، جـ ٥ ص ١٥٨ .
٢- البلوي : سيرة أحمد ابن طولون ، ص ٥٤ ، ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ص ٢٧٠ .
٣- الكندي : الولاة والقضاة ، ص٤ .
٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٥ ، الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٥٠٤ .
٥- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٣٤٢ .
٦- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٨ .
٧- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٣٧١ .
٨- محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ، ص٣ .

- ابن زولاق الليثي ٣٠٦/ ٣٨٧هـ - ٩١٩/٩٩٧م هو أبو الحسن محمد بن إبراهيم الحسين بن الحسن بن علي ابن خالد بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن زولاق الحضري، ولد بمصر سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٩م(١)، ترجع ترجع مكانته التاريخية إلى معاصرته للدولة الإخشيدية ٣٢٣/ ٣٥٧هـ، وقد عاصر ما تعاقب عليها من أحداث إلى نهايتها وقيام الدولة الفاطمية سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م وكتب عن هاتين الدولتين، فيذكر السخاوي أنه كان فاضلا في التاريخ وله فيه مصنف جيد(٢)، وله مؤلفات عديدة منها كتاب في خطط مصر، وكتاب في سيرة المازرائيين، وكتاب التاريخ الكبير على السنين، وكتاب سيرة كافور وكتاب سيرة المعز، وسيرة العزيز، وأخبار سيبويه المصري(٣)، وكتاب سيرة الإخشيد محمد بن طغج(٤). وكتاب فضائل مصر(٥)، توفي ابن زولاق سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٨م(٦).

الطب:

كان الطب من العلوم التي اشتغل بها رجال الإسكندرية، وخاصة جماعة السريان، وذلك قبيل الفتح، وقد استمرت دراسة الطب في مصر بعد الفتح الإسلامي، خاصة عند اليهود والنصارى ومن الأطباء في مصر:

- الطبيب يحيى النحوي كان أسقفا شهد فتح مصر وأكرمه عمرو بن العاص، كان طبيبا حكيما، بجانب شهرته في علم النحو واللغة والمنطق(٧)، ألف من الكتب العديد، منها تفسير كتاب "قاطيغورس لأرسطو طاليس"، وكتاب "السماع الطبيعى وكتاب "الكون والفساد" وغيرها(٨).

١- ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ١ ص ٣٧٠، السيوطي : حسن المحاضرة، جـ ١ ص ٢٣٨.
٢- السخاوي : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ١٩
٣- الكندي . الولاة والقضاة، ص ٤٥.
٤- المقريزي : الخطط، جـ ٢ ص ١٥٧، السخاوي : الأغلاق، ٩٧.
٥- ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ ١ ص ٢٧٠، السيوطي : حسن المحاضرة، جـ ١ ص ٢٣٨.
٦- ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ ١ ص ٣٧٠.
٧- ابن أبي أصيبعه : طبقات الأطباء، ص ١٥١.
٨- ابن أبي أصيبعه : طبقات الأطباء، ص ١٥١، ١٥٣.

- عبد الملك بن أبجر الكناني كان طبيبا عالما ماهرا سكن الإسكندرية ، وتولى بها تدريس الطب ، أسلم على يد عمر بن العزيز عندما تولى الخلافة سنة ٩٩هـ/ ٧١٧م ، وصار الطبيب الأول له[١] .
- الطبيب بلطيان كان طبيبا مشهورا بديار مصر نصرانيا في خلافة أبو جعفر المنصور ١٣٦ / ١٥٨هـ - ٧٥٣/ ٧٧٤م صير بطريركا على الأسكندرية لمدة ستة وأربعين عاما ، وأثناء خلافة هارون الرشيد ، اختاره الخليفة هارون لتطبيب جاريته فعالجها فشفيت ، توفي بلطيان سنة ١٦٨هـ/ ٨٠٢م[٢] .
- واشتهر بدراسة الطب بمصر سعيد بن البطريق حيث كان طبيبا مشهورا بجانب درايته بالعلوم الأخرى ، عين بطريركا على الإسكندرية في خلافة القاهر بالله العباسي[٣] ، وكان عمره حينذاك ٦٠ سنة ، وظل متوليا هذا المنصب ما يقرب من سبع سنين وبضعة أشهر ، وله عدة مؤلفات في الطب منها كتاب "الطب علم وعمل" وكتاب "المتطبب في معرفة صوم النصارى وفطرهم"[٤] ، وكانت وفاته سنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م بعد أن اعتل بمرض[٥] .
- وكان على بن رضوان المصري المتوفي سنة ٤٥٣هـ متصدرا لإفادة علوم الطب تتلمذ على يديه الكثير[٦].
- الرشيد أبو الحسن الأسواني الذى كان متوليا ديوان الإسكندرية أواخر العصر الفاطمي ، وكان معاصرا لفترة النزاع بين شاور وضرغام ، كان له دراية كبيرة بعلم الطب ومن مؤلفاته في هذا المجال كتابه "شفاء العلة في سمت القبلة" .

١- ابن أبي أصيبعه : طبقات الأطباء ، ص ١٧١ ، جرجى زيدان : التمدن الإسلامي ، جـ ٣ ص ١٤٦ .
٢- ابن أبي أصيبه : طبقات الأطباء ، جـ ١ ص ١٦٦ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ص ٢٣٢ .
٣- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٣٢٥ .
٤- ابن أبي أصيبه : طبقات الأطباء ، ص ٥٤٥ .
٥- ابن أبي أصيبعه : طبقات الأطباء ، ص ٥٤٥ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ٣٢٩ .
٦- القفطي : أخبار الحكماء ، ص ٤٤٣ .

علم الفلك :

أطلق على هذا العلم في العصور الماضية أسماء مختلفة منها "علم الهيئة" ، أو "علم الفلك" ، وكانت الإسكندرية مشهورة بخدمتها لعلم الفلك[١] ، وهو علم دلالات الكواكب على ما سيحدث في المستقبل .

أما الأسماء العامة في علم الفلك فهي "علم النجوم" ، أو "صناعة النجوم وعلم التنجيم"[٢] ، وهما فرعين من علم الفلك ، ويعرف من علم الفلك علم الاستدلال بالتشكيلات الفلكية من أوضاعها ، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب من المقابلة والمقارنة على الحوادث الواقعة في عالم الكون ، وأحوال الجو والنبات والحيوان[٣] .

واشتهر بعلم الفلك الكثير منهم ابن الداية الذي فسر كتاب الثغرة لبطليموس[٤] ، وكذلك أبو الحسن علي بن الإمام الحافظ أبي سعيد بن يونس صاحب كتاب تاريخ مصر ، كان منجما شديد الاهتمام بعلم الرصد ، توفي سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م[٥] ، وأيضا أبو الصلت الداني الأندلسي ، حيث كان ماهرا في علوم الأوائل وبارعا في معرفة الهيئة والنجوم ، توفي سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م عن عمر يناهز ٦٨ سنة[٦] .

كان من بين علماء دار الحكمة التي أسسها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م ابن يونس المصري ، والحسن بن الهيثم ، وقد اتخذ ابن يونس مرصد فلكي على جبل المقطم – وهناك رصد كسوفين للشمس سنة ٣٦٧ ، ٣٦٨هـ/ ٩٧٧ ، ٩٧٨م ، ثم بنى له العزيز مرصدا على المقطم بالقرب من الفسطاط ، وزوده بالأجهزة .

١- الفاربي : إحصاء العلوم ، تحقيق د. عثمان أمين ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٣ ١٩٦٨ ، ص ١٠٨ .
٢- الفارابي : احصاء العلوم ، ص ١٠٨
٣- طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، جـ ١ ص ٣٢٧ .
٤- صفي على محمد : الحركة العلمية في الفسطاط ، ص ٦١٥ .
٥- السيوطى حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٤٤٢ .
٦- السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٤٤٢ .

وابن بونس هو صاحب الزيج الحاكمي ، وكلمة زيج كلمة فارسية الأصل ومعناها الجداول الفلكية والرياضية ، وله زيج آخر يعرف بزيج ابن يونس ، وكان المصريون يعتمدون في تقويمهم على زيج ابن يونس[١] .

علم الصنعة "الكيمياء" :

يعرف ابن النديم صناعة الكيمياء بقوله "هي صناعة الذهب والفضة من غير معادنها"[٢] ، ومن العلماء المصريين الذين تخصصوا في الصنعة :

- ذو النون المصري : وهو أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم ، كان متصوفا وله أثر في علم الصنعة ، وله مؤلفات فيه ، منها كتاب الركن الأكبر وكتاب الثقة في الصنعة[٣] .
- وعثمان بن سويد الأخميمى – من أخميم قرية من قريى مصر – وكان مقداما في صناعة الكيمياء تولى رئاستها في مصر قبيل العصر الفاطمي ، وله مؤلفات عديدة في هذا العلم أهمها : كتاب الكبريت الأحمر ، كتاب الإبانة ، كتاب حروف التوهم ، كتاب التصعيد والتقطير ، كتاب مناظرات العلماء ومفاوضتهم وغيرها من المؤلفات الكثيرة في هذا العلم[٤] .

وكان الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بصيرا بالطب والكيمياء[٥] ، وكان يسمى حكيم آل مروان[٦] ، وكان خالد بن يزيد أول من ترجمت له مجموعة معارف علماء مدرسة الإسكندرية ، وقد اعتنى بإخراج كتب القدماء في الصنعة وترجمت له كتب الطب والنجوم وكتب الكمياء[٧] .

١- الفندي . تاريخ العلوم ، دراسات في الحضارة ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
٢- ابن النديم الفهرست ، ص ٥١٠ .
٣- صفي على محمد : الحركة العلمية ، ص ٢١٤ .
٤- صفي على محمد : الحركة العلمية ، ص ٢١٤ .
٥- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ص ٤ .
٦- ابن النديم : الفهرست ، ص ٥١١ .
٧- ابن النديد الفهرست ، ص ٥١٢ .

علم الهندسة المعمارية :

قام بالعمارة الإسلامية في مصر بناءون من أهل البلاد وصبغها الفاتحون بصيغة دينهم[1] ، وتوضح المنشآت العمرانية التي أقامها أحمد ابن طولون وابنه خمارويه مدى ما وصل إليه مفهومها من تقدم ومهارة ، ومثال لذلك المهندس الذي بنى لأحمد بن طولون العين التي بالمعافر ، والمسجد ، وهو رجل نصراني حسن الهندسة حاذق فيها[2] ، وهو سعيد بن كاتب الفرغاني ، ولاشك أن هندسة بناء الجامع وزخارفه الجصية تدل على أن المهندس الطولوني أتي من سامراء ، أو كان خبيرا بما ازدهر فيها من العمارة والفنون[3] .

وكان الرشيد بن الزبير الأسواني ذا علم غزير ، وفضل كثير ، عالما بالهندسة وعلوم الأوائل تولى نظر الإسكندرية ، ثم قتل بها في المحرم سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م أثناء فترة النزاع بين شاور وضرغام[4] .

وكذلك استخدم الحسن بن الهيثم الهندسة المستوية والمجسمة في الضوء وتعين نقطة انعكاس الضوء في المرايا ، ونبغ بن الهيثم في علم الهندسة[5] .

١- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢٤٦ .
٢- البلوي : سيرة ابن طولون ص ١٨١ ، المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٢٦٥ .
٣- زكي محمد حسن : الفن الإسلامي في مصر ، جـ ١ ص ٣٨ .
٤- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ص ١٦١ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ٤٤٦ ، سالم : تاريخ الاسكندرية ص ٥٣٤ .
٥- العبدي : دراسات في الحضارة الإسلامية ، جـ ٢ ، ص ٢٥٥ .

الفصل الحادي عشر

عواصم مصر الإسلامية

عواصم مصر الإسلامية

كان من الطبيعى بعد الفتح الإسلامي لمصر أن يصطبغ كل شيء فيها بالصبغة العربية الإسلامية ، وأن تتحول مصر من ولاية بيزنطية إلى ولاية إسلامية في مظهرها وجوهرها .

وكان من أهم مظاهر هذا التغير ما طرأ على بناء وتشييد المدن الإسلامية ، ومثال لذلك بناء مدينة الفسطاط على يد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ/٦٤١م ، وبناء العسكر خلال العصر العباسي ، وبناء القطائع ، ثم الجيزة ثم حلوان والعباسة والقاهرة وغيرها .

بناء الفسطاط :

أسس القائد العربي الفاتح عمرو بن العاص مدينة الفسطاط بعد فراغه من فتح مدينة الإسكندرية الفتح الأول[١] ، وعن سبب بناء الفسطاط يقول ابن عبد الحكم : "أن عمرو بن العاص لما فتح الإسكندرية رأى بيوتها وبنائها مفروغا منها ، فهم أن يسكنها ، وقال : مساكن قد كفيناها ، فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يستأذنه في ذلك فسأل عمر ﷺ الرسول ﷺ : هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ ، قال : نعم يا أمير المؤمنين إذا جرى النيل ، فكتب عمر ﷺ إلى عمرو إني لا أحب أن تنزل المسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف ، فأتجه عمرو من الإسكندرية إلى الفسطاط"[٢] .

وقد تعددت أراء المؤرخين حول لفظ فسطاط الذي أطلق على العاصمة الجديدة ، ويذكر الجواليقي أن لفظ فسطاط فارسي معرب[٣] ، والأصوب أن هذا اللفظ مشتق من اللفظ اليوناني فساطن – ذلك اللفظ الذي أشتق من اللفظ اللاتيني "Fassatum" الذي كان يطلقه الرومانيون على معسكراتهم الحربية ، وكانت كلمة فسطاط شائعة في أرجاء الإمبراطورية البيزنطية بالنسبة للمعسكرات والحصون وليس في مصر فقط[٤] .

١- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٨٦ .
٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩١ .
٣- الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي ، ص ٢٤٩ .
٤- بتلر : فتح العرب لمصر ، ص ٢٥٠ ، مصطفي العبادي : ابن عبد الحكم ومصر عند الفتح العربي ، مقال بالمجلة التاريخية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥م ، ص ٩٤ .

وسميت كذلك نسبة إلى فسطاط عمرو أي خيمته التي تركها في ذلك المكان عندما أراد التوجه صوب الإسكندرية بعد فتح حصن بابليون ، إذ وجد يماما قد فرخ فقال عمرو : "لقد تحرم منا بحرم" ، وأقر فسطاطه كما هو وأوصي به صاحب القصر ولما عاد المسلمون من الإسكندرية قالوا : "أين ننزل ؟" ، قال : الفسطاط" ، أي لفسطاطه الذي كان خلفه[1] ، واسم فسطاط كان موجودا قبل تأسيس الفسطاط ، وقد احتفظ العرب بتلك التسمية بعدما احتلوا حصن بابليون[2] .

أما عن موقع الفسطاط فإن موقعها يدل على نظرة صائبة من قبل العرب ، إذ يمتاز موقع هذه المدينة بتوسطه بين مصر السفلي والعليا ، وله عدة مزايا سياسية وتجارية وحربية ، ويذكر "أن حصن بابليون الذي يقع قريبا من موقع منف كانت فيه إحدي الحاميات الثلاث في مصر"[3] ، وأثبتت الحفريات أنها قامت على كتلة عظيمة من الصخر تشمل هضابا ووديان[4] ، وكان وجودها على هذه الربوة يمنع فيضان الماء عليها ، وكانت هذه الربوة مغطاة في وقت ما بأحجار كبيرة جدا فكسرت وسويت[5] .

وكان جانب المدينة الشرقي جبليا ، يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال ، وكانت تبدو حين ينظر إليها من بعيد كأنها جبل[6] ، وبهذا تحققت لها الحماية الطبيعية ، ومن الناحية الحربية كان وجود الفسطاط على رأس الدلتا قد جعلها في مأمن من هجمات العدو ، فيحميها من الشرق جبل المقطم ضد العدو وضد فيضان النيل ، كما كان لها جانب يمكن أن يضطرد اتساعها منه ، وهو الشمال ، وبنيت العسكر والقطائع في هذه الناحية[7] .

وانت الفسطاط في أول أمرها مدينة متواضعة مشيدة باللبن لا يعلو بنيانها على الطابق الواحد[8] ، وكان هذا يتفق مع حياة البساطة التى كان عليها المسلمون في ذلك

١- القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ص ٣٢٦ .
٢- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢١٧ .
٣- سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ، ص ٢١٦ .
٤- فريد شافعي : العمارة العربية ، ص ٣٤٧ .
٥- عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها — القطائع والعسكر ، ص ٥ .
٦- عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها — القطائع والعسكر ، ص ٥ .
٧- عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها ، ص ٥ .
٨- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٠٤ ، فريد شافعي : العمارة العربية ، جـ ١ ص ٣٥٣ .

الوقت ، وكما جرت العادة لدى العرب اختط عمرو أول الأمر المسجد الجامع الذي عرف بتاج الجوامع وبالجامع العتيق[1] وبجامع عمرو بن العاص وقد ظل مسجد عمرو المسجد الجامع الوحيد بمصر في عصر الولاة إلى أن شيد الفضل بن صالح بن على العباسي أثناء ولايته على مصر من قبل الخليفة العباسي المهدي جامع العسكر سنة ١٦٩هـ/ ٧٨٥م ، واختط عمرو داره بجوار المسجد ، واختط حول داره والمسجد أحياء العرب وقبائلهم وغيرهم من أقوام الفرس والروم الذين سبق لهم الدخول في الإسلام[2] .

وما لبثت الفسطاط أن اتسعت وكثر العمران فيها وأصبح لها شأن كبير في تاريخ المدن الإسلامية فقد اتسعت المدينة وكثر فيها العمران وتغيرت أحوالها ، وتطور نظامها مع الزمن فبنيت فيها القصور والدور ، فقد بني عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر قصرا كبيرا عرف باسم قصر الحسن سنة ٢٥هـ/ ٦٤٥م[3] ، كما ابتني مروان بن الحكم لنفسه بعد أن ولي الخلافة دارا عظيمة عند قدومه مصر سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م ، وشيد عبد العزيز بن مروان دار ضخمة أطلق عليها دار الذهب[4] .

وبني بالفسطاط أيضا الحمامات والميادين والأسواق ، فبني عبد العزيز بن مروان بها قيساريات العسل والحبال والبز ، وبني هشام بن عبد الله قيساريته التي تعرف بقيسارية هشام[5] ، وهكذا شقت الفسطاط طريقها لأن تكون مدينة ذات حضارة وصارت مبانيها تتألف من أربع طبقات وخمس كالمنائر ، يدخل إليها الضياء من الوسط وانه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس[6] .

وعلى الرغم من بناء عواصم أخرى بمصر مثل العسكر والقطائع إلا أن الفسطاط ظل لها مكان الصدارة ، وكانت تزدحم بالسكان وكان بها داران للصناعة – صناعة السفن – في الفسطاط وجزيرة الروضة .

١- ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ص ٥٩ .
٢- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٩٦ .
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٣٥ .
٤- محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص ١٠٨ .
٥- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٣٦ .
٦- المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٩٧ .

وتعرضت الفسطاط للتخريب أكثر من مرة في سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م شهدت الحرب بين مروان بن محمد والعباسيين وأمر مروان بإحراقها[١] ، كما تعرضت للنهب عندما قدم محمد بن سليمان على رأس الجيوش العباسية سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م بهدف القضاء على الدولة الطولونية إذا نهب أصحابه الفسطاط[٢] ، كما تعرضت للنهب علي يد الجنود الفاطميين أثناء محاولاتهم في غزو مصر وأثناء حكمهم وخصوصا زمن الخليفة الحاكم والظاهر[٣] ، وكذلك أثناء الصراع بين شاور وضرغام ، وعندما أمر شاور بإحراقها لمنع الجيش الصليبي من الاستيلاء عليها[٤] .

بناء الجيزة :

وهى مدينة إسلامية بنيت سنة ٢١هـ/ ٦٤١م ، وقيل فرغ من بنائها سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م ، وكان السبب في بنائها أن عمرو بن العاص عندما رجع من الإسكندرية ونزل الفسطاط جعل طائفة من جيشه بالجيزة خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية[٥] ، ولما استقر في الفسطاط أمر الذين خلفهم بالجيزة أن ينضموا إليه ، فرفضوا أن يتركوا أماكنهم، فكتب عمرو إلي الخليفة بالجيزة أن ينضموا إليه ، فرفضوا أن يتركوا أماكنهم ، فكتب عمرو إلي الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بذلك فكتب إليه الخليفة : "كيف رضيت أن تفرق عنك أصاحبك ؟ لم يكن ينبغي لك أن ترضي لأحد من أصحابك أن يكون بينه وبينك بحر ، لا تدري ما يفجأهم ، فعلك لا تقدر على غيثهم حتى ينزل بهم ما تكره فاجمعهم إليك ، فإن أبو عليك وأعجبهم موضعهم ، فابن عليهم من فيء المسلمين حصنا"[٦]، فعرض عمرو ذلك عليهم ، وأخبرهم بكتاب الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، فامتنعوا من الخروج من الجيزة ، فأمر عمرو ببناء الحصن ، فبنى سنة ٢١/ ٦٤١م ، وتم بناته سنة ٢٢هـ/

١- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٩٥ .
٢- محمد حمدي المناوي : مصر في ظل الإسلام ، ص ١١٢ .
٣- أحمد عبد الرازق : تاريخ وآثار مصر ، ص ٦٧ .
٤- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٨٦ .
٥- ابن دقماق : الانتصار ، جـ ١ ص ١٢٦ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٠٦ .
٦- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٨ .

٦٤٢م وأمرهم عمرو بالخطط بها[١] ، وأسكنها العديد من القبائل العربية منها قبيلة أصبح من القحطانيه ، ويافع بن الحارث ، وهمدان ، وبنى حجر[٢] .

حلوان :

يقال أنها تنسب إلي حلوان بن بابليون بن عمر بن امرئ القيس بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان حلوان بالشام[٣] .

وعندما وقع بمصر طاعون سنة ٧٠هـ/ ٦٨٩م خرج إلي مصر في تلك الفترة عبد العزيز بن مروان ٦٥/ ٨٦هـ - ٦٨٤ - ٧٠٥م[٤] من مصر ، ونزل بحلوان ، فأعجبته ، فأتخذها سكنا ، وجعل بها الحرس والأعوان والشرط ، وبنى بها الدور والمساجد وعمرها أحسن عمارة وبنى بها دار الأمارة[٥] ، وشيد بها مقياسا للنيل سنة ٨٠هـ/ ٦٩٩م[٦] .

العسكر ١٣٢هـ :

كانت الضاحية الأولي التي أنشأت بالفسطاط هي مدينة العسكر هي ثاني مدن مصر الإسلامية وقد أنشأت العسكر في شمال شرقي الفسطاط ، في المنطقة المعروفة بالحمراء والقصوة[٧] ، وقد أنشأت العسكر بعد تغلب العباسيين بقيادة صالح بن على بن عبد الله العباسي علي آخر الخلفاء الأمويين "مروان بن محمد" سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م ، وقد أنشئت العسكر في هذا الموضع أما لرغبة العباسيين في أن يتخذوا لأنفسهم مقرا لم يسبقهم إليه غيرهم ، وأما لأن مروان ابن محمد قد أضرم حريقا في الفسطاط خرب جانبا كبيرا منها[٨] ، وكانت هذه المدينة قد أسست لإيواء العسكر العباسي فسميت بالعسكر وشيد

١- هويدا رمضان : المجتمع ، جـ ٢ ص ١٠ ، ١١ .
٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١١٣ ، خورشيد : القبائل العربية ، ص ٢٦٠ ، ٢٥٤ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٠٩ .
٤- الكندي : ولاة مصر ، ص ٧٠ .
٥- الكندي : ولاة مصر ، ص ٧٢ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٠٩ ، هويدا رمضان : المجتمع في مصر ، ص ٢٥٥ .
٦- ابن دقماق : الانتصار ، جـ٥ ص ٧٥ ، ٧٦ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٢٤ ص ٦١١ .
٧- فريد شافعي : العمارة العربية ، جـ ١ ص ٣٨٣ .
٨- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٨٦ .

فيها دار للإمارة ، ومسجدا جامعا عرف بجامع العسكر(١) ، وقد نزل ولاة مصر العباسيون في العسكر بعد تأسيسها(٢) ، وكانت مقرا لشرطة خاصة عرفت بالشرطة العليا ، وكانت مدينة ذات أسواق ودور عظيمة ومحال لم يبق منها إلا القليل(٣) .

وبعد تأسيس العسكر بقليل ورد كتاب أبو جعفر المنصور إلى يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من العسكر إلى الفسطاط ، وذلك سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م(٤) ، ويذكر المقريزي "أنه في سنة ٢٠٠هـ/ ٨١٥م أثناء ولاية السري بن الحكم أذن للناس في البناء في مدينة العسكر ، فامتدت مباني المدينة بالفسطاط وصارتا مدينة واحدة(٥) ، وكان من أهم الدور التي بنيت بالعسكر إلى جانب دار الإمارة دار كافور الإخشيدي التي بناها على بركة قارون وأنفق عليها مائة ألف دينار ، وسكنها سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م ، ثم انتقل منها بعد أيام لوباء وقع في غلماتها من بخار البركة"(٦) .

ومن المباني التي أنشأت بالعسكر قبة الهواء ، وهي دار شيدها حاتم بن هرثمة أحد ولاة مصر ١٩٤/ ١٩٥هـ - ٨٠٩/ ٨١٠م(٧) من قبل الخليفة الأمين العباسي ، على جبل المقطم وقد استمرت قائمة حتى عصر الطولونيين ، وقد شيدها من الحجارة وغيرها من مواد البناء(٨) .

وقد ظلت العسكر مقرا للولاة العباسيين ، حتى قدم أحمد بن طولون إلى مصر وأقام ها مدة ، ولما كثرت عساكره تحول عنها إلى مدينة القطائع التي بناها إلى الشمال الشرقي منها ، ولما خربت القطائع وزالت الدولة الطولونية عاد ولاة مصر للنزول بالعسكر من جديد ، حتى دخل الفاطميون مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م ، وأسسوا مدينة القاهرة فتحول مركز الحكم إليها(٩) .

١- المقريزي : الخط ، جـ ١ ص ٣٠٤ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ١٣٣ .
٢- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٠٧ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٠٥ .
٤- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١١١ ، ١١٥ .
٥- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٣٠٤ .
٦- هويدا رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ٢ ص ٢٤٩ .
٧- الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٣٦ .
٨- هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع المصري ، جـ٢ ص ٢٤٩ .
٩- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٢٦٤ .

القطائع ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م :

استمر أحمد بن طولون بدار الإمارة بالعسكر حتى كثرت عساكره وعبيده ، وضاقت بهم مدينة الفسطاط ، فأمر ببناء مدينة شرقي مدينة الفسطاط سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م في المنطقة الواقعة بين جبل يشكر حد الفسطاط الشمالي وبين سفح جبل المقطم ، وكان هذا الموقع يعرف بقبة الهواء[١] .

اختلفت القطائع في تخطيطها عن مدينة الفسطاط فقد قسمت على أساس الطوائف والحرف ، فقد كانت كل قطيعة تعرف باسم من اتخذها سواء من تجمعهم رابطة الجنسية أو رابطة العمل ، فكانت للنوبة قطيعة ، وللروم قطيعة ، وللفراشين قطيعة ، والبزازين قطيعة والعطارين ، وسوق الشوائين ، وسوق الطباخين ، وهكذا كان لكل صنف من جميع الصنائع سوقا ، وأمر غلمانه ان يختطوا بها[٢] فبنوا حتى اتصل البناء بعمارة العسكر والفسطاط[٣] ، ولذلك سميت بالقطائع ، وكانت القطائع أول مدينة بمعنى الكلمة أنشأت في وادي النل في العصر الإسلامي[٤] ولم يقض إنشاؤها على الفسطاط أو العسكر ولم تكن العسكر والقطائع إلا ضاحيتين من الفسطاط أو امتداد لها[٥] .

ولم يكن تخطيط مدينة القطائع أو اسمها غريبا إذ كان يشبه إلى حد كبير تخطيط مدينة الفسطاط ، كما كان يطلق اسم القطائع على مدينة سامراء التي بناها المعتصم في العراق سنة ٢٢١هـ/ ٨٣٦م[٦] .

وقد عمرت القطائع عمارة حسنة وكان يخترق المدينة شارع كبير يصل بين قصر ابن طولون وجامعه الذي شيده ، وبجواره دار الإمارة في الجهة القبلية ، ولها باب من جدار الجامع يخرج منه إلى المقصورة المحيطة بمصلى الأمير إلى جوار المحراب ، وشملت القطائع

١- البلوي : سيرة بن طولون ، ص ٥٢ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣١٥ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ١٠ .
٢- ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ص ١٢١ ، البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٥٤ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣١٥ ، عبد الرحمن زكي : القاهرة ، تاريخها وآثارها ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٦ .
٤- عبد الرحمن زكي : الفسطاط وضاحيتها (القطائع والعسكر) ، ص ٨٩ .
٥- سيدة كاشف : أحمد ابن طولون ، ص ٢٤٢ .
٦- حسن أحمد محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ١٧٤ .

المساجد الحسان والطواحين والحمامات والأفران ، وسميت أسواقها حسب السلع المبيعة فيها(١) .

وكانت أهم الدور التي بنيت في القطائع قصر أحمد بن طولون ، الذي ألحق به ميدانا كبيرا يضرب منه بالصوالجة فأطلق علي القصر كله الميدان ، وقد عمل للميدان أبوابا وسمي كل باب باسم وهى :

- باب الميدان : ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش .
- باب الخاصة : لا يدخل منه إلا خاصته .
- باب الجبل : كان يلي الجبل المقطم .
- باب الحرم : لا يدخل منه إلا خادم خصي أو حرمه .
- باب الدرمون : نسبة إلى أحد الحجاب .
- باب وعناج : نسبة إلى حاجب أخر.
- باب الساج : وكان يفتح على الشارع الأعظم(٢) .

ولم تكن هذه الأبواب تفتح كلها إلا يوم العيد أو يوم عرض الجيش أو يوم الصدقة(٣)، أما باقي الأيام فإن هذه الأبواب كانت تفتح في وقت محدد وتغلق في وقت محدد أيضا .

ومن المنشآت في القطائع أيضا بيت الذهب الذي بنى في عهد خمارويه بن أحمد بن طولون وكانت جدرانه مطلية بطبقة من الذهب ، وجعل فيه صورا له وصور حظاياه والمغنيات بأحسن تصوير ، وجعل على رؤوسهم الأكاليل من الذهب الخالص ، وكان هذا البيت من عجائب مباني الدنيا(٤) .

١- البلوي : سيرة ابن طولون ، ص ٥٤ ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ٣١٥ .
٢- فريد شافعي : العمارة العربية ، ص ٤٢٥ .
٣- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ٦١ .
٤- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ٥٤ .

كما أقام خمارويه أمام القصر بركة الزئبق ، بلغ طولها خمسين ذراعا وعرضها خمسون ذراعا ، وكانت مملوءة بالزئبق وجعلها للاسترخاء ، حيث جعل عليها سريرا من أدم – جلد – يحشى بالهواء لينام عليه ، وكان منظرها عجيبا في الليالي المقمرة[1] ، وبنى خمارويه الدكه وهى تضاهى قبة الهواء ، وجعل لها ستائر يتقي بها حر الصيف ورد الشتاء[2] ، كما بنى خمارويه أيضا دار الحريم ، ونقل إليها أمهات أولاد أبيه مع أولادهن وأفرد لكل واحدة حجرة واسعة وأنفق عليها أموالا كثيرة[3] .

وقد خربت القطائع على يد محمد سليمان الكاتب وذلك خلال عهد الخليفة المكتفي بالله ٢٨٩/ ٢٩٥هـ - ٩٠١/ ٩٠٧م حنقا على بنى طولون عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م وأبقى الجامع[4] .

العباسة :

هى قرية فيما بين بلبيس والصالحية من أرض السدير لم تزل منتزهاً لملوك مصر ، وبها ولد العباس بن أحمد بن طولون فسماه لذلك أبوه العباس ، وولد بها أيضاً الملك الأمجد تقي الدين عباس ابن العادل أبى بكر بن أيوب ، وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيراً ، ويقول "هذه تعلو مصر إذا أقمت بها اصطاد الطير من السماء ، والسمك من الماء ، والوحش من القضاء ، ويصل الخبز من قلعة الجبل إليَّ بها في قلعتي وهو سخن" ، وبنى بها دورا ومناظر وبساتين ، وبنى بها أمراؤه أيضاً عدة مساكن في البساتين ، ولم تزل العباسة على ذلك حتى أنشأ الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل المنزلة الصالحية فتلاشى حينئذ أمر العباسة وخربت المناظر فى عهد السلطان المملوكي عز الدين أيبك

١- ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ص ١٣١ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ٥٥ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣١٧ .
٣- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ٤٧ ، آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ ١ ص ٢٠٩ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٢٣ .

وسميت بالعباسة نسبة لبنت أحمد بن طولون عندما خرجت إلى هذا الموضوع مودعة لبنت أخيها قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون لما زفت إلى المعتضد بالله العباسي وضربت هناك فاستطابتها ثم بنت قرية فسميت باسمها[١] .

القاهرة ٣٥٩ هـ :

ظلت مدينة الفسطاط عاصمة لمصر ، وكانت مدينة الإقليم منذ الفتح الإسلامي لمصر ، وكانت منزلا للأمراء ، وكثر الناس بها وزادت عمارتها ، ثم لما انقضت الدولة الإخشيدية في مصر سنة ٣٢٣/٣٥٨هـ - ٩٣٥/ ٩٦٩م ، واختلت أحوال مصر بسبب الوباء والفناء ، سار الجيش الفاطمي بقيادة جوهر الصقلي إلى مصر واستولى على الفسطاط من بقايا الإخشيديين ، واختط مدينة القاهرة[٢] .

وعدد المقريزي موضع القاهرة فيذكر : "أنها كانت رملة فيما بين مصر وعين شمس ، يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط إلى عين شمس ، وهو يقع إلى الشمال من الفسطاط ويحدها من الشرق جل المقطم ، ومن الغرب خليج أمير المؤمنين"[٣] .

واختط جوهر القاهرة يوم السبت لست بقين من جمادي الأخر سنة تسع وخمسين وثلثمائة ، واختطت كل قبيلة خطه عرفت بها[٤] ، وكانت القاهرة قد نشأت كحصن ملكي، فكان قصر الخليفة وصطها محصنا بأبواب محددة[٥] .

وأراد جوهر أن يحصن المدينة وأن يعوق في الوقت نفسه عامة الشعب في كل من الفسطاط والعسكر والقطائع الوصول إلى القاهرة ، فقد كان محظورا على أي فرد اجتياز أسوار القاهرة إلا إذا كان من جند الحامية الفاطمية أو من كبار موظفي الدولة ، وكان الدخول إليها لا يتم إلا بعد الحصول علي تصريح خاص[٦] ، وعن طريق الأبواب الثمانية

١- المقريزي : الخطط ، ص ٢٣٢ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٥٠ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٥٩ .
٤- ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ص ٣٦ ، ٣٧ .
٥- عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص ٤٦٩ .
٦- عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص ٤٦٩

التي فتحها جوهر في السور ، وكان سور القاهرة سميكا بحيث يستطيع أن يمر فوقه فارسان جنبا إلى جنب[1] .

- اثنان من السور الشمالي هما باب الفتوح وفي شرقه باب النصر .
- باب زويله في السور الجنوبي ، وفي الغرب باب الفرج .
- باب الضلع الشرقي هما باب البرقية ، وباب القراطين[2] .
- وفي الضلع الغربي كان يوجد بابان هما باب القنطرة وباب سعادة [3].

وكان لموقع القاهرة ميزات عديدة في مقدمتها أن نهر النيل يحيط بضاحيتها الفسطاط من الغرب ، وأتاح ذلك لسكانها فرصه إقامة العديد من القصور على شاطئ النيل[4] . كما كانت محصنة بحصون طبيعية كجبل المقطم في الجنوب الشرقي ونهر النيل في الغرب ، وحصون غير طبيعية تتمثل في الأسوار التي أقيمت حول المدينة[5] .

وبصفة عامة فقد دل موقع القاهرة علي نظره صائبه رغم اعتراض المعز لدين الله الفاطمي علي اختيار موضعها[6] ، فكان بعدها النسبى عن النهر يحميها من خطر الفيضان ، ويؤكد ذلك ابن سعيد بقوله : "أن بعد القاهرة عن مجري النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها"[7] .

وقد اختط طريق عام وسط المدينة من باب زويله جنوبا ويتصل بمدينة الفسطاط مارا فيها بين القصرين[8] حتى باب الفتوح ، وكان يوصل إلى الفضاء الواقع في الشمال وإلى الجنوب الشرقي من قصر الخليفة يقع الجامع الأزهر الذي شرع جوهر في بنائه سنة ٣٥٩هـ/ ٩٧٠م ، وأتم بنائه سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م ليكون المسجد الرسمي للقاهرة ، وذلك بعد

١- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٧٧ .
٢- القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ص ٢٥٣ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ . على مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ٢ ص ٩٧ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ١١٧ .
٥- أبو شامة : الروضتين ، جـ ١ ق٢ ص ٦٨٧ .
٦- القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ص ٣٥٥ ، المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ١١٢ .
٧- ابن سعيد ك النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ص ٢٥ .
٨- المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص ٣٨٣ ، حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ١١١ .

أن وضع أساس القاهرة الحوانيت والأسواق ما لا يقل عن عشرين ألف دكان ، وكان بها رباطات وحمامات وأبنية أخرى[١] .

وقد عرفت هذه المدينة في أول الأمر باسم المنصورية تيمنا باسم المنصورية التي أنشأها المنصور بالله ثالث الخلفاء الفاطميين خارج مدينة القيروان شمال إفريقيا[٢] ، ولم تعرف بالقاهرة إلا بعد أربع سنوات بعد أن حضر الخليفة المعز إلى مصر ورأي من قراءاته الخاصة للطالع أن هذه التسمية فأل خير إذ رأي أن أسم القاهرة مشتق من القهر والظفر[٣] .

ويذكر أن سور القاهرة الذي بناه جوهر لم يعمر أكثر من ثمانين سنة ، إذ كان قد تهدم في عصر المستنصر بالله[٤] ، فاستبدل به بدر الجمالي وزير المستنصر سورا آخر ، وذلك بعد أن وسع رقعة القاهرة بمقدار ١٥٠ مترا إلى الشمال من السور القديم[٥]، وحوالي ثلاثين مترا إلى الشرق ومثلها إلى الجنوب[٦] ، وقد تم تشييد هذا السور فيما بين سنتى ٤٨٠/ ٤٨٥هـ[٧]، وبنى هذا السور من الحجر وبقي منه ثلاثة أبواب هامة هي : باب النصر وباب الفتوح وباب زويله ، وأقدمها باب النصر ويعرف بباب العز[٨] .

وبعد انتهاء الدولة الفاطمية واستيلاء صلاح الدين على مقاليد الحكم في مصر سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م تغير صفة القاهرة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور[٩] .

١- ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٤٨ .
٢- ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ص ٣٥ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٣٧٧ .
٤- ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ٨٩ ، عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص ٤٦٩ .
٥- أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، القاهرة ١٩٦٥ ، جـ ١ ص ٢٤ .
٦- عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص ٤٦٩ .
٧- ابن الصيرفي : الإشارة إلى من تولى الوزارة ، ص ٩٧ .
٨- عبد الرحمن فهمي : أسوار القاهرة ، ص ٤٧٤ .
٩- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٦٤ .

الفصل الثاني عشر

مظاهر الحياة الاجتماعية

مظاهر الحياة الاجتماعية

عناصر السكان :

تعددت عناصر السكان في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي ، فكان سكانها أخلاطا من أجناس مختلفة من عرب ، وسودانيين ومغاربة وأتراك وأرمن[١].

وهذه العناصر المتعددة قد انصهرت مع الوقت في الحياة الاجتماعية وتأثرت بتقاليد المجتمع المصري العريق ، فأصبح الجميع ينتسبون إلى مصر الإسلامية وذلك بعد انتشار الإسلام واللغة العربية فيها ، ومن هذه العناصر الآتي :

العرب :

أتي العرب مصر قبل الفتح العربي الإسلامي لها وكذلك قبل الإسلام وكان ذلك على شكل قوافل تجارية ، حيث كانت العلاقات مستمرة بين العرب في شبه الجزيرة العربية وبين مصر خلال العصرين الروماني والبطالمي ، وكان بها أفواج عديدة من الإغريق والإيطاليين والسوريين والليبيين والعرب والهنود[٢] ، وكانت تجارة الشرق تخترق باب المندب محملة بالتوابل والأخشاب ومنتجات الهند والصين ، وكانت تمر عبر البحر الأحمر ثم تشحن في مراكب من فقط للإسكندرية [٣]

وعندما أتي العرب مصر مع الجيش الإسلامي وأتموا فتحها واستقر بها العديد من القبائل العربية في مناطق عديدة موضحة في الآتي :

لما اختط العرب مدينة الفسطاط سنة ٢١هـ/٦٤١م تنافست القبائل العربية فى المواضع ، فانتدب عمر بن العاص من خطط الخطط ، فمن تلك الخطط خطة أهل الراية – وهم جماعة من قريش والأنصار وخزاعة وبنى غفار وجهينة ومزينة وأشجع ، ومن تلك

١- على حسن الخربوطلي : مصر الإسلامية ، ص ٥٣ ، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ٢٢ .
٢- إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عهد البطالمة ، جـ٢ ص ٣١ .
٣- عبد الفتاح مقلد غنيمي : عروبة مصر قبل الإسلام ، جـ ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، السيد رشدى ياسين : العرب ودورهم في مصر تحت الحكم البطلمي ، رسالة ماجستير آداب طنطا ١٩٩٠ ص ٧٧ ، ٩٦ .

الخطط خطة مهرة وخطة تجيب وخطط لخم وجذام وخطة بنى بحر وهم من الأزد وخطة ثقيف ، وخطة غافق ، وخطة الصدف وخطة رعين وخطة بنى الكلاع وخطة بنو الرحبة ، وخطة مذحج ، وخولان ، وبنى سعد ، وبنى سعد ، وبنى وائل وخطط المعافر ، وخطط غافق وخطة سبأ وبنى فهر وبنى جمح وبنو عنزة وخطط الحمراوات ، وبنى اللفيف ، وخطة أهل الظاهر والفارسيين[١] .

العرب في الجيزة :

خطط كثير من العرب في الجيزة ، حيث شملت خطط أصبح من القبائل القحطانية ، وخطط يافع بن الحارث ، وكانت خططهم في وسط الجيزة ، وقد بنى الحصن في خططهم[٢] ، خطط همدان وهى من القبائل القحطانية من كهلان ومن بطونها التي اختطت في الجيزة حاشد وبكيل بن جشم وقد اختطت بكيل في جنوبها الشرقي ، واختطت حاشد في شمالها الغربي ومن بطون بكيل التي اختطت في الجيزة الحياوية بن بنى عامر بن بكيل ، وبنو عوف بن أرحب بن بكيل وقد اختطت كلاهما في الجهة القبلية من الجيزة[٣] .

القبائل العربية في شرق الدلتا :

كانت منطقة شرق الدلتا بحكم موقعها الجغرافي بمثابة الباب الطبيعي لدخول القبائل العربية مصر ولذا كانت أكثر الأقاليم المصرية ازدحاما بالقبائل العربية ، ويرجع السبب في تفضيلهم البقاء والإقامة بتلك المنطقة إلى أنها قريبة الشبه بالبيئة التي اعتادوا المعيشة فيها في شبه الجزيرة العربية[٤] .

ومن القبائل العربية التي هاجرت إلى مصر واستقرت في شرق الدلتا قيس من مصر وهي من القبائل العدنانية ، فيذكر ابن عبد الحكم أن هجرتها إلى مصر كفريضة وذلك

١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩٣ ، المقريزى : البيان والاعراب ، ص ٦٢ .
٢- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٩٣ .
٣- رضوان الجناني : القبائل العربية في القرنين الثالث والرابع ، ص ١١ .
٤- محمد فتحى الشاعر : إقليم الشرقية في عصر السلاطين الأيوبين والمماليك ، ص ٣٩٢ ، بدر عبد الرحمن : شرق الدلتا ، ص١

خلال عهد الخليفة هشام ابن عبد الملك إذا طلب منه بن الحبحاب – صاحب خراج مصر أن ينقل إليه منه ، فنقل ثلاثة آلاف وأمره ألا ينزلهم الفسطاط[١] ، ولم يكن وجود قيس فى بلبيس وما حولها فحسب ، وإنما امتدوا إلى ما هو معروف الآن بإقليم القليوبية ، ومنهم بنو مازن الذين انتشروا حول قليوب بأطراف الشرقية[٢] .

ومن القبائل العربية التي استقرت بالحوف الشرقي قبيلة بنى تميم ، وهى من القبائل العدنانية التي دخلت مصر سنة ١٣٢هـ/٧٤١م مع قيام الدولة العباسية[٣] ، وقبيلة بنى طئ عندما كان حميد بن قحطبة الطائي واليا على مصر ، وكانت هذه القبيلة ممثلة في جيشه الذي بلغ عدده حوالي عشرين ألف جندي[٤] ، وأيضا قبيلة كنانة التي حضر منها عدة بطون في فترات متفاوتة ، واستمرت هجرتها إلى مصر حتى قيام الدولة الفاطمية ، وتنسب إليها بلدة ميت كنانة التي كانت ضمن شرق الدلتا والآن إحدى قرى القليوبية[٥] .

ومن القبائل التي قدمت إلى شرق الدلتا بنى عدى رهط الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ حيث جاءوا إليها في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، وهم من قريش[٦] وتنسب إليهم قرية بنى عدى التابعة لمركز فاقوس شرقية[٧] ، وفي سنة ٢٠٧هـ/٨٢٢م أرسلت الخلافة العباسية جيشا أكثره من ربيعة يقوده خالد بن مزيد الشيباني لمواجهة ثورة يمينه قادها عبد العزيز الجروي ، واستقر الكثير من ربيعة في الحوف الشرقي ، ثم نقلت ربيعة إلى أقصى الجنوب أواخر عصر المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢/٢٤٧هـ - ٨٤٦/٨١٦م للتصدي لخطر البجة ، وبعد أن نجحت في صدهم استقرت ربيعة في تلك المنطقة قبيلة عك[٨] وهم من بنى عك من الأزد من بنى مالك من قبائل كهلان[٩] .

١- الكندي:ولاة مصر، ص ٧٦، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٤٣، المقريزي: البيان والأعراب ، ص ٦٥، ٦٦.
٢- بدر عبد الرحمن : شرق الدلتا ، ص ١٩ .
٣- عبد الله خورشيد : القبائل العربية ، ص ١٨١ .
٤- عبد الله خورشيد : القبائل العربية ، ص ٦٣ ، ٩٩ .
٥- ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٥ ص ٥٠، ابن الجيعان: التحفة،ص ١٣،محمد رمزي: القاموس ، جـ ١ ق٢ ص ٤٨ .
٦- عبد الله خورشيد : القبائل العربية ، ص ٦٦ .
٧- ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ٢٦ .
٨- بدر عبد الرحمن : شرق الدلتا ، ص ١٩ .
٩- محمد فتحى الشاعر : الشرقية ، ص ١٠٦ .

ومن القبائل التي هاجرت إلي مصر واستقرت بالحوف الشرقي قبلية هلال وسليم ، حيث نزلوا بلبيس واستقروا بها ، وأنتشر بعضهم في أقاليم مصر الأخرى[١] .

ويبدو أن الهلاليين أصبحوا منذ أوائل القرن الثالث الهجري من بطون قيس الكبيرة في الحوف الشرقي ، ففي سنة ٢١٤هـ/ ٨٢٩م أرسل والي مصر عبد الله بن حليس الهلالي لمحاربة الثائرين فى الحوف ، ولكن هذا الهلالي ما لبث أن انضم إلي الثائرين وأصبح قائدا لهم[٢] ، وشاركت قبيلة لخم قيس وجذام في سكن الحوف[٣] ومنهم بنو سماك ، وإليهم تنتسب بلدتا سماكين الشرق وسماكين الغرب وهما تابعتين لمركز فاقوس محافظة الشرقية وكانت بلدة واحدة[٤] .

القبائل التي سكنت غرب الدلتا :

أعقب مراحل الفتح الإسلامي لغرب الدلتا ، استيطان القبائل العربية في أقاليمها ، ثم إعمار تلك الأقاليم على مر العصور وذلك بعد أن أنصهروا مع مرور الزمن في بوتقة واحدة مع المصريين ، ومن هذه القبائل التي استقرت بغرب الدلتا قبيلة لخم – من القبائل القحطانية التي أقامت بخربتا[٥] .

وفي العصر العباسي ظهرت جموع كثيرة من قبيلتى لخم أكثر القبائل العربية انتشارا في غرب الدلتا ، ومن بطون لخم التي سكنت غرب الدلتا بنو مدلج ، حيث كانت ديارهم تمتد من دير الجميزة إلى ترعة سول[٦] ، وأقاموا أيضا فى خربتا وفي وادي هبيت[٧]

١- المقريزي : البيان والأعراب ، ص ٦٧ .
٢- الكندي : الولاة ، ص ١٨٥ .
٣- الكندي : الولاة ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .
٤- القلقشندي : قلائد الجمان ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، جـ ١ ص ١١٥ .
٥- خربتا : هي إحدي قري غرب الدلتا تبعد عن الإسكندرية بمسافة ٩٠كم وهي تابعة لمحافظة البحيرة الحالية . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٢ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٥ ص ١٠٦ .
٦- القلقشندي : البيان والإعراب ، ص ١٠٣ ، خورشيد : القبائل العربية ، ص ١٥٦ .
٧- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١ ص ٩٧ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص ١٣٦ .

وكذلك بنو القشب الذين سكنوا الإسكندرية[١] ، وأيضا قبيلة القارة التي سكنت مدينة رشيد[٢] .

أما قبيلة جذام فهي إحدي القبائل القحطانية التي سكنت البحيرة ، ومنهم بنو قره[٣] وبنوحمير من القبائل القحطانية التي استقرت في غرب الدلتا حيث سكنت ذبحان إحدي بطونها بخربتا[٤] ، وسكنت قبيلة مهرة بمدينة الإسكندرية[٥] .

وكانت قبيلة كنده من القبائل القحطانية التي استقرت بطونها بغرب الدلتا مثل تجيب التي استقرت بالبدقون[٦]

بعد أن كانت ترتبع بها ، وأيضا السكون وهي إحدي بطون كنده في خربتا[٧] .

أما مراد فهي بطن من كهلان من القحطانية ، وكانت ترتبع مع تجيب في البدقون وسكن العديد من أفرادها مدينة رشيد[٨] ، وقبيلة المعافر التى سكنت مدينة الإسكندرية[٩]، وبنو هلال ، وكذلك بنو سليم الذين سكنوا المنطقة الممتدة بين البحيرة وبرقة[١٠] .

القبائل التي سكنت الصعيد :

بنو هلال من القبائل العدنانية وهم من بنى عامر من صعصعة من مجموعة هوازن الكبرى ، وقد كان قدومهم مصر ١٠٩هـ/ ٧٢٧م في هجرة قيس الكبرى وقد انتشر بنو هلال في وقت متأخر بالصعيد[١١] .

١- الكندي : الولاة ، ص ١٢٦ ، ابن حبيب : مختلف القبائل ، ص ٣٤ .
٢- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، جـ ٢ ص ٢٣٠ ، السمعاني : الأنساب ، ص ٤٣٧ .
٣- المسبحى : تاريخ مصر ، ص ٤١٤ ، ٤١٥ ، المقريزي : البيان ، ص ٣١ .
٤- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٢٦ ، ١٤٢ .
٥- السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ١٣ .
٦- البدقون : إحدي قري محافظة البحيرة الحالية ، محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، ص ١٢٨ .
٧- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٣٠ ، ١٤٢ .
٨- السمعاني : الأنساب ص ٤٩٤ ، ابن عبد الحكم : فتوح ، ص ١٢٧ ، إبراهيم على السيد : القبائل العربية في غرب الدلتا ، ص ٦٥ .
٩- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٤٢ .
١٠- المقريزي : البيان والأعراب ، ص ٩ ، إبراهيم على السيد : القبائل العربية في غرب الدلتا ، ص ٧٢ .
١١- رضوان الجناني : القبائل العربية ، ص ١٤ ، ممدوح عبد الرحمن : القبائل العربية في الصعيد ، ص ٦٤ .

ومن القبائل العربية التي قدمت واستقرت بالصعيد أولاد الكنز وأصلهم من ربيعة بن معد بن عدنان أي من عرب الشمال ، وقدم الكثير منهم إلى مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي ٢٣٢/ ٢٤٧هـ[١] .

ومن القبائل القحطانية التي استقرت في صعيد مصر ، بنو حجر حيث انتقلت هذه القبيلة إلى المنطقة الواقعة في محافظة المنيا الحالية ، وذلك منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[٢] ، أما بنو راشد فيذكر أنهم استقروا في البر الشرقي من صعيد مصر فيما بين مسجد موسى ، وأسكر من عمل أطفيح[٣] ، كما سكنت بنو المغيرة كور البهنسا – مركز بني مزار محافظة المنيا الحالية[٤] .

ومن القبائل العربية التي استوطنت الأشمونيين بنو كنانة ، وطلحة ويذكر أن منهم أخلاطا في بلاد قريش أي بلاد الأشمونيين وما حولها من البهنسا[٥] ، وبنو زهرة وكانوا ضمن القبائل التي استقرت في الصعيد في منطقة الأشمونيين[٦] ، وكذلك جهينة وهي من القبائل القحطانية سكنوا بلاد الأشمونيين حتى مجيء الفاطميين ثم انتقلوا إلى بلاد أخميم[٧] .

ويوجد بين أوان وقوص جماعات تنسب إلى جعفر بن أبي طالب يعرفون بالجعافرة ، عاشوا في مصر منذ القرن الثالث الهجري ، وكانت عدة بطون منها تنزل بالأشمونيين[٨] .

١- المقريزى : البيان والإعراب ، ص ٣٨ ، محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص ١٧ .
٢- المقريزي : البيان والإعراب ، ص ٤٢ .
٣- عبد الله خورشيد : القبائل العربية ، ص ١٠٦ .
٤- محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص ٢٧ .
٥- عبد الله خورشيد : القبائل ، ص ٨١ .
٦- محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص ٢٨ .
٧- القلقشندي : صبح ، جـ ١ ص ٨ .
٨- المقريزي : البيان ، ص ٣٢ .

ومن القبائل بصعيد مصر قبيلة هوارة ولها فروع كثيرة في مصر وهي تنسب إلى حمير الأصغر من سبأ ، كانوا يسكنون الصعيد فيما بين قوص والبهنسا وصارت لهم بلاد اخميم والأمر على ذلك إلي الآن[١] .

السودانيون :

عرفت مصر السودانيين خلال عصر الولاة وذلك أثناء ولاية عبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح عام ٣١هـ/ ٦٥١م من قبل الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، وكان ذلك بنقض المعاهدة التي عقدها عبد الله بن سعد بن أبي سرح مع ملك النوبة والتي تكونت من خمسة آلاف فارس [٢] ، وقد وصلت حملتهم إلي مدينة دنقلة بعد قتال عنيف أنتهي الأمر بعقد هدنة بين الطرفين ، وتم توقيع معاهدة البقط [٣] ، وعقدت هذه المعاهدة بناء على طلب النوبيين أنفسهم الذين طلبوا الصلح والموادعة ، ويذكر المسعودي في هذه المعاهدة أنها تنص على أن يدفع ملك النوبة إلي بيت المال فى مصر حوالي ٣٦٥ رأسا (ثلاث مائة وخمسة وستون رأسا) من الرقيق كل عام[٤] ، وفي صيغة أخري "وليس بين أهل مصر والأساود عهدا ، وإنما كانت هدنة أمان بعضنا من بعض ، تعطيهم شيئا من قمح وعدس ، ويعطوننا دقيقا ، ولا بئس بما يشترى من رقيقهم منهم ومن غيرهم"[٥] .

وإذا نظرنا إلي ما جاء بهذا الاتفاق نجد أنه أشبه بعقد معاهدة تجارية حيث تضمن تبادل بعض السلع مع الرقيق ، كما أنه يوحي بإلزام ملك النوبة بإرسال محدد من الرقيق إلي بيت المال وذلك على سبيل الجزية ، ومهما يكن من الأمر فإن هذا الاتفاق دليلا على وجود السودانيين في مصر منذ القرن الأول الهجري ، وقد تم تجديد هذه المعاهدة في

١- محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص ١٨ ، ٣٠ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٢٢ .
٣- البقط : هي كلمة غير واضحة الأصول وهي تعني عقد أو معاهدة أو اتفاقية فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية Pactum ، ولعل أصلها من الكلمة المصرية "باك" بمعني عبد ، وقيل أنها كلمة عربية بمعني نبذة أو قطعة أو فرقة ، المقريزي : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ ، محمد مصطفي سعد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١١٣ .
٤- المسعودي : مروج الذهب : جـ ١ ص ١٤١ .
٥- اليعقوبي : تاريخه ، جـ ١ ص ١٦٠ ، الكندي : ولاة مصر ، ص ١٢ .

سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م ، وذلك خلال عهد الخليفة المأمون العباسي[١] ، وظلت هذه المعاهدة سارية خلال العصر الأيوبي والمملوكي ، ولم ينهيا العمل بها إلا بعد أن أستقل بنو الكنز تماما عن الدولة المملوكية ، وكان ذلك سنة ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م ويعبر عن ذلك بن خلدون بقوله: "أنهم منذ ذلك التاريخ – أواخر القرن الثامن الهجري وأوائل التاسع – انقطع إرسال ملوك النوبة للجزية والبقط إلي حكام مصر"[٢] . وكان ذلك خلال فترة حكم السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق الفترة الأولي ٨٠١/ ٨٠٨هـ - ١٣٩٩/ ١٤٠٥م .

وقد ازداد عدد السودانيين في أنحاء البلاد منذ أن درج بعض الولاة في مصر على تجنيدهم ، وخاصة بعد استبعاد العرب من الديوان في عهد المعتصم ، وقد أستكثر ابن طولون من شراء العبيد السودانيين[٣] ، وألحقهم بالجيش الطولوني الذي كان يضم الآلاف منهم ، ويقدر عددهم بأربعين ألف بالإضافة إلي سبعة آلاف مرتزقة وهذا العدد مبالغ فيه لأن الجيوش الطولونية كلها كانت في أشد قوتها تقدر بنحو خمسين ألف جندي[٤] ، وقد سار الإخشيديون على نهجهم حيث ضم الجيش الإخشيدى كان عبدا أسود[٥] ، وهذا دليل على مدي تزايد نفوذهم في ذلك العصر.

أما خلال العصر الفاطمي فتضاعفت أعدادهم وظهر أمرهم وخاصة في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ، حيث كانت الأسواق تكتظ بالعبيد السودانيين من أهل النوبة ، وأصدر الحاكم قرارا بتخصيص يوم لبيع الجواري منهم ويوم لبيع الغلمان ، وأشترط على من يذهب إلي أسواق الرقيق أما أن يكون مشتريا أو بائعا وليس متفرجا[٦] ، وقد ظهر أمرهم

١- سهام أبو زيد : العناصر السودانية ، ص ١٠ .
٢- ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٤٢٩ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ١٥٢ ، حسن محمود : حضارة مصر في العصر الطولوني ، ص ١٨٤ ، ١٨٨.
٤- أحمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك ، ص ٦٦ .
٥- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٠٢ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٤٥ .
٦- ابن سعيد : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ، ص ٦٦ ، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ٥٣ .

في عهد الحاكم عندما استعان بهم في إخماد بعض الثورات التي قام بها المصريون والأتراك(١) .

ويرجع السبب في كثرتهم وازدياد نفوذهم خلال العصر الفاطمي إلى أن أم المستنصر كانت من السودانيين ، حيث بلغ عددهم خمسين ألف نصفهم من الجنود ونصفهم من عبيد الشري ، وجندتهم وكانوا عونا لها في إخماد ثورات الأتراك ولكنهم انهزموا رغم ما قدمته لهم من معونات ، فهرب العديد منهم إلي الصعيد وعاثوا فيها فسادا(٢) .

وهكذا يمكن القول أن الجواري السودانيات كان لهم دور بارز في سياسة الدولة الفاطمية ، حيث وصلن إلى أعلى المراتب في السلم الاجتماعي بزواجهن من بعض الخلفاء، وكونهن أمهات لبعضهم ، ومثال ذلك الدور الذي قامت به أم المستنصر بالله من السيطرة عليه وعلى شئون الدولة ، وذلك بسيطرتها على أبي سعيد إبراهيم بن سهل التستري المشرف على ديوانها ، الذي من خلاله سيطرت على شئون الدولة ، واتخذت لها العلامة "الحمد لله ولي كل نعمة" للتوقيع على الأوراق الرسمية ، وتدخلت في شئون الوزارة والقضاء والدعوة ، وكانت تفضل بني جنسها من السودانيين مما أدي إلي الفتنة واضطراب أحوال البلاد(٣) .

وتفاقم أمر السودانيين في عهد المستنصر بالله وازدادت أعدادهم وكثرت حروبهم مع الأتراك ونالوا الكثير من الهزائم(٤) . ثم زاد خطرهم على أمن الدولة في عهد الظاهر لإعزاز دين الله ، فثاروا بتنيس سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م مطالبين بأرزاقهم وعاثوا في البلد فسادا وسلبوا ما في خزائنها من مال ، فبعث إليهم الوزير الفاطمي نجيب الدولة على بن أحمد الجرجرائي من قبض عليهم وأخضع ثورتهم(٥) .

١- ابن الجوزي : المنتظم ، جـ ٧ ص ١٩٧ ، ٢٩٩ ، حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٦٢٥ .
٢- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٢ ص ١٥٦ .
٣- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٤٢٤ ، نريمان عبد الكريم : المرأة في العصر الفاطمي ، ص ٢١١ .
٤- النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢ ص ٦٧ .
٥- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٨١ .

وفي سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م اشتبك السودانيون مع الأتراك عند كوم شريك ، ولما انهزموا انتشر مسارهم في أنحاء البلاد ، حيث اكتسح خمسة عشر ألف منهم غرب الدلتا حتى وصلوا إلي دمنهور ، والإسكندرية واستقروا بها وحالوا دون زراعة الأراضى ، كما ألقوا الرعب في قلوب الفلاحين ، وكان بالإسكندرية جماعة منهم فحاربهم الترك وحاصروهم فيها مدة حتى طلبوا الأمان ، فأخرجهم الترك بعد أن ظلت الإسكندرية بأيديهم فترة أثناء ثورتهم سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م[١] .

وعلى الرغم من كثرة حروب السودانيين وهزيمتهم لأضعاف شوكتهم إلا أن ذلك لم يقض عليهم تماما ، حيث كان السودانيون من بين العناصر التي حاولت التخلص من صلاح الدين الأيوبي[٢] .

الترك :

ينسب الترك إلي منطقة التركستان الروسية ، ولم تكن لهم مدينة أو حضارة قديمة ، بل كانوا مجرد رعاة بدو ، وقد أكسبتهم البداوة قوة جسدية وخشونة في الطبع[٣] ، وهذا بطبيعة الحال جعل الخلفاء والأمراء يعتمدون عليهم في الجيش فامتلأت بهم قصورهم للحراسة والخدمة .

وازداد عدد الترك في مصر خلال العصر العباسي الثاني ، وذلك بعد ازدياد نفوذهم في بغداد وتحكمهم في الخلفاء وسياستهم وتولى بعضهم منصب الأمارة في مصر ، فكان أحمد بن طولون ، ومحمد بن طغج الإخشيدي من الأتراك الذين تولوا إمارة مصر ، وقد اعتمدا كثيرا على العنصر التركي الذي تزايد بصورة ملحوظة خلال تلك الفترة[٤] .

وقد ظهر أمرهم في عهد العزيز بالله الفاطمي الذي نسج على منوال العباسيين منهجهم الخاطئ في اعتماده على العساكر التركية وأدخلهم الجيش كجند مرتزقة ، وكان

١- سهام أبو زيد : العناصر السودانية ، ص ٦٢ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٢٩ .
٣- عطية القوصي : دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص ٨٦ .
٤- حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٦٢٥ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٤٥ .

للوزير ابن كلس دور كبير في ازدياد عدد الأتراك في عهد العزيز بالله ، حيث كان ينفر من المغاربة[1] .

وفي عهد الحاكم بأمر الله تفاقم أمرهم حيث كان برجوان الخادم أستاذا ومربيا للحاكم وكان من الصقالبة ، وظل مناوئا لأبن عمار زعيم المغاربة ومنافسا له[2] ، وخلال عهد المستنصر بالله واجه الترك منافسة شديدة من السودانيين فنشبت بينهما معارك ضارية انتهت بهزيمة السودانيين .

المغاربة :

هجرة المغاربة إلى مصر قديمة العهد ، والطريق المغربي الذي يصل بلاد المغرب بمصر كان معبرا مفتوحا للمغاربة منذ أقدم العصور[3]، وقد عرفت مصر عنصر المغاربة منذ عصر الولاة حيث الحجاج المغاربة يستخدمون الأراضي المصرية أثناء ذهابهم لأداء فريضة الحج والعودة منها[4] .

وقد وجد عنصر المغاربة في الجيش المصري منذ العصرين الطولوني والإخشيدي[5] . وبدأ بعض المغاربة يستقرون في مصر منذ أواخر عهد الدولة الإخشيدية وذلك أثناء محاولات الفاطميين غزو مصر منذ سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م ، حيث تركت حملاتهم التي باءت بالفشل بعض أفرادها لينشروا مذهبهم الشيعي بين أهالي البلاد[6] .

وفي سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م أرسل الفاطميون من الغرب أعدادا غفيرة من المغاربة وذلك للإقامة بمدن مصر والاستقرار بها ، حيث أنه في بعض الأحيان كانت كثرة عددهم سببا في ارتفاع الأسعار[7] وزيادة الغلاء وندرة الغلال وندرة الغلال ، ويذكر أبو المحاسن : "أنه

١- فليب حتى : تاريخ العرب ، جـ ٣ ص ٧٣٥ .
٢- حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٦٢٥ .
٣- المقريزي : البيان والأعراب ، ص ١٢ .
٤- ابن جبير : الرحلة ، ص ٤٨ .
٥- سهام أبو زيد : المغاربة ، ص ١٩ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٤٥ .
٦- حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٨٩ ، سيدة كاشف : عصر الإخشيديين و ص ٣٦٤ .
٧- سهام أبو زيد : المغاربة ، ص ٢٣ .

في سنة إحدي وخمسين وثلاثمائة وقع بمصر الغلاء واضطربت أمور الديار المصرية والأسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة أعوان الخلفاء الفاطميين الواردين إليها من المغرب، وتزايد الغلاء وعز وجود القمح"(١) .

ويذكر المقريزي في وجود المغاربة بمصر "ومازالت الإسكندرية وأعمالها في اضطراب إلي أن قدمت إليها جيوش المعز لدين الله الفاطمي مع القائد جوهر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م"(٢)

ولما استقر الفاطميون في مصر بعد استيلائهم عليها كان لذلك أثر لا ينكر في هجرة المغاربة إلي مصر ، حيث كانت أول الجموع ضمن الجيش الفاطمي الذي اتجه لغزو مصر تحت قيادة جوهر وقيل أنها كانت تضم مائة ألف جندي(٣) .

وقد توالت هجرات المغاربة إلي مصر على دفعات حيث أتت دفعة ثانية في اليوم التالي لدخول مصر ، والدفعة الثالثة وصلت خلال شهر المحرم سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م مع هدية من المعز لدين الله لقائده جوهر ، ثم كان وصول الفوج الرابع خلال شهر صفر من نفس السنة ، ثم وصلت دفعة أخري من المغاربة إلي مصر في شهر رجب سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م ودخل مصر جيش كبير من المغاربة ، هذا بجانب الأعداد الكبيرة التي هاجرت ضمن حاشية الخليفة المعز إلي مصر في شهر شعبان سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م" (٤)

وخلال العصر الفاطمي انتقلت موجات أخري من المغاربة فاستقرت في نواحي مصر(٥) ، وكان من بين هذه الموجات جماعة من قبيلة لواتة التي استقرت بالبحيرة بعد أن كونت حلفا مع العرب المقيمين بها من بني سنبس(٦) .

وفي سنة ٥١٠هـ/١١١٦م هاجر إلي مصر طائفة جديدة من لواتة واستقروا بالإسكندرية(٧) . وكذلك قدمت طوائف من هواره – التي كانت تسكن مدينة اياس

١- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٣ ص ٣٢٦ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ١ ص ٢٥ .
٣- حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٦٢١ .
٤- سهام أبو زيد : المغاربة ، ص ٢٨ .
٥- المقريزي : البيان والأعراب ، ص ١٣٣ .
٦- القلقشندي : صبح ، جـ ١ ص ٤٢٠ .
٧- ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٩٣ .

الطرابلسية[١] وتمتد مواطنهم إلى الجنوب من طرابلس[٢] ، وأقاموا بغرب الدلتا بالبحيرة وفي المنطقة الممتدة من الإسكندرية غربا إلى العقبة الكبيرة من برقة ، وظل المغاربة من أبناء هواره يقيمون بالمنطقة حتى أنزلهم السلطان برقوق الذي تولي سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م منطقة الصعيد الأعلي ، ونزلوا بالأعمال الأخميمية في جرجا وما حولها ، ثم قوي أمرهم واشتد بأسهم وكثر جمعهم حتى انتشروا في معظم الوجه القبلي فيما بين أعمال قوص وإلي الغرب من الأعمال البهنساوية ، وصارت لهم الأمارة في بلاد أخميم[٣] .

كما استقرت بعض القبائل المغربية بالوجه البحري ، فسكن من لواتة في المنوفية العديد من بطونها ، ومن قبائل مزانة ، وزداره ، وهواره وسكن بالجيزة طوائف من مزانة ، ولواتة ، وفي قليوب سكن من المغاربة طوائف من مزاره ، وفي الغربية طوائف مزانة ، وفي المنوفية طوائف من لوانة ، وف البهنسا بنو بلار[٤] ، هذا فضلا عن الكتاميين الذين قامت على أكتافهم الدولة الفاطمية ومنهم عصب الدولة وقوتها والذين استقروا بالقاهرة[٥] ، والجدير بالذكر أن قبائل المغرب المهاجرة إلي مصر جاءت تحمل أنساب عربية إلي جانب أنسابها البربرية ، حيث تنقسم في أنسابها إلي الشعبتين العربيتين الأساسيتين ، فبعضهم ينتسب إلي القيسية مثل قبائل لواتة ، وبعضهم إلي السبئية مثل قبائل هواره[٦] .

شغل المغاربة العديد من الوظائف داخل الدولة الفاطمية ، وخلال عهد المستنصر بالله صار المغاربة من عامة الشعب بعد أن كانوا من كبار رجال الدولة[٧] ولعل ذلك راجع إلي قدوم بدر الجمالي إلي مصر وإحلال الأرمن محلهم في الجيش وبعض المناصب الأخرى.

١- ابن خردانبة : المسالك والممالك ، ص ٩١ .
٢- ابن خلدون : العبر ، جـ ٦ ص ١٠٣ .
٣- محمد دروزة : العرب والعروبة ، ص ٣٠ ، ٣١ .
٤- سهام أبو زيد : المغاربة ، ص ٤٠ .
٥- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٠١ .
٦- المقريزي : البيان ، ص ٤٩ ، ٥٦ ، سهام أبو زيد : المغاربة ، ص ٤١ .
٧- عوض الله محمد : الحياة الاجتماعية ، ص ٥٣ .

الأرمن :

تواجد الأرمن بمصر منذ عهد الفتوحات الإسلامية الأولي ، واستمرت العلاقة قائمة بين المسلمين والأرمن خلال العصرين الأموي والعباسي[١] .

ولما بعث المستنصر بالله إلي بدر الجمالي والى عكا يطلب منه القدوم ليتولي شئون دولته وإصلاح أمورها ، اشترط أن يحضر معه من يختاره من عساكر بلاد الشام ليستعين بهم على الجند الأتراك والمغاربة والسودانيين ، فوافق المستنصر على ذلك[٢] .

أتي بدر الجمالي لمصر ومعه جند كثير من الأرمن وغيرهم ، ودخل القاهرة على رأس جنده الأرمن ، وصاروا يشغلون جانبا كبيرا من الجيش الفاطمي ويتمتعون بنفوذ مثلهم في ذلك مثل المغاربة والسودانيين وغيرهم[٣] .

استطاع بدر الجمالي بعزمه ومهارته أن يعيد إلي البلاد المصرية استقرارها ومهد للأرمن الاستئثار بالمناصب فيما بعد ، فتولي ابنه الأفضل الاستيلاء على مقاليد الأمور في الدولة ، فجعله ولي عهده ثم تولي الوزارة ، كما تولي بعض الأرمن مثل بهرام الأرمني والي الغربية وأخيه الباسك والي قوص[٤] ، ويانس الأرمني الذي تولي الوزارة سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م في خلافة الحافظ[٥] ، وكان رضوان بن ولخشي والي عسقلان سنة ٥٢٩/ ١١٣٤ الذي وقف في وجه الأرمن الذين أرادوا الذهاب لمصر ومنعهم من ذلك ، بجانب أنه تولي الغربية سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م[٦] ، وظل بها حتي خرج على رأس قواته لطرد بهرام وتمكن من هزيمتهم وتولي الوزارة مكانه سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م ، ومنذ ذلك الوقت ضعف نفوذ الأرمن بمصر وقل شأنهم عما كان من قبل وظل لهم بقايا مصر حتى عهد الدولة الأيوبية .

١- مروان المدور : الأرمن ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، فايز اسكندر : الفتوحات الإسلامية لأرمينية ، ص ٥٣ .
٢- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٣٨١ .
٣- أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ق ١ ص ٦١٨ .
٤- محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٧٨ ، حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٢١٤ .
٥- محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .
٦- محمد حمدي المناوي : الوزارة والوزراء ، ص ٢٧٩ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٢٣ .

العادات والتقاليد في المجتمع المصري

الأعياد والمواسم:

بعد سيطرة المسلمين على مصر، ودخول الدين الإسلامي إليها أصبح في مصر ثلاثة أنواع من الأعياد تتبع ثلاثة ديانات رئيسية في مصر، وهذه الأعياد هي أعياد المسلمين، وأعياد النصارى وأعياد اليهود.

هذا بجانب الأعياد التي يمكن أن يطلق عليها أعيادا قومية وذلك لأنها لا تقام وفقا لدين معين، وإنما كان الشعب كله يحتفل بها وشاركهم المسلمون في هذه الاحتفالات وهي التي ارتبطت بالانتصارات وغيرها.

وكان المجتمع في مصر الإسلامية على اختلاف عناصره وطبقاته يحتفلون بتلك المناسبات في ظل الروح والتسامح الذي ساد بينهم.

أولاً: أعياد المسلمين:

كان للمسلمين مناسبتان رئيسيتان هما عيد الفطر وعيد الأضحى، وقد عني المسلمون بالاحتفال بهما منذ بداية الإسلام، فكان عيد الأضحى يمثل احتفالا بموسم الحج وأداء المسلمين لهذه الفريضة الفاضلة، أما عيد الفطر فكان يمثل احتفالا وابتهاجا بانتهاء شهر رمضان الكريم، وكان الاحتفال بهذين العيدين خلال الدولة الطولونية والإخشيدية يتم عن طريق التوجه إلي المساجد لأداء صلاة العيد وبعد أدائها والابتهال إلي الله تعالي كانو يتزاورون ويتبادلون التهنئة في فرح وسرور[١].

وفي العصر الفاطمي كان الاحتفال بهذين العيدين ذا طابع خاص حيث كان عيد الفطر يمثل عندهم الموسم[٢] الكبير كما كان يطلق أيضا عليه عيد "الحلل"، وذلك لتوزيع الكسوات علي جميع موظفي الدولة، ولذا أنشأت الدولة الفاطمية دار الفطرة[٣].

١- القلقشندي: صبح، جـ ٤ ص ٤٦، ٤٨، الألوسي: بلوغ الأرب، جـ ١ ص ٣٦٥، سيدة كاشف: عصر الإخشيديين ص ٢٥١.
٢- المقريزي: الخطط، جـ ٢ ص ٤٥٢.
٣- المقريزي: الخطط، جـ١ ص ٤٢٥، أبو المحاسن: النجوم، جـ ٤ ص ٩٦.

أما الاحتفال بعيد الأضحى خلال العصر الفاطمي فكان يبدأ يوم التاسع من ذي الحجة وهو يوم الهناء بعيد النحر [١]، وفيه كانت توزع الهبات المالية وتمنح الكسوات والخلع على كبار رجال الدولة وكان يطلق عليها "كسوات عيد النحر"[٢] .

رأس السنة الهجرية :

كان الاحتفال برأس السنة الهجرية من أبهج الاحتفالات ، وكان يبدأ في الأيام العشرة الأخيرة من ذي الحجة ، وفي صبيحة يوم الاحتفال كانت توزع الدراهم والدنانير التي تم ضربها لهذه المناسبة وتحمل تاريخ السنة الهجرية الجديدة ، وتعرف بـ "الغرة" وكانت توزع على جميع رجال الدولة خلال العصر الفاطمي[٣] ، وكانت توزع أصنافا متعددة من اللحوم والحلوى والخبز على كبار رجال الدولة ويحمل الكثير منها إلي عامة الناس[٤] .

المولد النبوي الشريف :

ويبدأ الاحتفال به في مصر في بداية القرن الرابع الهجري[٥] ، وكان ذلك في الثاني عشر من شهر ربيع الأول من كل عام ، وتميز الاحتفال بهذه المناسبة خلال العصر الفاطمي بكثرة ما يوزع فيه من الصدقات والأطعمة والحلوى[٦] .

الاحتفال بشهر رمضان :

احتفل المسلمون في مصر خلال العصرين الطولوني والإخشيدي بشهر رمضان[٧] ، أما خلال العصر الفاطمي فكان من العادة الإعلان عن غرته ، حيث ترسل الكتب والبشارات إلي ولاة الأعمال بعد استطلاع هلال رمضان[٨]، وكان هذا الشهر مناسبة

١- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٤٤٢ .
٢- عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ١٤٦ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٤٢٥ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٤ص ٩٦ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٤٤٢ .
٥- عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ١٤٦ .
٦- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ص ٥٠٥ .
٧- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٤٤٤ .
٨- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٦٦ .

لإظهار البذخ والثراء من قبل الدولة ، حيث كانت تقام الموائد الرسمية بالجوامع الكبرى وتنفق عليها الدولة ليفطر الناس على اختلاف طبقاتهم[١] .

وكان الناس يستقبلون شهر رمضان بالبهجة والسرور ، فتزدحم الأسواق بالحركة والنشاط وتعم البيوت العديد من أصناف الحلوى والأطعمة ، وكانت المساجد والجوامع تزدحم بالمتعبدين[٢] .

ومن المناسبات التي أحيى ذاكرها المسلمون في مصر ذكري الإسراء والمعراج والنصف من شعبان وغزوة بدر ويوم عاشوراء[٣] .

أعياد النصارى :

كانت أعياد النصارى عديدة فمنها سبعة أعياد صغار ، وسبعة أخرى أطلق عليها الأعياد الكبرى ، وقد احتفل نصارى مصر بتلك الأعياد وهي تتمثل فيما يلي :

١. عيد البشارة :

كان يحتفل به في التاسع والعشرين من شهر برمهات (مارس) [٤] ، ويعني به النصارى بشارة جبريل للسيدة مريم عليها السلام بميلاد المسيح عليه السلام[٥] .

٢. عيد الزيتونة :

وكان يقام في اليوم الثاني والأربعين من بداية صومهم ، وهو يحيى عندهم ذكري ركوب السيد المسيح عليه السلام ودخوله بلدة صهيون بفلسطين والناس من حوله يسبحون بين يديه[٦] ، وكان النصارى في الإسكندرية وغيرها يخرجون في موكب كبير حاملين أغصان الزيتون وسعف النخيل والصلبان وهم يرتلون الأدعية والقراءات وكان موكبهم يخترق شوارع المدن في أمن وسلام دون أن يعترض طريقهم أحد وفي حراسه ولاة المدن[٧] .

١- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٤٣٢ ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، جـ ٣ ص ٥٠٨ .
٢- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٥١ ، حسن محمود : العصر الطولوني ، ص ١٩٦ .
٣- محمد بهجت عصفور . رؤية هلال شهر رمضان في مصر الإسلامية، مكتبة الملك فيصل الإسلامية١٩٩٠م،ص٤٨
٤- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٦٧ .
٥- المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٢ ص ٩٦ ، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ١٣٩ .
٦- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ١٠٠ .
٧- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٦٤ ، الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ ١ ص ٣٥٧ .

وفي مدينة اخميم كان من عاده الاحتفال به أن يخرج القساوسة والشمامسه بالمجامر والبخور والصلبان والأناجيل والشموع المشتعلة ويقفون على باب القاضي ، ثم أبواب الأعيان من المسلمين فيبخروها ويقرؤوا فصلا من الإنجيل ويمدحونه[1] ، وقد أصدر الحاكم بأمر الله عده قرارات بمنع النصارى من الاحتفال بهذا العيد ، وشمل ذلك سائر أقاليم الدولة الفاطمية[2] .

٣. عيد الفصح :

وهو العيد الكبير ، وكان يحتفل به بعد الصلبوت بثلاثة أيام ، ويمثل عندهم ذكري صلب السيد المسيح وقتله ، وكانوا يحيونه يوم الفطر من صومهم الأكبر[3] .

٤. عيد العنصرة (عيد الخميس)

وكان يحتفل به في السادس والعشرين من بشنس (مايو) ، وبعد خمسين يوما من عيد صعود السيد المسيح عليه السلام [4] ، وكان يمثل إحياء الذكري التي يزعمون أن الله نجا فيها تلاميذ السيد المسيح من عليه السلام الحبس الذي جري لهم على يد اليهود ، وذهب كل واحد منهم إلى بلد ينشرون فيه دعوه السيد المسيح عليه السلام [5] .

٥. عيد الميلاد :

وكان يقام في التاسع والعشرون من كيهك (ديسمبر) ، وهو ذكري ميلاد السيد المسيح عليه السلام ، ودائما يوافق يوم الاثنين ، فيجعلون ليله الأحد هي ليله الميلاد[6] . وفي هذا العيد تزين الكنائس بالمصابيح وتضاء منازل النصارى بالفوانيس الملونة وبداخلها شموع

١- القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٤ ص ٤٥٤ .
٢- المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ٥١٧ ، الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ ١ ص ٣٥٧ .
٣- عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ١٧٨ .
٤- المقريزى : الخطط ، جـ ٢ ص ٥١٧ .
٥- المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ٢٦٤ .
٦- المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ١ ص ٢٦٤ .

مصبوغة ، وكانوا يقبلون علي أنواع الملاهي واللعب بالنار ، وكانت الأسواق تزدان بالفوانيس والمشاعل في هذه الليلة[١] .

٦. عيد الغطاس :

يحتفل به النصارى في الحادي عشر من طوبه (يناير) [٢] ، وأصله عند النصارى أنه إحياء لذكري قديمه لديهم وهي أن يحيى بن زكريا عليهما السلام والمعروف عندهم بيوحنا المعمدان "عمد المسيح أي غسله في بحيرة الأردن" ، ولما خرج من الماء اتصل به روح القدس ، فصار النصارى لذلك يغمسون أولادهم في الماء في هذا اليوم ويطلقون عليه يوم الغطاس[٣] ، أو ليله الحميم[٤] .

٧. عيد خميس الأربعين :

ويعرف أيضا بعيد الصعود ويحتفل به النصارى في اليوم الثاني والأربعين من صعود المسيح عليه السلام ، وذلك بعد أن اكمل ثلاثا وثلاثين سنه وثلاثة أشهر ، ويقال أنه اجتمع مع تلاميذه ووعدهم بإرسال روح القدس كما يزعمون[٥] .

أما أعياد النصارى الصغار فكانت سبعه أيضا وهى :

١. عيد الختان :

وكان النصارى يحتفلون به في اليوم السادس من شهر بؤونه (يونيه) ويعتقدون أن السيد المسيح عليه السلام ختن في هذا اليوم ، وهو يوافق اليوم الثامن من يوم الميلاد[٦] .

١- القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٢ ص ٤٥٤
٢- الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ ١ ص ٣٥٨ .
٣- القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٢ ص ٢٦٥ ، الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ ١ ص ٣٥٨ .
٤- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٣٦٥ .
٥- القلقشندي :صبح الأعشي ، جـ ٢ ص ٤٥٥ ، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ١٧٥ .
٦- القلقشندي : صبح ، جـ٢ ص ٤٥٦ ، الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية في مصر ، دار العليمي ، جدة ، ص٣٧ .

٢. عيد الأربعين :

يحتفل به في اليوم الثامن من شهر أمشير (فبراير) ، وذلك بمناسبة دخول الكاهن سمعان على السيد المسيح عليه السلام وأمه لمباركتهما بعد أربعين يوما من ولادته[١] .

٣. عيد الأربعين :

يحتفل به في اليوم الثامن من شهر أمشير (فبراير) ، وذلك بمناسبة دخول الكاهن سمعان علي السيد المسيح عليه السلام وأمه لمباركتهما بعد أربعين يوما من ولادته[٢] .

٤. عيد خميس العهد :

وكان يحتفل به قبل عيد الفصح بثلاثة أيام[٣] ، وفيه كان بطريرك النصارى يقوم بغسل أرجل الحاضرين في الكنيسة إقتداء بما قام به السيد المسيح عليه السلام مع تلاميذه حينما قام بغسل أرجلهم ليعلمهم التواضع[٤] ، ثم أخذ عليهم العهد ألا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض .

والعامة يطلقون عليه "خميس العدس" لأنه كان من عاداتهم طهي العدس في هذا اليوم علي أنواع مختلفة ، ويقول أهل الشام ، خميس الأرز وخميس البيض وهذه التسميات راجعه إلى نوع الطعام الذي اشتهر كل إقليم بتناوله في هذه المناسبة ، وكان من عادة أهل مصر من المسلمين والنصارى تبادل الهدايا من الأطعمة في خميس العهد ، فيتهادون البيض الملون وأنواع السمك المختلفة والعدس المصفي[٥] .

١- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٥١ .
٢- سيدة كاشف : عصر الإخشيديين ، ص ٢٥١ .
٣- القلقشندي : صبح ، جـ٢ ص ٤٥٦ .
٤- الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ١ ص ٣٥٨ .
٥- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٢٦٦ .

ومن مظاهر احتفال الدولة الفاطمية بهذا العيد إصدار عمله بهذه المناسبة في دار الضرب تسمي خروبه[1] ، وتفرق علي رجال الدولة وأرباب الوظائف من المسلمين والنصارى طبقا لرسوم مقرره[2]

٥. عيد سبت النور :

يأتي هذا العيد قبل عيد الفصح بيوم ، ويكون ثالث يوم من خميس العدس ، وفي هذا اليوم يعتقد المسيحيون أن النور يظهر على قبر المسيح ﷺ بكنيسة القيامة في القدس ، فتضاء منه مصابيح الكنيسة كلها[3] .

٦. عيد حد الحدود :

وكان يقام بعد عيد الفصح بثمانية أيام ، ويحتفلون به أول أحد بعد الفطر ، لأن الآحاد قبله تكون مشغولة بالصوم ، ومن عادة النصارى في هذا العيد أنهم يجددون الأثاث وملابسهم وآلاتهم[4] .

٧. عيد التجلي :

ويحتفل به النصارى في اليوم الثالث عشر من مسرى (أغسطس) ، لأن في هذا اليوم يعتقد النصارى أن السيد المسيح ﷺ تجلي لتلاميذه بعد أن صعد إلي السماء ثم صعد مره أخرى وتركهم[5] .

٨. عيد الصليب :

وكان يقام في اليوم السابع عشر من توت (سبتمبر) ، وكان سبب هذا الاحتفال هو ظهور الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح ﷺ ، وكان ظهوره علي يد هبلانه أم

١- الخروبة : قطعة صغيرة من النقود النحاسية مقدارها عشرون درهم .
٢- عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ١٧٥ .
٣- القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٢ ص ٤٥٦ .
٤- القلقشندي : صبح ، جـ ٢ ص ٤٥٧ ، الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ ١ ص ٣٥٩ .
٥- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٦٦ .

الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٨م ، حيث صنعت له غلافا من الذهب ، وأمرت ببناء كنيسة القيامة في بيت المقدس ، وأودعت فيه الصليب واتخذت ذلك اليوم عيدا[١] .

وكان النصارى في مصر يراعون شعور المسلمين في الاحتفالات بأعيادهم ، فلا يقدمون علي حمل الرايات أو الشارات التي تحمل الرسوم والعبارات المسيحية كصور الصلبان والرهبان وغيرهما[٢] ، وكانوا يتبادلون مع المسلمين بعض الأطعمة ويحرقون البخور علي أبوابهم ، وكان هذا انعكاس لحياة الود والعلاقة الحسنة بينهم وبين المسلمين ، وهذا ما جعل الدولة تشاركهم في كثير من الأحيان في هذه الاحتفالات وتوليهم رعايتها[٣] .

أعياد اليهود :

قسم المؤرخين أعياد اليهود إلي قسمين : أعياد شرعيه ، وأعياد محدثة الأعياد الشرعية : عددها خمسة أعياد وهي ما نصت عليها التوارة ومنها :

١. ***عيد رأس السنة العبرية :***

واسمه العبري (رأس هيشا) ، وبالعبرية الحديثة (روشهاشانا) أي رأس الشهر وهو بمثابة عيد الأضحى لدي المسلمين ، ويحتفل به اليهود في أول يوم من شهر تشري من شهورهم في كل عام[٤] ، ويعتبر هذا العيد عيد عتق فيه الأرقاء من اليهود ، كما يصومون فيه للإستغفار من ذنوبهم[٥] .

٢. ***عيد صوماريا :***

وهو يمثل عندهم عيد الغفران والكفارة ويسمونه الكيبور ، كما أنه الصوم الأكبر عندهم[٦] ، وجعل الربانيون مده الصوم خمس وعشرون ساعة تبدأ من قبل غروب الشمس في اليوم التاسع من شهر تشري وتنتهي بعد مضي ساعة من غروبها في اليوم العاشر ،

١- المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٢٦٦ ، نريمان عبد الكريم : معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٦ .
٢- آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ ١ ص ٨٨ .
٣- ابن الحاج : المدخل ، جـ ٢ ص ٤٩ .
٤- القلقشندي : صبح الأعشي ، جـ ٢ ص ٤٢٩ ، قاسم عبده : اليهود في مصر ، ص ٤٦ .
٥- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٤٧٩ .
٦- المقريزي : الخطط ، جـ٢ ص ٤٧٩ ، نريمان عبد الكريمان : معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٠ .

بينما جعله القراءون أربعا وعشرين وتنتهي بعد مضي ساعة من غروبها في اليوم العاشر ، بينما جعله القراءون أربعا وعشرين ساعة تبدأ من غروب شمس يوم التاسع من شهر تشري وتنتهي بغروبها في اليوم التالي[1] ، وعقوبة من لا يصومه في شريعتهم القتل ، وقد تشدد السامرة في صيامه ، ولم يستثنوا منه الأطفال الرضع[2] .

٣. عيد المظلة :

وكان الاحتفال به يوم الخامس عشر من شهر تشري وهي سبعة أيام يعيدون في أولها ، وفيه كان اليهود يجلسون تحت ظلال من جريد النخيل وأغصان الزيتون وسائر الشجر الذي لا ينتشر ورقه علي الأرض تذكارا للغمام الذي أظلهم به الله في التيه ، ويصوم فيه القراءون يوم الرابع والعشرين من هذا الشهر ويعرف بصوم (جدليا) ، بينما جعله الربانيون في ثالثة[3] ، ويرجع هذا العيد إلي أصول زراعية ورعوية .

٤. عيد الفطير:

ويسمونه بالفصح وكانوا يحتفلون به في اليوم الخامس عشر من شهر نيسان ، وهو سبعة أيام يصومون خلالها ولا يأكلون فيها سوي الفطير ، وهي الأيام التي تجلي فيها الله لنبيهم موسي عليه السلام ومن معه من اليهود ، ويحتفلون بهذا العيد إحياء لذكري نجاتهم من فرعون بعد أن أغرقه الله [4] ، وهو من أعياد الحج لدي اليهود .

٥. عيد الأسابيع :

ويسمي عيد العنصره وعيد الحطاب [5] ، ويحتفل اليهود به بعد عيد الفطير بسبعة أسابيع ، وهي عندهم الأسابيع التي أنزل الله تعالي فيها علي بني إسرائيل الفرائض متضمنة الوصايا العشر المنسوبة إلي سيدنا موسي عليه السلام ، ويحتفل بهذا العيد في اليوم

١- الألوسي . بلوغ الأرب ، جت ١ ص ٣٦١ ، قاسم عبده : اليهود في مصر ، ص ٤٦ .
٢- القلقشندي : صبح ، جـ ٢ ص ٤٢٦ ، الخربوطلي : الحضارة الإسلامية ، ص ٢١٨ .
٣- قاسم عبده : اليهود في مصر ، ص ٤٦ .
٤- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٤٧٩ ، الخربوطلي : الحضارة الإسلامية ، ص ٢١٨ .
٥- قاسم عبده : اليهود في مصر ، ص ٤٧ .

السادس من شهر سيوان(١) ، وفي هذا العيد كان اليهود يصنعون القطائف ويأكلونها تذكارا للمن الذي أنزله الله عليهم في التيه ، ويسمي هذا العيد بالعبرية (عاشرتا) (٢) .

أما العيدين اللذان أحدثهما اليهود فهما :

١. عيد الفوز أو البوريوم :

ويبدأ في الثالث عشر من شهر آذار الثاني إلي الخامس عشر من الشهر نفسه(٣) . ويصوم اليهود قبله بثلاثة أيام وسبب اتخاذ اليهود لهذا العيد أنه بعد تدمير بيت المقدس على يد بخت نصر الملك البابلي وذلك سنة ٥٨٦ ق.م. (٤) ، وقتل بخت نصر الوزير هامان وأتاحته لليهود قتل شيعتهم من الثالث عشر إلي الخامس عشر من الشهر المذكور ، ولذلك اتخذ اليهود من هذه المناسبة عيدا اتسم باللهو والخلاعة(٥) .

٢. عيد الحنكة :

وهو من الأعياد المحدثة ، وكان ثمانية أيام من شهر كسلا (٦) ، أولها ليله الخامس والعشرين من هذا الشهر ، ومن عاداتهم في هذا العيد أنهم كانوا يوقدون المصابيح على أبواب منازلهم في كل ليلة حتى تنتهي الثماني ليالي وفقا لعد تصاعدي ففي الليلة الأولى يوقدون سراجا واحدا ، وفي الليلة الثانية سراجين ، وهكذا حتى تتم ثمانية أسرجه في اليوم الثامن(٧) .

١- الألوسي : بلوغ الأرب ، جـ ١ ص ٣٦٢ .
٢- قاسم عبده : اليهود ، ص ٤٧ .
٣- القلقشندي : صبح ، جـ ٢ ص ٤٢٧ .
٤- القلقشندي : صبح ، جـ ٢ ص ٤٢٨ .
٥- قاسم عبده : اليهود ، ص ٤٨ .
٦- نريمان : معاملة غير المسلمين ، ص ١٦٢ .
٧- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ٤٧٩ .

الأعياد القومية :

المقصود بالأعياد القومية هي الأعياد العامة التي لا تقام وفقا لدين معين من الديانات الثلاثة التي ذكرناها ، وإنما كان الشعب كله باختلاف طوائفه يحتفل بها ، ولذلك يطلق عليها الأعياد القومية ، وأهم هذه الأعياد الآتي :

١. عيد وفاء النيل :

هو عيد سنوي حرص المصريون بجميع طوائفهم على إحيائه منذ عهد الفراعنة حتى الآن ، وذلك لأن حياة مصر كلها تتوقف على فيضان النيل وإليه ترجع ثروة مصر الاقتصادية[١] .

وعندما فتح عمرو بن العاص مصر أتي أهلها إليه حين دخل شهر بؤونه (يونيه) ، وقالوا له كما يذكر ابن عبد الحكم : "أيها الأمير أن لنيلنا سنة لا يجري إلا بها" فقال لهم : "ما ذلك ؟" ، قالوا : "أنه إذا كان لأثني عشرة ليلة تخلوا من هذا الشهر عمدنا إلي جاريه بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل" ، فقال لهم : "إن هذا لا يكون في الإسلام ، وأن الإسلام يهدم ما قبله" فأقاموا بؤونه وأبيب ومسري ولا يجري النيل قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء ، فلما رأي ذلك عمرو بن العاص كتب إلي الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بذلك ، فكتب إليه عمر "قد أصبت إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقاها في النيل إذا أتاك كتابي هذا" ، فلما قدم الكتاب علي عمرو فتح البطاقة فإذا فيها "من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلي نيل أهل مصر : أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجري ، وإن كان الله الواحد القهار الذي يجريك ، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك" ، فألقي عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الرحيل بيومين وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها ، لأنه لا يقوم

١- قاسم عبده : دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي ، ص ١٠٣ .

بمصلحتهم فيها إلا النيل ، فأصبحوا يوم الرحيل وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة ، وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر [1] .

وكان الاحتفال بوفاء النيل ينال كثيرا من اهتمام الخلفاء الفاطميين . فكانوا يركبون إلي المقياس بالروضة إذا ما بلغ الفيضان ستة عشر ذراعا ، وكان متولي قياس المقياس إذا وجد أن العلامة وصلت إلى ذلك أسدل ستارا أسود علي شباك المقياس ، فإذا شاهد الناس هذا الستار قد أسبل تباشروا بالوفاء واجتمعوا كعادتهم للفرجة [2].

وكانت مراقبة النيل موكلة إلى جماعة من رهبان النصارى يتوارثون هذا العمل ، ولما قدم القاض بكار بن قتيبة إلى مصر سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م رأي ذلك ، وكتب إلي الخليفة العباسي المتوكل بأنه لا ينبغي أن يسند هذا العمل الجليل إلا لمسلم ، فأمره المتوكل أن يعين في هذه الوظيفة من يشاء وفي العام التالي أمر المتوكل ببناء مقياس الجزيرة[3] ، واختار بكار بن قتيبة أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام لتولي أمر المقياس واستمرت الولاية في ذريته يتوارثونها[4] .

وكان يتم الاحتفال بهذا العيد بحضور الخليفة الفاطمي وفي ركبه عشرة آلاف فارس ، ويليهم صفوف من الجمال عليها هوادج مزركشة تقودها طائفة من الجند[5] ، وكان هذا الموكب يخترق شوارع القاهرة ومصر ويحف به أفراد الشعب حتى يأتي دار الملك بالقرب من المقياس فيركب منها الخليفة العشاري – نوع من المراكب النيلية – وبصحبته وزيره وكبار رجال حاشيته قاصدا المقياس ، فإذا دخله صلي هو والوزير ركعتين ، ثم يضع الخليفة بيده الزعفران والمسك في إناء خاص ، يناوله للموظف المختص بالإشراف علي المقياس ، فيقوم هذا الموظف بتخليق المقياس – تعطيره – ، بينما يتناول قراء الحضرة

١- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٠ ، القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ص ٣٢٢ .
٢- المقريزى : السلوك ، ف٢ جـ ١ ص ٦٠٧ ، سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ١٩٧ .
٣- ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٧٢ .
٤- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ص ٢٧٠ ، ابن حجر : رفع الأصر عن قضاة مصر ، ص ١٤٢ .
٥- جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ١٧٠ .

تلاوة القرآن ثم يخرج الخليفة راكبا العشاري فإذا عاد إلي دار الملك عاد بموكبه إلي القصر[1] ، وكان عامة أهل مصر يحتفلون بهذا العيد بتزيين الأسواق والدور والاحتشاد لرؤية موكب الخليفة ، وكانوا يحرصون على تخليق وجوه صبيانهم بالطيب تيمنا بتخليق عمود المقياس في ذلك اليوم[2] .

وكان الخليفة يوزع الكسوات والخلع على كبار رجال الدولة في غرة رمضان والجمع الثلاثة الأخيرة منه ، وفي وفاء النيل ، وكذلك يمنح الشعراء والكتاب والأعيان حللا من الحرير الخالص في هذه المناسبة[3] .

الاحتفالات الأسرية :

أول هذه الاحتفالات هو الاحتفال بالزواج ، ونظرا لارتباط الزواج بالدين فقد اختلفت مراسم الزواج في مصر الإسلامية عما كان من قبل ، وكان الزواج يتم طبقا لعقد مكتوب يوقع عليه عدد من الشهود ، وقد يزيد على العشرة في بعض الأحيان[4] .

وينص العقد على قيمة المهر التي تتراوح في عصر الولاة ما بين أربعة دنانير وعشرين دينارا حسب الحالة الاجتماعية لكل زوج وزوجه ، أما المؤخر فلم يكن يدفع عند الطلاق كما يحدث حاليا ، وإنما كان يدفع على أقساط في مواعيد محددة من تاريخ عقد الزواج[5] ، وأقل ما ورد من قيمة الصداق في العقود خلال القرن الثالث والرابع والخامس الهجري هو دينار واحد وأكثرها ثمانون دينارا[6] ، وكان الزوج يحصل علي إيصال من زوجته بقيمة ما دفع لها من صداق يوقع عليه عدد من الشهود[7] .

١- القلقشندي : صبح ، جـ ٣ ص ٥١٢ .
٢- المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٢ ص ١٥٠ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٤١٠ .
٤- عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ١٨٩ .
٥- هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية ، جـ ٢ ص ٧١ .
٦- جروهمان : أوراق البردي ، جـ ١ ص ٧٦ .
٧- جروهمان : أوراق البردي ، جـ ١ ص ١١٢ .

كما كانت الزوجة بدورها تحصل على سند بقيمة ما تأخر لها من الصداق[١] . وكانت الموائد الفاخرة جزءا من الاحتفال بالزواج ، حيث كانت تعد وليمة كبيرة للأهل والأصدقاء تسمي "وليمة العرس" وبعدها يخرج العريس قاصدا بيت العروس فى موكب كبير . وبوصول العريس بيت العروس يبدأ حفل الزفاف الذي تحييه عدة فرق من المغاني . فيختلط فيه الغناء بضرب الدفوف والزغاريد من النساء[٢] .

وكانت هناك دور مخصصة لإقامة حفلات الزواج خلال العصر الفاطمي تستأجر من أصحابها ، وكانت الدولة تأخذ عليهم عهدا بالالتزام بالأخلاق الحميدة[٣] . وكانت العروس تجلس في مكان الاحتفال على دكه عالية بمفردها حيث يراها الناظرون وهي في أبهي زينة وأجمل ثياب ، وكان هذا الحفل مقصورا على النساء[٤] .

ومن جهة أخري يخصص مكان أخر للزوج ومعه أصدقاؤه والمدعوون من الرجال للاحتفال به علي غرار ما يحدث في مجلس العروس من حيث المغنون وأنواع الملاهي والرقص وتوزع أنواع الحلوى والأطعمة على الحاضرين[٥] .

١- عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ١٨٩ .
٢- المقريزى : السلوك ، جـ ٣ ص ٤٢٦ .
٣- المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٣ ص ١٠٠ .
٤- الأدفوي : الطالع السعيد ، ص ٢٥١ .
٥- عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ، ص ١٩٢ .

الفصل الثالث عشر

المجاعات والأوبئة

المجاعات والأوبئة

تنحصر أسباب المجاعات والأوبئة في ثلاثة أشياء هي :

الآفات السماوية ، وشراء المناصب - والمراكز الحكومية بالمال ، وتأثير العامل النقدي .

أولا : الآفات السماوية :

وتتمثل في قصور النيل ، والفيضان الزائد ، وعدم نزول المطر ، وتعرض الغلال للقحط أو الرياح ، أو الجراد ، أو الفئران .

ثانياً : شراء المناصب والمراكز الحكومية بالمال :

ومن هنا تنتشر الرشوة ، فإذا اشترى الطالب مركزا من مراكز الحكومة فإن ذلك يكون وبالا على الناحية الاقتصادية ، لأنه يعمل على تعويض ما دفعه أضعافا مضاعفة ، بجانب جعل المناصب المهمة بين يدي من لا خبرة لهم ، ولا هم لهم سوى جمع الأموال مما يسبب ازدياد الضرائب ، ومصادرة الأموال ، وإهمال شئون الدولة .

ثالثا : العامل النقدي :

النقد هو شيء أساسي في حياة المجتمعات لأن كل شيء يشترى بالنقد ، والتضخم النقدي يؤدي قبل كل شيء إلى ارتفاع أثمان السلع بصورة عامة ، وهذا يؤدي إلى هبوط القوة الشرائية ، ومن ثم يعيش محدودو الدخل في ضنك[1] .

وبعد تعدد هذه الأسباب نذكر أمثلة للمجاعات التي ألمت بمصر منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي .

١- المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٢١ ، ٣٢ .

كان أول غلاء وقع بمصر سنة ٢٨هـ/ ٦٤٨م حيث يذكر ساويرس بن المقفع "أنه حدث في عهد عبد الله بن سعد غلاء لم يحدث مثله من زمن قلوديوس وعلى أيامه ، فسار كل من في الصعيد إلى الريف في طلب الغلة ، وكان الناس مطاريح في الأزقة والأسواق ، أموات مثل السمك المدمس على برك الماء ، وكان يموت في كل يوم عدد كبير ، وكان ذلك بسبب استبحار الأرض – زيادة النيل – وعدم تمكن الناس من زراعة الأرض"[١] ، وفي سنة ٨٧هـ/ ٧٠٥م في عهد الوالي عبدالله بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٦/ ٩٠هـ - ٧٠٥/ ٧٠٨م[٢] من قبل أبيه الخليفة عبد الملك بن مروان ، فتشاءم به الناس لأنه كان غلاء شديدا[٣] .

وفي سنة ٩٦هـ/ ٧١٤م حدث غلاء عظيم مات بسببه خلق كثير أكثر مما يموت في الوباء ، وكان ذلك بسبب سوء سياسة عامل الخراج أسامة بن زيد التنوخى الذي تولي خراج مصر في هذا العام وكتب إليه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك : "أن احلب الدر حتى ينقطع ، ثم أحلب الدم حتى ينصرم"[٤] ، فأصابت أهل مصر شدة عظيمة .

وفي سنة ١٠٨هـ/ ٧٢٦م في ولاية حفص بن الوليد على مصر من قبل هشام بن عبد الملك حدث بمصر قحط شديد ، فاستسقى حفص بالناس[٥] ، وفي سنة ١٣٣هـ/ ٧٥٠م خلال ولاية أبى عون ١٣٣هـ/ ٧٥٠م أول عصر العباسين لم يصل النيل إلى حد الوفاء فصلى الناس صلاة الاستسقاء ، وخرج من أجل ذلك المسلمون والنصارى واليهود من أهل الفسطاط والجيزة[٦] .

١- ساويرس : سير الأباء البطاركة ، ص ١٠٣ .
٢- الكندي : ولاة مصر ، ص ١٣٦ .
٣- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٤٠ .
٤- الكندي : فضائل مصر ، ص ٣٧ .
٥- محمد بركات البيلي : الأزمات الاقتصادية ، ص ٣٩ .
٦- ساويرس : سير الأباء البطاركة ، ص ٩٨ .

ثم وقع غلاء في الدولة الإخشيدية سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م خلال عهد أبوالقاسم أنوجور بن الإخشيد ، فثارت ضده الرعية ومنعوه من صلاة العشاء في الجامع العتيق[١] ، ثم وقع غلاء في مصر سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م وكان ذلك بسبب كثرة الفئران في مصر تلك التي أتلفت الغلال والكروم وبعض المحاصيل الأخرى ، وفي سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م عظم الغلاء بمصر حتى بيع القمح كل وقتين ونصف بدينار ، ثم طلب فلم يوجد ، وثارت الرعية بأنحاء مصر[٢] .

ثم وقع غلاء في الدولة الإخشيدية واستمر بضع سنين متتابعة ، حيث بدأ سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣م خلال عهد الأمير على بن الإخشيد ٣٤٩/ ٣٥٥هـ - ٩٦٠/ ٩٦٥م ، وكان السبب في هذا الغلاء هو قصور فيضان النيل ، فارتفعت أسعار السلع ثلاثة أضعاف ، ونتيجة لانخفاض النيل عن الزيادة المطلوبة عظم البلاء ، وكثرت الفتن ونهبت الضياع والغلات وهاج الناس في مصر بسبب السعر وامتد الغلاء حتى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م ، حيث لم يبلغ النيل سوى أثنى عشر ذراعا وأصابع ولم يقع مثل هذا الغلاء في الدولة الإسلامية ، وكان على إمارة مصر حينئذ الأستاذ كافور الإخشيدي ، فعظم الأمر من شدة الغلاء[٣] .

ثم مات كافور ، فكثر الإضراب وتعددت الفتن وأنتهبت أسواق البلد وتعذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل وقية بدينار ، وظلت الأمور على ذلك حتى دخل جوهر مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م ، وكان مما نظر فيه أمر الأسعار وحاول التغلب على هذه الأزمة ، إلا أن الغلاء استمر حتى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م فاشتد فيها الوباء وفشت الأمراض ، وكثر الموت حتى عجز الناس عن تكفين موتاهم ودفنهم ، فكان من مات يطرح في النيل فلما دخلت سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م أنحط السعر ، وزرعت الأرض وحدث الرخاء[٤] .

١- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٤٠ .
٢- المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٤١ .
٣- المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٤٢ .
٤- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٤٣ ، جمال سرور : الدولة الفاطمية ، ص ٤١ .

وفي سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م أثناء خلافة العزيز بالله الفاطمي توقف النيل واضطربت الأحوال واشتد الغلاء، واقترن بهذا الغلاء وباء شديد هلك بسببه عدد كثير من الأهالي[١]. وخلال عهد الحاكم بأمر الله سنة ٣٨٧هـ/ ٧٩٧م قصر النيل وقل القمح وزاد سعر الخبز. في سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م كان لانتشار الذعر بمصر بسبب حركة أبى ركوة أثره في ارتفاع الأسعار إلا أن الغلاء لم يدم طويلا بسبب ما اتخذته الحكومة من إجراءات سريعة حاسمة مع التجار[٢].

وفي عهد الخليفة الظاهر ٤١١/ ٤٢٧هـ - ١٠٣٠/ ١٠٣٥م زادت المجاعات بسبب الفئران التي أتت على كل شيء، وأيضا بسبب انشغاله باللهو عن رعاية الأمور. وكان ذلك سنة ٤١٤/ ٤١٥هـ، واشتد الغلاء وقلت البهائم، وفشت الأمراض بين الناس وكثرت الموتي. وكثر ضجيج العسكر من جراء هذه المجاعة لأن الدولة الفاطمية كانت لا تزال فتية في الإجراءات التي اتخذتها ومنها منع ذبح الماشية لاستكثارها[٣].

ولكن عادت المجاعات إلي أشدها خلال فترة حكم المستنصر بالله الذي تولي بعد الخليفة الظاهر، حيث اجتاحت البلاد العديد من المجاعات خلال سنين عدة من حكمه في سنة ٤٤٤هـ، ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م حيث أرتفع السعر وعم الغلاء وانتشر الوباء[٤].

ولعل أكبر مجاعات حدثت في عهد المستنصر هي تلك المجاعة التي امتدت من ٤٥٧/ ٤٦٤هـ - ١٠٦٤/ ١٠٧١م[٥]، حيث استمرت هذه المجاعة سبع سنين وعرفت بالشدة المستنصرية، وقيل أنه لم يحدث مثلها منذ أيام يوسف عليه السلام، وامتدت آثارها إلي أماكن

١- البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ٨٢ .
٢- البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص ٨٣ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ٢ ص ١٦٨ ، البراوي : حالة مصر ، ص ٨٤ .
٤- عبد المنعم ماجد : ظهور الفاطميين ، ص ٣٠٦ .
٥- المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٢٤ ، ٢٧ .

أخري في الشرق [١] ، ومن آثار هذه المجاعة علي الأهالي أنهم عانوا الكثير في معيشتهم حيث تعذر وجود الأقوات ، وارتفعت الأسعار ، وخربت معظم أعمال مصر[٢] .

وكذلك اضطر الناس إلي أكل الميتة من الكلاب والقطط ، والبحث عن شرائها ، ووصل سعر الكلب إلي خمس دنانير ، والقط بثلاثة دنانير[٣] ، وأضطر الناس إلي أكل لحوم البشر في كثير من الأحيان[٤] ، وأعقب هذه المجاعات انتشار الأوبئة والأمراض ، ولا سيما الجدري الذي مات منه الكثير من سكان مصر ففي سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م كان يموت كل يوم على الأقل ألف إنسان[٥] ، ثم زاد إلي عشرة آلاف وفي يوم مات ثمانية عشر ألف ، وفني ثلث سكان مصر خلال هذه المجاعات ، وخلت الأسواق من الناس ، وعدمت الأرض من الفلاحين[٦] .

وترتب على هذه المجاعة أن اختل الأمن ومدت الأجناد أيديها إلي السلب والنهب ، وزاد قطاع الطرق وفقراء البدو ، ولم يتورع أحد من الاعتداء على غيره[٧] ، وتعطلت المواصلات بالبر والبحر بسبب تعرض المسافرين لإعتداء الجند واللصوص ، وتعطلت الصناعة والتجارة[٨] .

ومن أكبر الخسائر التي منيت بها البلاد ومن جراء الشدة العظمي بيع النفائس التي كانت موجودة في قصور المستنصر بأبخس الأثمان ، غير ما نهب وفقد من النفائس ، وبذلك فقدت البلاد ثروة ضخمة من أهم النفائس الفنية التي كانت كفيلة أن تلقي الضرر على

١- العيني : عقد الجمان ، ص ١٨٧ .
٢- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٥ ص ٧٦ ، ٨٤ .
٣- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٢ ص ٥٥١ ، المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٥٣ .
٤- السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ص ١٥٤ ، راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٤ .
٥- ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ص ٦١ .
٦- حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ، ص ٢٩٠ ، راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ص ٩٥ .
٧- عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ٣٠٧ .
٨- راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٩٦ .

عظمة الصناعة ومهارة الصناع في ذلك العصر هذا بجانب الخسارة العلمية حيث استولي الجند والأمراء على نفائس خزانة الكتب .

وفي سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م خلال حكم المستعلي ٤٨٧/ ٤٩٥هـ كان عصر غلاء وجوع استمر بالبلاد لمدة ستة أشهر ، وكان سبب ذلك انخفاض النيل ، ولم يتمكن الفلاحون من ري الأرض وقلة المحاصيل ، وعم البلاد وباء ومات بمصر خلق عظيم[١] .

وفي خلافة الحافظ ٥٢٦/ ٥٤٤هـ حدثت مجاعة سنة ٥٣٦هـ ، ٥٣٧هـ حيث قلت الأسعار وأنعدم وجود القمح والشعير ، كما أنتشر الوباء في الإسكندرية والديار المصرية وكثر الوباء والموت[٢] .

وفي سنة ٥٤٥ ، ٥٤٦هـ/ ١١٥٠ ، ١١٥١م أثناء خلافة الظافر ٥٤٤/ ٥٤٩هـ حدث وباء عظيم بمدينة دمياط مات على أثره الكثير ، حيث قدر بأربعة عشر ألف[٣] ، وفي سنة ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م خلال عهد الخليفة الفائز ٥٤٩/ ٥٥٥هـ - ١١٥٤/ ١١٦٠م حدثت أزمة اقتصادية ، حيث ارتفعت الأسعار إلا أن الوزير الصالح طلائع بن رزيك سيطر على هذه الأزمة ، حيث كان بالأهراء الكثير من الغلات ، ففرقها على الطحانين ، ومنع احتكارها ، وأمر الناس ببيع الموجود منها ، ولم تستمر هذه الأزمة سوي مدة يسيرة[٤] .

طاعون الماشية :

كان طاعون الماشية من الأوبئة التي حدثت في مصر الإسلامية ، حيث كان يؤدي هذا الطاعون إلى نفوق كثير من الحيوانات فتقل أعدادها بشكل يضر بالاقتصاد ، إذ

١- ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ ١ ص ٦٢ .
٢- ابن ميسر : أخبار مصر ، ص ٨٥ ، المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٥٦ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ٩٧ .
٤- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ٥٧ .

تعطل أعمال الزراعة التى تعتمد على الماشية في المقام الأول[١] ، هذا بجانب تناقص اللحوم التي كانت الماشية أهم مصادرها ، وكان القحط والجفاف سببين في إفساد المراعي وقلة الأعلاف نتيجة لزيادة النيل زيادة مفرطة تصل إلي حد الأستبحار ، وكذلك نقصه مما يؤدى إلى زيادة نفوق الماشية وما يعقبه من وباء[٢] .

وتدخلت الدولة في بعض الأحيان الحفاظ على الثروة الحيوانية التي يعتمد عليها اقتصاد البلاد ، وذلك بسن القوانين وفرض القيود لعدم ذبح الإناث والأبقار السليمة التي تصلح للحرث[٣] .

الفئران :

كانت الفئران من الأوبئة التي انتشرت في مصر حيث كانت تكثر في بعض الفترات بشكل ملحوظ فتتلف المحاصيل وتفسد جانبا كبير منها ، ومثال ذلك ما حدث في سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م في أواخر الدولة الإخشيدية أثناء ولاية أبو القاسم أنوجور على مصر ٣٣٤/ ٣٤٦هـ - ٩٤٥/ ٩٥٧م ، حيث كثرت الفئران وأهلكت الغلال والكروم[٤] ، وأيضا ما حدث في سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م في خلافة الظاهر الفاطمي ، حيث ظهرت موجة من الفئران أكلت الزرع بمصر حتى أتت عليه[٥] .

ولا مراء أن تلف المحاصيل كان يؤدي إلي ارتفاع الأسعار الذي سبب المساوئ الاقتصادية للأهالي ، فضلا عن هذا كانت الفئران تنقل مرض الطاعون وتؤدي إلي انتشاره بين الناس والماشية فتهلك أعدادا غفيرة منها ، ومن ثم تحدث الأوبئة .

١- راشد البراوي : حالة مصر ، ص ٧٩ .
٢- محمد بركات البيلي : الأزمات الاقتصادية في مصر الإسلامية ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ، ص ٢٢ .
٣- المقريزي : الخطط ، جـ ١ ص ١٦٨ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ٢ ص ٢٨٥ .
٤- المقريزي : إغاثة الأمة ، ص ١١ .
٥- الدواداري : كنز الدرر ، ٣٢ .

الجراد :

يعد الجراد من أشد الآفات الزراعية خطورة على المحاصيل وكان الجراد يزيد في بعض السنوات زيادة مخيفة فيأتي على كل المزروعات ، مثلما حدث في سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م حيث هجم فيها على مصر أعدادا هائلة من الجراد ، حتى منع شعاع الشمس أن يقع على الأرض ، فأتي على الكروم والفاكهة والنخيل حتى خربت البساتين(١) ، وفي سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م شهدت مصر أيضا موجة من الجراد على جميع الغلات والأشجار(٢) .

الكوارث الطبيعية :

كانت الكوارث الطبيعية كثيرا ما تسبب بعض المساوئ لما ينتج عنها من تدمير وهلاك . ومثال لذلك الزلزال الذي حدث سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م بمصر وسمع أهل بلبيس ضجة هائلة للأرض ، فمات خلق كثير من أهلها ، والزلزال الذي حدث سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م وتهدم بسببه جزء كبير من أعالي منارة الإسكندرية(٣) ، وفي سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م هبت ريح سوداء على مصر واستمرت ثلاثة أيام ، فأهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب والأنعام ، وأتلفت المحاصيل والمزروعات(٤) .

١- محمد بركات البيلى : الأزمات الاقتصادية ، ص ٢٣ ، ٤٨ .
٢- أبو المحاسن : النجوم ، جـ ٢ ص ٨٤ .
٣- المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٤٣ .
٤- السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ص ١٨٩ .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم ...

٢. السنة النبوية ...

أولا : المصادر :

ابن أبي اصيبعة (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم) ت ٦٦٧هـ/ ١٢٦٨م.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الثقافة ، القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ابن الأثير(على بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان .
- الكامل في التاريخ ١٢ جزء ، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

ابن الاخوة (محمد بن أحمد بن أبي زيد بن الاخوة المصري القرشي) ت ٧٢٩هـ .

- معالم القربة في أحكام الحسبة ، القاهرة ١٩٣٧م .

ابن أياس (أبو البركات محمد بن أحمد) ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م .

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، الطبعة الثانية ، تحقيق محمد مصطفي زيادة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

ابن ايبك (أبو بكر بن عبد الله الدواداري) ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م .

- كنز الدرر وجامع الغرر ، الجزء السادس "الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية" تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٦١م .

ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي) ت ٧٧٠هـ/ ١٣٣٧م .

- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "رحلة ابن بطوطة" بيروت ، دار الكتاب المصري اللبناني .

ابن بعرو (منصور بن بعرو الذهبي الكاملي)

- كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ، تحقيق ، عبد الرحمن فهمي القاهرة ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م .

ابن البيطار (ضياء الدين أبو محمد عبد الله) ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م .

- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، القاهرة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

ابن تيمية (تقي الدين احمد بن تيمية) ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م .

- الحسبة في الإسلام ، تعليق أحمد الحنبلي ، القاهرة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن احمد البلسنى) ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م .

- تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، المعروف بـ "رحلة بن جبير" دار الكتاب المصري واللبناني ، بيروت .

ابن الجزري (شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد الجزري) ت ٨٣٣هـ .

- غاية النهاية في طبقات القراء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

ابن الجوزي (أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى) ت ٥٩٧هـ .

- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى دائرة المعارف العثمانية بعاصمة حيدر أباد ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م .

ابن الجيعان (شرف الدين يحي بن علم الدين شاكر) ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م .

- التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية ، المطبعة الأهلية ، القاهرة ١٨٩٨م .

ابن حبيب (أبو جعفر محمد) ت ٢٤٥هـ / ٨٥٩م .

- مختلف القبائل ومؤتلفها ، تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة .

ابن حجر(شهاب الدين احمد بن على العسقلاني) ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م .

- رفع الاصر عن قضاة مصر ، القسم الأول تحقيق حامد عبد المجيد مراجعة إبراهيم الابياري ، القاهرة ١٩٥٧م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، الجزءان الخامس والسادس ، دار الكتب العلمية بيروت.

ابن حزم (أبى محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي) ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م .

- جمهرة انساب العرب ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١م .

ابن حوقل (ابو القاسم محمد البغدادي الموصلي) ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م .

- صورة الأرض ، دار الحياة ، بيروت ١٩٧٩م .

ابن خرداذبه (أبو القاسم عبد الله بن محمد) ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م .

- المسالك والممالك ، ومعه نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر (بن خلدون المغربي) ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م .

- مقدمة بن خلدون ، طبع مأخوذة عن طبعة لجنة البيان العربي تحقيق عبد الواحد وافي دار الشعب ، القاهرة .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، المعروف بـ "تاريخ بن خلدون" مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبى بكر) ت ٦٨١هـ .

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق محيى عبد الحميد ، القاهرة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

ابن دريد (أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد) ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م .

- الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الخانجي ، القاهرة .

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي) ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م .

- الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، في تاريخ مصر وجغرافيتها ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

ابن رستة (أبو على أحمد بن عمر بن اسحق) ت ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م .

- الاعلاق النفسية ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٩١م .

ابن سعد (أبو عبد الله بن سعد بن منيع البصري الزهري) ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م .

- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ٢ مج .

ابن سعيد (على بن موسى المغربي) ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٥م .

- النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ، الجزء الخاص بالقاهرة ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠م .

ابن سيد الناس (فتح الدين أبو الفتح محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس) ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م .

- عيون الأثر في فنون المغازى والشمائل والسير ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

ابن سيده (أبي الحسن بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي) ت ٤٥٨هـ .

- المخصص ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الحديثة ، بيروت .

ابن شاهين الظاهري (غرس الدين خليل) ت أواخر القرن الـــ ٩هـــ/ ١٥هـــ

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، صححه بولس راويس ، باريس ١٨٩٤م .

ابن شرف النووي (الأمام الحافظ محيى الدين زكريا يحيى بن شرف النووي) ت ٦٧١هـــ/ ١٢٧٢م .

- رياض الصالحين ، تعليق رضوان محمد رضوان ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

ابن الصيرفي (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان) ت ٥٤٢هـــ .

- القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق ايمن فؤاد سيد.

ابن طباطبا (محمد بن علي بن طباطبا ، المعروف بابن الطقطقي) ت ٧٠٩هـــ .

- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، شركة الكتب العربية ، القاهرة ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م .

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم) ت ٢٧٥هـــ .

- فتوح مصر وأخبارها ، طبعة ليدن ، ١٩٢٠م .

ابن عبد ربه (أبو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي) ت ٣٤٩هـــ/ ٩٤٠م .

- العقد الفريد ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٣١٢هـ/ ١٩٠٣م .

ابن العبري (غريغريوس جمال الدين بن العبري الملطي) ت ٦٨٥هـــ/ ١٢٨٦م .

- تاريخ الزمان نقلة للعربية اسحق أرملة ، وقدم له جان موريس ، دار المشرق بيروت ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م .

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي) ت ١٠٨٩هـــ/ ١٩٧٨م .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩

ابن القفطي (الوزير جمال الدين بن الحسن علي بن يوسف) ت سنة ٦٤٦هـــ .

- أنباه الرواة عن أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل ، القاهرة ١٤٠٦هـ .

ابن القلانسي (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمي) ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م .

- ذيل تاريخ دمشق ، حققه أمد روز ، بيروت ١٩٠م .

ابن قنفذ (أبي العباس احمد بن حسن بن على بن الخطيب) .

- الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، بيروت .

ابن قيم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنبلي الدشقي) ت ٧٥١هـ .

- الفروسية ، ترجمة وتعليق عزت العطار الحسيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ابن كثير (الحافظ بن كثير القرشي) ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م .

- البداية والنهاية ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

ابن مماتي (القاضي شرف الدين أبو المكارم بن سعيد) ت ٦٠٦هـ .

- قوانين الدواوين ، تعليق وتحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، ١٩٤٢م .

ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري) ت ٦٣٠هـ .

- لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي القاهرة

ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جلب بن راغب) ت ٦٧٧هـ .

- المنتقي من أخبار مصر ، تحقيق ايمن فؤاد سيد المعهد الفرنسي للاثار الشرقية ، القاهرة .

ابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام) ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م .

- السيرة النبوية ، تعليق طه عبد الرؤوف ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، القاهرة .

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم بن واصل) ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م .

- مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب ، الجزء الثالث ، تحقيق جمال الشيال ، دار القلم، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م ، الجزء الرابع والخامس ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، حسنين محمد ربيع ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٧٢م

ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي :

- تتمة المختصر في أخبار البشر ، المعروف بتاريخ بن الوردي ، تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م .

أبو شامة (شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن ابن إبراهيم المقدسي الشافعي) ت ٦٦٥هـ .

- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ، الجزء الأول ، طبعة وادي النيل ، القاهرة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م .

أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبى الفداء) ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م .

- المختصر في أخبار البشر ، المعروف بتاريخ أبي الفداء ، دار المعرفة ، بيروت .

أبو الفرج الوراق (محمد بن أبى يعقوب اسحق) .

- الفهرست ، تحقيق رضا .

أبو المحاسن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) ت ٨٧٤هـ/ ١٤٩٦م .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٠م .

الألوسي (السيد محمود شكري الألوسي البغدادي) ت ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م .

- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثرى ، الطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

الأدريسى (أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحموي) من علماء القرن السادس الهجري .

- صفة بلاد المغرب والسودان ومصر ، ليدن ١٨٦٦م .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩١م .

الأصطخري (ابن اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي) توفى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري .

- المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

البغدادي (عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي) ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م

- الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، طبعة المجلة الجديدة غسان سبانو ، القاهرة .

البلوى (أحمد بن عبد الله بن محمد المدني) ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م .

- سيرة أحمد بن طولون ، تحقيق محمد كرد على ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة.

البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر) ت ٢٧٩هـ/ ٩٨٩م .

- فتوح البلدان ، تعليق صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- انساب الأشراف ، تحقيق محمد حمد الله مع المخطوطات بجامعة الدول العربية القاهرة .

الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م .

- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفي السقا ، إبراهيم عبد الحفيظ شلبي ، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م .

الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميرى) .

- الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ بيروت ١٩٤٨م .

الدينورى (أبى حنيفة أحمد بن داود) ت ٨٨٢هـ/ ١٨٩٥م .

- الإمامة والسياسة "تاريخ الخلفاء" تحقيق طه الزينى ، دار المعرفة ، بيروت .

الذهبي (الحافظ شمس الدين الذهبي) ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م .

- تاريخ دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت ، محمد مصطفي إبراهيم ، القاهرة ١٩٧٤م.
- العبر في خبر من غبر الجزء الأول تحقيق أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .

الرازي (أبو محمد بن زكريا) ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م .

- منافع الأغذية ودفع مضارها ، القاهرة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م .

الزركلي (خير الدين) :

- قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩م .

السبكي (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الله الكافي) ت ٧٧١هـ

- طبقات الشافعية الكبرى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٢٤هـ/ ١٩٥٥م .

السمعاني (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني) ت ٥٦٢هـ.

- الأنساب ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، الطبعة الأولى ، دار لبنان ، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين) ت ٩١١هـ/ ١٦٠٥م .

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مراجعة أحمد بدوي الإدارة العامة القاهرة.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م .
- طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٩٨٣م .

الشيزري (عبد الرحمن بن نصر) ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م .

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العريني ، القاهرة ١٩٤٦م .

الصفدى (صلاح الدين خليل بن ايبك) ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م .

- الوافي بالوفيات ، باعتناء سى بدرنغ ، دمشق ، المطبعة الهاشمية ١٩٥٣م .

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م .

- تاريخ الأمم والملوك ، المعروف بتاريخ الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة .

العمري (شهاب الدين أبي العباس احمد بن العمري) ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م .

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق احمد زكى ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٢٤م.

القزويني (أبي زكريا بن محمد بن محمود)

- أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ببيروت .

القلقشندي (أبو العباس احمد بن على القلقشندي) ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القاهرة ١٩٦٣م .
- نهاية الأرب في معرفة انساب العرب ، تحقيق إبراهيم الابيارى ، ط ١٩٨٠م .
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، تقديم إبراهيم الابيارى ببروت ١٩٨١م .

الكندي (أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري) ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م .

- ولاة مصر ، تحقيق نصار ، دار صادر ، بيروت .

الماوردي (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م .

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م .

المسيحي (محمد بن عبد الله بن على بن إسماعيل بن عبد العزيز) ولد ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م .

- أخبار مصر في سنتي (٤١٤ ، ٤١٥هـ) تحقيق وليم ج ميلورد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٠م .

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي) ت ٣٤٦هـ / ٩٥٦م .

- التنبيه والأشراف ، دار صعب ، بيروت .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

المقدسي (شمس الدين أبو عبيد الله محمد الشافعي البشاري) ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م .

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٠٩م .

المقريزي (تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر الشافعي) ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .

- اتعاظ الحنفا بذكر أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، الجزء الأول تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٧ ، الجزء الثاني تحقيق محمد حلمي احمد ، القاهرة ١٩٧١م .
- البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين القاهرة .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفي زيادة ، القاهرة ١٩٩٠م .
- شذور العقود في ذكر النقود القديمة والإسلامية ، المكتبة المرتضوية ومطبعتها النجف، العراق ١٣٥٦هـ .
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية مأخوذة عن طبعة بولاق ١٢٠٧هـ / ١٧٩٢م .
- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق محمد مصطفي زيادة ، جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٤٠م .

النابلسي (عثمان بن إبراهيم النابلسي) القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي .

- لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

النعيمي (عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي) ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م .

- الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق جعفر الحسني ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب) ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م .

- نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نسخة مصورة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

ناصر خسرو علي (ت ٤٨١هـ/ ١٠٠٨م) .

- سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م .

الواقدي (أبي عبد الله محمد بن عمر) ت ٢٠٧هـ/ ٨١٥م .

- فتوح البلدان ، الطبعة الثانية ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٩٣٤م .

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م .

- تاريخ اليعقوبي ، جزءان ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .
- البلدان : ليدن ١٩٦٧م .

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م .

- معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت .
- معجم الأدباء ، دار مأمون للطباعة والنشر ، الطبعة الأخيرة ، القاهرة .

يوحنا النقيوسي :

- تاريخ مصر رؤية قبطية للفتح الإسلامي ، ترجمة ودراسة تاريخية ولغوية عمرو صابر أحمد خليل ، دار عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية .

ثانياً : المراجع :

إبراهيم أحمد العدوى (الدكتور) :

- الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة .

إبراهيم جلال :

- المعز لدين الله الفاطمي، سلسلة الألف كتاب الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.

البيومي إسماعيل :

- مصادرة الملاك ، سلسلة تاريخ المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

أحمد إبراهيم الشريف (الدكتور) :

- دراسات في الحضارة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار الفكر، القاهرة ١٩٨١م .

أحمد أحمد بدوي (الدكتور) :

- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ، بمصر والشام ، القاهرة ١٩٧٢م .

أحمد أمين :

- ضحي الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- ظهر الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م .
- قاموس العادات والتقاليد المصرية ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٥٣م .

أحمد تيمور :

- المهندسون في العصر الإسلامي ، دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
- التصوير عند العرب ، إخراج زكي محمد حسن القاهرة ١٩٤٢م .

أحمد عبد الرازق أحمد (الدكتور) :

- تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٩٣م .

أحمد عبد السلام ناصف (الدكتور) :

- الشرطة في مصر الإسلامية ، ط١ ، دار الزهراء للإعلام العربي ١٩٨٧م .

أحمد عيسى (الدكتور) :

- تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ١٩٨١م .

أحمد ممدوح حمدي :

- معدات التجميل في متحف الفن الإسلامي ، القاهرة ١٩٥٩م .

أحمد مختار عمر (الدكتور) :

- تاريخ اللغة العربية في مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠م.

ادولف جروهمان وحسن إبراهيم حسن (الدكتور) :

- أوراق البردي العربية ، دار الكتب القاهرة ١٩٣٤م .

ادم متز :

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، الجزء الأول والثاني ترجمة عبد الهادي أبو ريده ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٨م .

أرشيبالد لويس :

- السيادة الإسلامية في البحر المتوسط ، ترجمة أنيس مريحة ، وأخ ، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٠م .

ارنست كونل :

- الفن الإسلامي ، ترجمة أحمد موسي مطبعة أطلس القاهرة ١٩٦١م .

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

- التاريخ والمؤرخون العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨١م .
- تاريخ الدولة العربية ، الجزء الثاني مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية .
- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ١٩٨٢م .
- تخطيط مدينة الإسكندرية وعمرانها في العصر الإسلامي دار المعارف ، لبنان .

الشيخ أحمد السكندري والشيخ مصطفى العناني :

- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

الشيخ الأمين عوض الله :

- الحياة الاجتماعية في الدولة الفاطمية ، دار المجمع العلمي ، جدة ١٣٩٩هـ .

أمينة الشوربجي :

- رؤية الرحالة للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

انستاس ماري الكرملي :

- النقود العربية الإسلامية وعلم النميات ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٩٨٧

بتلر (ألفرد . ج) :

- فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد بن فريد أبو حديد ، المركز العربي للنشر القاهرة.

بدر عبد الرحمن محمد (الدكتور) :

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في العراق والمشرق الإسلامي ، الطبعة الأولي مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ١٩٨٩م .

- الدولة العباسية دراسة في سياستها الداخلية في القرنين الثاني والثالث الهجري ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة .
- شرق الدلتا منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي ، مجلة المؤرخ المصري، العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩م ، يصدرها قسم التاريخ بكلية آداب القاهرة.

بـــل :

- مصر من الأسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ترجمة عبد اللطيف أحمد عواد ، القاهرة ، ١٩٤٥م .

جاستون فييت :

- المواصلات في مصر الإسلامية ، مقال بكتاب في مصر الإسلامية لزكى محمد حسن مطبعة المقتطف والمقطم ، القاهرة ١٩٣٧م .

جورجي زيدان :

- تاريخ التمدن الإسلامي ، الجزء الثالث ، دار مكتبة الحياة بيروت .
- تاريخ آداب اللغة العربية الجزء الثاني ، تعليق شوقي ضيف ، دار الهلال ، القاهرة .

جمال الدين الشيال (الدكتور) :

- تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٧
- تاريخ مصر الإسلامية ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٧م .
- أول أستاذ لأول مدرسة ، مقال بكتاب أعلام الإسكندرية القاهرة ١٩٦٥م .

حسن إبراهيم حسن (الدكتور) :

- الدولة الفاطمية في مصر والمغرب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٥م .

- تـاريخ الإسـلام السياسـي والـديني والاجتمـاعي والثقـافي ، دار النهضـة المصـرية ، القاهرة ١٩٧٤م .
- الفـاطميون في مصـر وأعمـالهم السياسـية والدينيـة بوجـه خـاص ، المطبعـة الأميريـة، القاهرة ، ١٩٣٢م .

حسن الباشا :

- مدينة القاهرة تاريخها ، فنونها ، وآثارها ، القاهرة .

حسن أحمد محمود (الدكتور) :

- حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

حسن الباشا (الدكتور) :

- الألقـاب الإسـلامية في التـاريخ والوظـائف والآثـار ، الـدار الفنيـة ، للنشـر والتوزيـع ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

حسن عبد الوهاب (الدكتور) :

- تاريخ المساجد الأثرية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٤٦م .

حسين نصار (الدكتور) :

- مصر العربية الدار المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠م .

خضر أحمد عطا الله (الدكتور) :

- الحيـاة الفكريـة في مصـر في العصـر الفـاطمي ، الطبعـة الأولـي ، دار الفكـر العربـي ، القاهرة .

خطاب عطية على (الدكتور) :

- التعليم فى مصر فى العصر الفاطمي الأول ، القاهرة ، ١٩٤٧م .

ديماند :

- الفنون الإسلامية ، ترجمة أحمد عيسى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٥م .

راشد البراوي (الدكتور) :

- حالة مصر الاقتصادية في عصر الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨م.

زاهر رياض :

- شمال أفريقيا في العصور الوسطى ، الانجلو المصرية ، القاهرة .

زكي محمد حسن (الدكتور) :

- أطلس الفنون الزخرفية الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
- الفن الإسلامي في مصر ، القاهرة ١٩٣٥م .
- كنوز الفاطميين ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٣٧م .
- بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٢٧م .

سعاد ماهر (الدكتور) :

- البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة .
- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .
- محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي ، الكتاب الرابع ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٦م .
- الحصير في الفن الإسلامي ، مطبعة كرستا تسوماس ، القاهرة .
- النسيج الإسلامي ، مطابع دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

سعد الخادم :

- الأزياء الشعبية في مصر، القاهرة، ١٩٦٣م .
- الصناعات الشعبية في مص، دار المعارف، القاهرة .

سعيد عبد الفتاح عاشور وعبد الرحمن الرافعي (الدكتور) :

- مصر في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة .

سلام شافعي محمود سلام (الدكتور) :

- أهل الذمة في مصر في العصرين الفاطمي الثاني والأيوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٨٢م .

سهام مصطفى أبو زيد (الدكتور) :

- الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلي نهاية العصر المملوكي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م .
- العناصر السودانية في جيش مصر في العصر الفاطمي، الطبعة الأولي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .
- المغاربة ودورهم في إدارة مصر في العصر الفاطمي، الطبعة الأولي، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

سيدة إسماعيل كاشف (الدكتور) :

- مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلي قيام الدولة الطولونية، سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨م .
- مصر في عصر الإخشيديين، سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م .

- أهل الذمة في مصر الإسلامية ، سلسلة تاريخ المصريين الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م .
- أحمد بن طولون ، أعلام العرب الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- مصر في العصرين الطولوني والإخشيدي ، الألف كتاب ، القاهرة ١٩٦٠م .

سيديو :

- خلاصة تاريخ العرب ، البعة الثانية ، دار الآثار ، بيروت ١٤٠٠هـ .

شحاتة عيسى إبراهيم :

- القاهرة تاريخها ونشأتها ، امتدادها ، تطورها دار الهلال القاهرة .

شوقي ضيف (الدكتور) :

- تاريخ الأدب العربي ، الطبعة السادسة ، مصر والشام ، دار المعارف ، القاهرة .

صابر محمد دياب (الدكتور) :

- دراسات في تاريخ العالم الإسلامي، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

عاصم محمد رزق عبد الرحمن (الدكتور) :

- مراكز الصناعة في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى مجيء الحملة الفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

عبد الرحمن فهمي (الدكتور) :

- موسوعة النقود وعلم النميات (فجر السكة الإسلامية) ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٥م .

عبد العزيز الدوري :

- مقدمة في تاريخ مصر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٦٠م .

عبد المنعم سلطان (الدكتور) :

- المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، دراسة تاريخية ، ثقافية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٥م .

عبد المنعم ماجد (الدكتور) :

- نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨م .
- التاريخ السياسي للدولة العربية ، الجزء الأول والثاني ، عصر الجاهلية ، والنبوة والخلفاء الراشدين ، عصر الخلفاء الأمويين ، القاهرة .

عصام الدين عبد الرؤوف الفقي (الدكتور) :

- الدولة العباسية ، مكتبة النهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

عطية القوصي (الدكتور) :

- الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ١٩٨٥م .
- تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية ٦٥٦هـ/١٢٥٨م . القاهرة ١٩٧٦م .
- تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م .

على إبراهيم حسن (الدكتور) :

- مصر في العصور الوسطى من الفتح العربى إلى الفتح العثماني ، القاهرة ١٩٤٩م
- التاريخ الإسلامى العام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

عمر رضا كحالة :

- معجم القبائل القديمة والحديثة ، دار الرسالة ، بيروت ، خمسة أجزاء .

غوستاف لوبون :

- حضارة العرب ، تعريب محمد صادق رستم وعادل زعتر ، ط٢ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٩٥٦م .

فيليب حتى :

- تاريخ العرب ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، القاهرة ١٩٥١م .

قاسم عبده قاسم (الدكتور) :

- أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى ، دراسة وثائقية ، ط٢ ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٩م .
- اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١ ، القاهرة ١٩٨٧م .

محمد محمد أمين (الدكتور) :

- دراسات اقتصادية في تاريخ مصر الإسلامية في عصر الولاة ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٨٠م .

محمد جمال الدين سرور (الدكتور) :

- تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- الدولة الفاطمية في مصر ، سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٩م .

محمد حمدي المناوي (الدكتور) :

- نهر النيل في المكتبة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .
- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي ، دار المعارف ، القاهرة .

- مصر في ظل الإسلام من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي ، القاهرة ١٩٧٥م.

محمد الخضري :

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية "الدولة العباسية" ط٥ مطبعة الاستقامة القاهرة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م .

محمد رمزي :

- القاموس الجغرافي ، للبلاد المرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م . القسم الأول ، البلاد المندرسة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٣ ، ١٩٥٤م .

محمد عبد الستار عثمان :

- المدينة الإسلامية "سلسلة عالم المعرفة" ، ١٢٨ يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أغسطس ١٩٨٨م .

محمد عبد العزيز مرزوق (الدكتور) :

- الفنون الزخرفية في مصر قبل عصر الفاطميين، ط١، مكتبة الانجلو، القاهرة ١٩٧٤م.
- الفنون الزخرفية في العصر العثماني ، القاهرة .

محمد كامل حسين (الدكتور) :

- أدبنا العربي في عصر الولاة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦١م .

محمد يوسف بكر (الدكتور) :

- صناعة الخزف والفخار في مصر ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٥٩م.

ناصر الأنصاري (الدكتور) :

- تاريخ أنظمة الشرطة في مصر ، الطبعة الأولي ، دار الشروق ، القاهرة ١١٤٠هـ/ ١٩٩٠م .

يوسف العش :

- عصر الخلافة العباسية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٦م .

الرسائل الجامعية :

إبراهيم علي السيد القلا :

- القبائل العربية في غرب الدلتا (دراسة حضارية) رسالة ماجستير جامعة الزقازيق كلية الآداب ببنها ١٩٩٤ غير منشورة .

بدر عبد الرحمن محمد :

- النشاط التجاري في مصر في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير آداب القاهرة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

رضوان محمد الجناني :

- القبائل العربية في مصر في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، وأثرها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، رسالة ماجستير ، آداب القاهرة ١٩٧٦م .

عيد محمد علي أبو زيد :

- أحوال المجتمع في حواضر مصر ، الفسطاط ، العسكر ، القطائع من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الطولوني ، رسالة ماجستير – جامعة الزقازيق – آداب بنها ، ١٩٨٨م .

السيد رشدي ياسين :

- العرب ودورهم في مصر تحت الحكم البطلمي ٣٢٣ق.م – ٣٠٠ ق.م ، رسالة ماجستير كلية الآداب ، جامعة طنطا ١٩٩٠م .

- C.H. Becker : Islamstudien, Leipzig, 1924, 1.
- Doszy : Suopplement oux Dictionnairs Arabes Leyden 1887.
- Devon Shire : L'Eggypt musulmane et les fondaters des ses mony ments le Caire, 1982.
- Encyclopedie : De L'Islam, Vol II, Leyden, 1927.
  : De L' Islam nouvelle edition. 1967. Tome III. Art Islam.
- Frich W.Bethmann : Bridge to Islam London, 1953.
- Gaston Wiet : L'Egypt musulamne dans; Frecis de L,histoire d,Egypt. Le Caire, 1932.
- Lan Boole Stanly : Ahistory of Egypt in middel Ages, London 1901.
  : Catalogue of the collection of the Arabic coins in Cairo, Egypt.
- Lowrence Durrell, Forster E.M. : Alexandria Ahistory and Guide Micheal Haage.
- Recuell : des Historiens des Croisa des Hist, occ, Paris 1844.
- Schlumberger : campanes du roi Amauryler de Jerusalem en Egypt ouxllc. Paris 1906.
- Zaki Hassan : Les tulunies, Paris. 1933.